رؤى وحوارات

حركة الفكر الإسلامى المعاصر خلال القرن العشرين

أ. د : عبد الحليم إبراهيم(*)

تتميز إجابات هذا الحوار بتخصصها في العمارة، وهو مجال د. عبد الحليم ، وهذا ما يعطيها مذاقًا خاصًا مختلفًا عن باقي الإجابات.

التحرير

١- متى بدأت المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى المعاصر ، وما العوامل التى أدت إليها ؟(**)

الدكتور عبد الحليم إبراهيم : هذه المجموعة من الأسئلة التى تتناول المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى المعاصر والعوامل التى أدت إليها ، وأهم تيارات الفكر الإسلامى ، والقضايا الأساسية

(*) ولد فى أول سبتمبر ١٩٤١ م
- تخرج فى كلية الهندسة - جامعة القاهرة سنة ١٩٦٣م ، وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٧٤ .
- أستاذ التصميم المعمارى ، ونظريات العمارة بكلية الهندسة جامعة القاهرة ومهندس معمارى
- له العديد من المشروعات المعمارية والعمرانية فى مصر والعالم العربى والإسلامى ، وأيضًا مجموعة من البحوث المعمارية ، التى تكمل العمل المهنى ، ومن الأعمال المعمارية المهمة فى مصر الحديقة الثقافية للأطفال بالسيدة زينب (الحوض المرصود) - قصر الفنون بالأوبرا - قرى الخريجين فى واحة الفرافرة - مشروع تطوير منطقة الأزهر التاريخية - مشروع حديقة الأزهر والمنطقة المحيطة به - مشروع شمال الجمالية ، بالإضافة للعديد من المشروعات الأخرى الصغيرة والمتوسطة فى العالم العربى ، ففى المملكة السعودية مشروع تطوير منطقة قصر الحكم ، والمنطقة المحيطة بها - مشروع مسجد ومكتبة الإمام محمد بن سعود فى الدرعية - مشروع وزارة العمل بالرياض ، ومشروع القنصلية المصرية بجدة ، وفى مناطق أخرى فى العالم الإسلامى هناك مدرسة ومسجد الإمام البخارى فى سمرقند
- الجامعة الإسلامية العالمية فى كوالالامبور - والمخطط العام والمخططات التفصيلية للجامعة الإسلامية الطبية فى شرق ماليزيا .

وكل هذه الأعمال لها شق مهنى ، وشق فكرى ، حيث لا يقوم الدكتور عبد الحليم بأى عمل معمارى إلا إذا كان له ركيزة فكرية ، ويهتم بالمشروعات التى تتناول أسئلة أو إشكاليات تهم المعماريين والمفكرين العرب والمسلمين ، وتهم عالمنا الإسلامى . ففى كل المشروعات تقريبًا هناك تقارير ، أو بحوث نشر أغلبها فى العديد من المجلات المعمارية وغيرها ، تتناول الجانب الفكرى للمشروع المعمارى محل البحث .

(**) : آثر الدكتور عبد الحليم الإجابة عن أسئلة الحوار ككل من منظور معمارى ، وكان من المناسب الاسترسال فى الحديث ، دون التقيد المطلق بالأسئلة ، فكان هذا الحوار الثرى .

التي تطرحها التيارات الفكرية ، ومفهوم الحركة أو الحركات الإسلامية المعاصرة إلى آخر هذه الأسئلة ، التي تتوجه للحالة الفكرية الإسلامية المعاصرة أنا أفضل التعامل معها من مرجعية عملي ؛ فيما يتعلق بمجال العمران ، ومجال العمارة ، ومجال الفن .

فيما يتعلق بالسؤال الأول : هناك مرحلتان :

المرحلة الأولى : هي المرحلة التي تواكبت مع مرحلة الحركات الوطنية في العالم العربي والعالم الإسلامي ، والتي كانت تواكب إما حركة الاستقلال ، أو حركة ١٩١٩ في مطلع القرن ، وكان لهذه المرحلة توجهات فكرية فنية ومعمارية وعمرانية ترتكز في صياغتها لمفاهيمها الأساسية على الفكر الإسلامي، ففي مصر في الفترة من ١٩٠٠: ١٩٢٠ ، سنجد حركة وطنية، وحركة إسلامية ، ولكن روافدها في الفكر المعماري كان من خلال بعض الأعمال المتفرقة ، التي أعطت ما يمكن أن يُسمى قشرة إسلامية، مثل أعمال مصطفى باشا فهمي وتلاميذه ، مثل معهد الموسيقى العربية في شارع رمسيس ، أو دار الحكمة في شارع قصر العيني أو غيرها من المباني التي بناها مصطفى باشا فهمي ، وكانت لها واجهة إسلامية حاولت أن تتعاطف بشكل شكلي وغير موضوعي مع التوجه الإسلامي في ذلك الوقت ، وفي الحقيقة فإن هذه الفترة لم يُنَظَّر لها بشكل واضح ، وجاءت بعد فترة تأسيس للتغريب ، أو تأسيس للفصل مع تقاليد عربية إسلامية طويلة في مجال الفكر المعماري ، كان آخرها بعض الأعمال في القاهرة وغيرها مثل وزارة الأوقاف التي قام عليها محمود فهمي المعماري ، وهو والد مصطفى باشا فهمي ، فهذا العمل (وزارة الأوقاف) من أواخر الأعمال التي يمكن أن يقال عنها أنها أعمال كبيرة تقوم أساسًا على ما تبقى من الفكر المعماري أو العمراني العربي الإسلامي ، ونستطيع أن نقول : إن سنة ١٩٠٠م تمثل آخر حقبة كان فيها فكر معماري عربي إسلامي خالص . وإن كان وضع حد زماني فيه اختلافات كثيرة ، لكن هذا التحديد هو الذي أميل إليه .

وإذا رجعنا إلى الوراء فسنجد أن العمارة المملوكية في مصر في الفترة من ١٤٠٠ : ١٦٠٠ م تقريبًا ، أو من

١٣٠٠ : ١٦٠٠ تمثل أخصب الفترات، والتى نرى فيها فكرا معماريًّا عربيًّا إسلاميا متكاملا ومتبلورا ، نتج عنه عدة مفاهيم : مفهوم فلسفى للعمل المعمارى - مفهوم فراغى ، أى : ماذا يعنى الفراغ - مفهوم تعبيرى ، أى : ماذا يعنى التعبير ، والتشكيل ... إلى آخره .

كما تم ابتكار أدوات تقنية تمكن الفكرة من أن تنتقل من حيز الفكرة إلى حيز التنفيذ ، ثم آليات التجويد .

ومعنى ذلك أنه كان هناك ما يسمى إطار فكرى عملى إسلامى متكامل فى كل ما يتعامل معه .

وبانتهاء الحقبة المملوكية بمصر ، ودخول العثمانيين بدأ الشرخ ، وأقول : شرخ ، وليس تدهورا ، فالشرخ لم يأت بدخول الغرب من استعمار فرنسى ، واستعمار بريطانى ، ولكن الشرخ جاء بدخول العثمانيين مصر لأسباب كثيرة .

والإطار الفكرى للعمارة المملوكية بمصر كان يرتكز على ثوابت فكرية وعقيدية إسلامية ، تترجم خلال جهد نظرى فلسفى وتجريبى ، ينقلها من مستوى الفكرة الفقهية العقيدية المجردة ، فإذا تكلمنا على فكرة الرحمة ، فكرة النصوصية ، فكرة العدالة ،فكرة التوحيد، ... أيا كانت الفكرة من مفهومها الفقهى العقيدى ، فماذا تعنى بالنسبة إلى المعمارى؟

والفكرة الجوهرية فى الإسلام هى التوحيد ،كيف يمكن لهذه الفكرة العقيدية أن يكون لها مدلول فراغى ومدلول معمارى ، كيف يمكن أن ننسق مواقع لمجموعة من المبانى بحيث إنك حينما تعيش فيها ، أو تسير بينها ، أو ترى هذا الفراغ الناتج عن هذه المبانى تقول : إن هذه مبانى لمجتمع يؤمن بفكرة التوحيد .

فالنقلة هنا من فكرة لها عمق ، ومدلول عقيدى إلى فكرة لها عمق ومدلول فراغى عمرانى ، وهذا كان متواجدا بشكل متبلور ومتكامل فى الفترة المملوكية ... بما يمكن أن نقول معه بتواجد فقه معمارى إسلامي، والبحوث الحديثة توضح لنا هذا ، وأنه كان يوجد منظّرين على مستوى الفلاسفة ، فنرى من يتكلم عن فلسفة المكان ويستطيع أن ينقل فكرة كفكرة التوحيد إلى تعبيرها ومدلولها الهندسى ، وكان هناك أيضا أنشطة معرفية تنقل المستوى الفقهى إلى مستوى تطبيقى ،

بمعنى أنه كان هناك أيضًا وثائق وأعمال نظرية على مستوى دلائل الأعمال ، ومن الوثائق المعروفة حاليًا مخطوطة أبى الوفا الشهيرة «دليل المهندس والصانع للأشكال الهندسية»....

أنت أمام موقف ، أو وضع كانت فيه الفكرة العقيدية تتناول فكريًا من خلال الفقه المعمارى أو العمرانى، ثم تتناول تطبيقيًا خلال ما يدعه المعلمون الكبار ، أو الأساتذة الكبار ، وينتج عن هذا مخطوطات ، أو وثائق تدلل على الفكرة فلسفيًا .

وفى هذا الدليل «دليل المهندس والصانع » يوضح بالرسومات كيف يشكل شكلا معينا ، وكيف يعمل كذا، أو كذا ، فهو دليل على المستوى التطبيقى ، والتنفيذى ، وإحكام التدريب ... إلى آخره .

هذا الإطار كان موجودًا وموثقًا ومعروفًا ؛ ولذلك تقف المبانى المملوكية شاهدًا على هذا التواجد الفكرى المتوازن .

أما العمارة العثمانية فبالرغم أن لها مدارسها إلا إنها مختلفة ، واقتربت من التقاليد الأوربية فى أنها استحدثت طرزا ونظما للبناء ، ونظما للتفكير ، وإن لم تخرج بالفعل عن الفكرة الإسلامية الأساسية : التوحيد، ولكنها استحدثت طرزا ومبادئ لتشكيل الفراغ وتنفيذه ، تجعله مستقلاً عن أى فكر محلى ، وتجعله بعيدا عن فكرة الاجتهاد ، فلو تأملت العمارة العثمانية التى بنيت فى اسطنبول أو غيرها تجد أن فيها قواعد صارمة نقلت حرفيًا إلى الأماكن التى حكمت خلال الخلافة العثمانية ، فكان فيه مبادئ تُملى على الصانع ، وعلى المهندس ولم يكن فيه مكان للاجتهاد .

وهنا -فى رأيى - بدأ الشرخ ، وتدهورت العمارة خلال الحقبات التالية والمتأخرة فى الخلافة العثمانية ، فبخلاف الحقبات المملوكية لم تكن العمارة العثمانية بمثابة تشجيع أو تحفيز للمكان والإمكانات المحلية للمجتمعات التى تفتحها ، وبالتالى كانت إمبريالية ، كانت إمبراطورية ، فأنا لا أراها كفتح إسلامى بقدر ما أراها كنوع من الحكم الإسلامى أو الحكم المرتكز على الإسلام.

بعد ذلك ضعفت الخلافة العثمانية سياسيًا وعسكريًا ، وتلى ذلك هزيمة البلاد العثمانية من الغرب وأتى الاستعمار الغربى ليجد أرضية متدهورة

من الفكر ، وأرضية متدهورة من الإنجاز، وأرضية متدهورة من الإبداع المحلى ، فكان من المنطقى أن يكون ذلك الغزو متمكنًا وقادرًا على الاكتساح ، ففى الصحوة الأولى التى تواكبت مع الصحوة الإسلامية ، والتى تواكبت مع الحركات القومية والحركات الوطنية الأولى ، كان تعبيرها المعمارى والعمرانى ضحلاً ؛ لأنه كان من فعل المثقفين ، والصفوة التى رزحت تحت نير الاستعمار من ناحية ، وخرجت عن الخلافة العثمانية .

والأمور فى مصر سنة ١٩٠٠م كانت على هذه الصورة : الطليعة المستنيرة والتى كان فيها بعض المعماريين أو العمرانيين يطوقون للغرب بقصد التقدم ، وفى نفس الوقت مرجعيتهم التاريخية ليست موصولة ، فهو غير موصول بالعمارة المملوكية والمسافة ما بينه وبين العمارة المملوكية مليئة بالاضطراب ، أو بالموروث العثمانى الذى ليس مصريًّا ولا عربيًّا ، ولا إسلاميًّا ، ولا محليًّا ، بل على العكس ضحى بالمحلية ، والقصة المعروفة من أخذ الحرفيين والصناع إلى آخره ، وبالتالى كان المعمارى أو البناء أو المفكر يصبو إلى أسس جديدة .

فنزوع المعماريين الأول مثل مصطفى باشا فهمى وغيره إلى الكلاسيكية الغربية لم يكن هروبًا أو خيانة للقضية ، ولكن كان نزوعًا إلى ما يرون فيه تقدمًا ، ووضعهم لقشرة إسلامية كانوا يرونه كتعبير مناسب فى ذلك الوقت .

المرحلة الثانية فى الفكر المعمارى التى يمكن أن نتكلم عليها كانت فى الأربعينيات ، حيث وجد فيها نوع من التوجه الفكرى المعمارى والعمرانى الذى ينظر إلى الموروث الإسلامى ليس كأشكال ، ولكن كمفاهيم ، وإن كانت أمثلته قليلة ، مثل أعمال حسن فتحى وغيره ، والذى بدأ ينظر إلى أن هناك موروث إسلامى ، وأننا لم نفهمه بالقدر الكافى ، وكان هناك حركة استشراقية عريضة تحاول أن تقدم هذا الموروث بشكل معين .

وفى غير مصر كان هناك محمد مكى فى العراق مثلاً ، وفى مواقع أخرى كالمغرب العربى وإن لم يكن بها معماريون أعلام أو مفكريون أعلام فيما يتعلق بالفكر المعمارى الإسلامى ، ولكن كان فيها حركات استشراقية فى معظمها ، كمدينة الرباط الجديدة ،

ومدينة فاس ، ومشروعات الترميم إلى آخره ، كما كان هناك نوعا من الصحوة المعمارية تواكب الحركة الإسلامية الموجودة فى ذلك الوقت .

ولكن الوصلة نادرًا ما تجدها ، أن ترى عَلَما أو مفكرًا إسلاميًّا تفقه فى العقيدة ، وكان له منقولات معمارية وعمرانية ، أو ترى معماريًّا مسلمًا توجه للعمل المعمارى الإسلامى وكان أيضًا متفقهًا فى العبادات .

المرحلة التالية هى فى الستينات والسبعينات ، وأرى أن هذه المراحل التى نتكلم عليها من بداية القرن وخاصة العشرينات ، ثم الأربعينات ، ثم الستينات إلى آخره نجد أن هذه المراحل ليست مهمة تاريخيًّا فقط بالنسبة للعالم الإسلامى ، ولكنها مراحل تاريخية مهمة للعالم بصفة عامة ، وشهدت تحولات مهمة جدًّا .

فالحركة الوطنية فى مصر والتى كانت بعض روافدها إسلامية ، كانت جزءًا فى حركة عالمية بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ، حيث حدثت تغييرات واهتزازات للكيانات الاستعمارية القديمة ، وإعادة الصياغة... وإلى آخره .

وفى المجال المعمارى عالميًا أيضًا شهد هذا القرن بداية حركات معمارية عريضة جدًّا فى كل أنحاء العالم ، كما شهد مراجعات جوهرية للكلاسيكية ، ومراجعات جوهرية لكل التاريخ الغربى، وكان فيها تراجع للكلاسيكية ، وبزوغ لمبادئ جديدة تستقل عن التراث المعمارى الغربى السابق ، بل واتهمت الكلاسيكية بالزيف .

وفى الثلاثينات بدأت تخرج الحركة المعمارية الحديثة Modernism، وفى الأربعينات كانت الحرب العالمية ، ثم حركات التحرر الوطنى .

وبعد الحرب العالمية كان هناك انطلاقًا وثيقًا بين الفلسفة والفكر المعمارى ، وبين التحولات السياسية .

فمراحل النزوع للركائز الإسلامية ، كانت جزءًا من حركة عالمية ، ثم تراجع الموروث المعمارى بصفة عامة، بدافع من خصوصيات محلية .

فالمرحلة الأولى (١٩٢٠) كانت لها وجهة كلاسيكية معينة ، وفى المرحلة الثانية (١٩٤٠) أو الأربعينيات جاءت الحركة المعمارية التى تسمى بالحداثة ، وما استتبعها من بُعد عن الماضى ، والاتسام بالعقلانية ، والبُعد عن

العقيدية، والنزوع إلى العلمانية ، وقد كانت حركة كاسحة فى كل أنحاء العالم ، وكان من صداها فى مصر والعالم الإسلامى أن أصبح كل التعليم المعمارى والإطار الفكرى للتعليم المعمارى فى معظمه يتبع حركة الحداثة بمفهومها العلمانى .

فالفكر المعمارى الإسلامى المواكب للحداثة كان قليلاً جدًا ، وتحول الفكر المعمارى الإسلامى إلى أمور مرجعية محضة ، يُعنى بدراسة التاريخ ، أو دراسة الموروث فقط ، ولكن لم يكن مطروحًا كإطار لمواجهة المشاكل المعاصرة أي أن أبنى مسكنًا ، أو مستشفى ، أو مطارًا أو جامعة وأنا أرتكز على فكر إسلامى.

لكن فى الخمسينيات أو الستينيات أهلت مرحلة جديدة ، حيث بدأت تحدث حركة مراجعة كبيرة وعريضة لمدارس الحداثة فى حد ذاتها فى الغرب، فى كل معاقل هذه المدارس فى أوروبا فى فرنسا وألمانيا ، وفى أمريكا وغيره ، وبدأت تهتز الحداثة كلها ، من خلال اهتزاز كل الأسس التى كانت تقوم عليها الحداثة ، وتخطت الأمور حالة المراجعة إلى المهاجمة ، والانتقاد ، وإعلان إفلاس الحداثة ، وشك الناس فى قيمتها .

فبالتالى بدأ كثير من المدارس الفكرية العالمية تراجع موقفها من الحداثة ، ومن العلمانية ، ومن التاريخ ، ومن التراث ، وتتساءل عن مدى مصداقية إلغاء التراث والادعاء بأن التراث ليس له قيمة ، وبدأت مواقع كثيرة جدًا فى العالم تبحث عن وصلات جديدة مع الماضى ، ومع الإرث .

وفى نفس الوقت تواكب هذا مع صحوة إسلامية سياسية فى أماكن كثيرة جدًّا من العالم الإسلامى وغير الإسلامى، هذه الصحوة الإسلامية التى عاصرناها بعد الهزائم المتكررة للمشروعات العلمانية ، متمثلة فى أماكن كثيرة جدًا فى فشل المشروعات الحداثية والنهضوية ، ويرجع ذلك إلى عشرين أو ثلاثين سنة قبل انهيار الاتحاد السوفيتى ، كان فيه حركة مراجعة عريضة جدا للحداثة .

أما الأصولية الدينية التى كانت منتشرة فى العالم فى السبعينيات فإننا لا نستطيع أن نقول إنها أثرت ، ولكن تواكبت مع تراجع الحداثة بسبب قصورها الذاتى وإفلاسها الداخلى ، وفى نفس الوقت ظهرت تيارات تدعو

للعودة إلى الأصول ، سواء الأصول العقيدية ، أو الأصول التاريخية ... إلى آخره ، ونشأت حركة عريضة جدًا في ذلك الوقت أصنفها تحت مظلة مراجعات الحداثة ، وهناك أسماء كثيرة في مجال العمل المعماري في كل موقع من مواقع العالم الإسلامي تقريبًا ، ففي مصر نرى حسن فتحي وتلاميذه الذين اشتغلوا معه ، وعبد الباقي إبراهيم وغيرهم ، ومن هذا الجيل في الستينيات والسبعينيات في العراق محمد مكي ، ورفعت وغيره ، وفي سوريا وتونس والمغرب والسعودية والأردن وباكستان والهند وغيرها وغيرها ، نجد أفرادًا ومراكز تعمل جميعًا نحو استشراف عالم فكري يحمي الهوية المعمارية ، ويعتمد على ركائز إسلامية .

كما أنه في مجال البحث والاستكشاف العلمي في مجال الحفريات، ومجال البحوث التاريخية ، والاكتشافات المعمارية ، وتفسير المخططات السابقة حصل تقدم واسع جدًا ، بحيث ثبت أن الموروث الإسلامي المعماري له سمات مشتركة ، وكان قائما على أرضية معرفية راسخة .

ومن الأحداث المهمة التي لا بد من ذكرها مهرجان العالم الإسلامي الذي عقد في لندن ١٩٧٠ تقريبًا ، وضم أناسا من أنحاء العالم ، وأخرج مجموعة من المنشورات المهمة ككتاب فيجاس بورخان الفيلسوف والمستشرق السويسري المسلم عن الفن الإسلامي ، وجهود سيد حسين نصر من الأردن عن الـ Islamic Sciences العلوم الإسلامية و Islamic Calligraphy الخط الإسلامي، وغيرها .

وبدأت بعد ذلك معارض كثيرة جدًّا، تجمع في مكان واحد منجزات الفكر الإسلامي من المشرق والمغرب وليس فقط العالم العربي الإسلامي .

وهذه الحركة في الستينيات والسبعينيات لفتت أنظار العالم الغربي الذي كان يعاني من أزمة هوية معمارية ثقافية ، ويحاول أن يصل إلى أسس جديدة لصياغة عمارة جديدة ، أو عمران جديد .

ومن المدهش أن تجد أناسًا غير مسلمين اهتموا بالعمارة الإسلامية ، كأحد الإنجليز الذي اشتغل بجدية شديدة جدًّا حول الزخارف الإسلامية ، فهذا رجل ليس بمسلم ولا إسلامي ، ولكنه رأى ثروة كبيرة جدًّا يجب أن تدرس .

ولا ننسى أنه فى السبعينيات، خلال حرب ١٩٧٣م ، حصلت مواجهة بين العرب والغرب حول البترول ، ونتيجة لذلك كان هناك نوعًا من الانكسار المرحلى سياسيًّا ، وتدفق كبير للثروة النفطية للعالم العربى والإسلامى ، وواكب ذلك الصحوة العربية الإسلامية فى مجال الفكر المعمارى ، وواكبها توافر مصادر الثروة ، وإنشاء مشروعات كبيرة جدًا فى العالم الإسلامى ، مما جعل الغرب بمؤسساته المهنية المختلفة ، ومؤسساته الفكرية يتوجه نحو الشرق ، يتوجه نحو المملكة العربية السعودية ، ونحو العراق ، ومصر.

وفى إطار النزعة المحلية للهوية أصبح كثير من أصحاب المشروعات وكثير من الملاك كوزارة الخارجية السعودية وغيرها من الملاك الكبار يطالبون بعمارة إسلامية ، وبالتالى نشأ احتياج سوقى عريض ، وكان هناك فقر شديد فى المعلومات ، وفقر شديد فى الصياغات ، وتسابقت مراكز البحث الغربية والعربية وغيرها على محاولة ملء هذا الفراغ بعمائر إسلامية .

هذه الفترة كانت ثرية لأمور كثيرة ، منها وجود مجهودات خلاقة فى مجال البحث والتدريب المعمارى والإبداعى فى الغرب تحاول أن تفهم ليس مقياس التربح ، بل تحاول أن تفهم سر ذلك الجمال ومدلولاته ، وتحاول أن تفهمه بأطرها ومنهجها ، وبالتالى تستنتج وتستخلص منه الدروس ، وتستخلص منه أنساق ، وصياغات تسمح بطرحها مرة أخرى وتكون مناسبة للسوق.

ونشأ أيضًا فى العالم العربى والإسلامى اجتهادات لمعماريين ومنظرين حاولوا أن يفهموا وحاولوا تصميم عمارة إسلامية ، وهناك أيضا معماريون مسلمون هاجروا للغرب فى أوروبا وكندا وأمريكا ، وكانت لهم اجتهاداتهم .

ونُشرت كتب مهمة جدًّا ، فسيد حسين نصر كتب سلسلة كبيرة من الكتب عن فلسفة العمارة الإسلامية .

وهناك كتاب رائع اسمه Sense of Unity كتبه إيرانيان ، زوج وزوجته ، هما نادر وليلى أردلان ، وتكلما فيه عن سبب التوحيد Unity، كأساس فكرى للصياغة المعمارية والعمرانية .

وسرعان ما ظهر الكثير من الكتب عن العمارة الإسلامية ، والفن الإسلامى ، والزخارف الإسلامية وإلى آخره ،

وامتلأت المكتبة الغربية والعربية بها ، ولكن أيضا امتلأت بالادعاءات ، نظرا لوجود طلب على ذلك ، فكما ظهرت حركات فكرية أو اجتهادات عميقة، ظهرت أيضا أعمال طفيلية وأعمال ضئيلة القيمة وانتشرت ؛ ولذلك تجد نتاج هذه الحقبة أعمال لها قيمة كبيرة جدًا ، وأعمال ليس لها قيمة إطلاقا ، بل بالعكس ، أعتقد أنها مشوهة .

هذه هي حقبة ما قبل السبعينات، وهي الحقبة التي أعتبر نفسي جزءًا منها ، لأن جيلي تَكَوَّن معماريًا في ظل الحداثة ، فقد حصلت على بكالوريوس الهندسة سنة ١٩٦٣م ، فتعليمي المعماري الأساسي كان في ظل هذه الفترة؟ ثم أتت هزيمة ١٩٦٧م ، حيث شاهدنا كجيل إفلاس وانهيار المشروع العلماني ، وصاحبه أيضًا انهيار نفس المشروع في العمارة .

ثم أتت حقبة السبعينيات بما تمثله من إعادة استكشاف للطريق ، وكانت رسالتي للدكتوراه سنة ١٩٧٤م حول هذا الموضوع : إعادة استكشاف طريق آخر .

وقد التقينا مع الحركات المعمارية والفكرية العالمية الجادة في السبعينيات ، وكان مجال عمل واسع بالنسبة لي في إطار المستجدات والصحوة ، وكانت هناك طموحات كبيرة جدًّا ، مثل الحديقة الثقافية التي أتممناها سنة ١٩٨٠، ومشروعات المملكة العربية السعودية .

كل هذا كان في حقبة الثمانينات ، والتي شاهدت أيضا إنشاء مجموعة من الجوائز المعمارية والفكرية العالمية الهامة جدًا ، كجائزة أغاخان للعمارة الإسلامية ، وجائزة الملك فيصل . هذه الجوائز كانت حافزًا لإحداث حركة فكرية ومعمارية .

ثم تأتي حرب الخليج الثانية لتكون نقطة فاصلة لماذا ؟

لأن الفترة من ١٩٧٠ إلى ١٩٩٠ م كانت فترة الحلم الذي عاشه العالم الإسلامي والعالم العربي حول أمل الانتصار السياسي ، الثروة النفطية ، الثروة المادية ، بداية صحوة فكرية ... إلى آخره .

ولكن في الحقيقة الإطار الأعم لم يكن بأيدينا ، كان في إطار السوق الأكبر والأعم ، ثم أتى انهيار الاتحاد السوفيتي وانهيار الحركة الاشتراكية ، وتفرد أمريكا بالعالم ، هذه الأمور كلها

لها مدلولات مجتمعية عريضة جدًّا ، ولا تقتصر على النواحى السياسية .

بل إن حرب الخليج الثانية من واقع التجربة والمعايشة كانت كسر لهذا الأمل، وإلحاق هزيمة حقيقية ليس بالعراق فحسب ، ولكن إلحاق هزيمة حقيقية بالأمة كلها ، وإلحاق هزيمة حقيقية بمشروع فكرى كان فى حيز التبلور ، وكان يمكن أن يتبلور. فى تلك الأيام كنا نعمل فى مشروعات بالمملكة العربية السعودية وبالخليج ، فى دبى ، وأبو ظبى ، والأردن ، والبحرين، وماليزيا . فى كل هذه المشروعات ومع اختلاف النظم السياسية واختلاف الظروف الاقتصادية كان هناك اتفاق على أولوية الفكر الإسلامى كأساس للفكر المعمارى ، وكان معظم هذه المشروعات حكومية ، مما يعنى أنه كان يمثل التوجه الرسمى .

كان هناك مشروعًا كبيرًا جدًّا اسمه واحة العلوم والفضاء فى الرياض ، وذلك سنة ١٩٨٨م ، واستمر المشروع حتى ١٩٩٠م ، ثم أتت حرب الخليج ليس فقط لتوقف هذه المشروعات ، بل لتدير دفة العمل بالكامل .

فمشروع واحة العلوم كان مشروعًا طموحًا إلى أقصى درجة لإنشاء واحة للعلوم ، فيه متاحف ، ومؤسسة علمية كبيرة جدًّا تقوم على مفاهيم العلم وتعبيره الفراغى والمعمارى فى الحضارة الإسلامية، ودخلنا فى منافسات مع كل معمارىّ العالم ، وفزنا بفضل الله طبعا، لأن أولى الأمر فى ذلك الوقت كان عندهم إرادة سياسية تقبل الفكر الإسلامى حتى يفوز ما هو إسلامى ، فالإرادة السياسية فى ذلك الوقت كان لديها القبول والقناعة بالفكر الإسلامى، وتفضيله على الفكر الوارد .

هذه الإرادة كسرت فى حرب الخليج ، فنفس المالك ، ونفس أولى الأمر ، ونفس الشخص ونفس البيئة ... وإلى آخره تحول كل ذلك بنسبة ١٨٠ درجة بسبب حرب الخليج ، وتم إسناد العمل إلى الغرب ، فتحول الفكر ، والتوجه الفكرى .

هذا التحول لم يكن فى مشروع واحد أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة ، بل أصبح حالة عامة . فالرعاية الرسمية بعد حرب الخليج للأعمال الكبيرة انخفضت جدًّا جدًّا ، وانتقلت مواقع العمل فى مشروعات قومية كبرى إلى مشروعات سياحية ، ومشروعات استثمارية ... إلى

آخره .

ومن جهة أخرى نجد العمارة الإسلامية تدخل فيما يشبه الأكذوبة الكبرى ، حين تتبنى الدولة مثلاً أعمال حسن فتحى ، وتنفذها فى مشروعات سياحية ، ربما يفرح بعض الناس لما يمثله من انتشار للعمارة الإسلامية ، ولكن هذا ليس انتشارًا بل عبارة عن وأد بالكامل لهذا التوجه .

فأعمال حسن فتحى كانت عمارة للفقراء ، عمارة شعبية لإسكان الناس ، فعندما يستخدم نفس هذا الفكر فى مشروعات سياحية فإن الرمز والقيمة تسقط مدلولها تمامًا ، وهذا ما نعيشه حتى الآن .

فحرب الخليج ، وانهيار الاتحاد السوفيتى كانا هزيمة كبيرة للمشروع الإسلامى .

وتواكب مع ذلك دمغ الفكر الإسلامى بأنه فكر متسلط ، أو متعصب ، وكان لذلك مردوده على العمل المعمارى .

أما السؤال السادس عن مدى تفاعل الفكر والفقه الإسلامى بالحالة الراهنة فى العالم؟ ، ففى رأيى أن هناك قصور فى التفقه الفكرى المعمارى ، فنحن نقف فى هذه اللحظة أمام موروث بالغ الثراء ، ولكن يقابله حركة فكرية بالغة الضآلة فى المقارنة بين ما هو كامن فى هذا الموروث من قيم .

وفى رأيى أن التفقه هو الوصول إلى جذور أو أصول المبادئ الحاكمة للعمل المعمارى الموروث ، ونحن بحاجة إلى اجتهادات كبيرة جدًّا ، وتفقه أكثر فى العمل المعمارى الموروث ، وإعادة طرحه ، كما نحاول أن نفعل نفس الشيء فى مجال النصوص والتشريعات .

فالسؤال : كيف يعاد طرح الفن الإسلامى مرة أخرى ؟ كيف يمكن طرح المعمار الإسلامى للمسلم المعاصر والإنسان المعاصر ؟

وللأسف عندنا قصور شديد فى هذا الموضوع .

أما السؤال السابع عن مدى تأثر الفكر الإسلامى المعاصر بتيارات الفكر العالمية ؟

فقد تعرضت فى ثنايا الكلام إلى طرف من هذا ، ولكن من الممكن الحديث عن أمور محددة .

فالمعمارى أو العمرانى أو الفنان المسلم كان يتعامل مع العمل على مستويات متعددة لم تكن واردة

للمعمارى والفنان المعاصر أو الحداثى .

وذلك أنك عند الحديث عن أى عمل معمارى أو أى عمل مبدع فأنت تتحدث عن بعد نفعى وبعد موضوعى .

ودائما المعمارى ، أو الفنان الحداثى يواجه أى مشكلة من الناحية المادية ، ويختصر مجال توجهه المبدع على حيز المادة ، فيتكلم على إنشاء ، يتكلم على وظيفة ، يتكلم على مواد بناء ، يتكلم على تشكيلات ومستعمل ومؤسسة يعمل لحسابها ، حتى لو أن المؤسسة هى الكنيسة ، أى مؤسسة دينية ، ولكن المؤسسة هذه شخص ، فهو يتحدث عن البعد المادى لهذه المؤسسة .

أما بُعد التخطى ، أن يتخطى ذلك إلى آفاق أخرى ، فهى وجهة الفنان المسلم ، والذى يتوجه بشكل موضوعى إلى وجه الله سبحانه وتعالى ، وهذه قضية مهمة جدًّا ، وهى قضية من الصعب فهمها والتحدث عنها ، ولكنها تمثل جوهر الخلاف بين الموقف الإبداعى للفنان المسلم والفنان غير المسلم ، أو بعبارة أدق الفنان غير المؤمن ؛ لأن التقليد الإيمانى أيًّا كان يضع ذلك الإنسان المنتج فى حيز إبداعى يمكنه من التعامل مع الواقع المادى ، وفى نفس اللحظة يستطيع أن يتخطى ذلك إلى آفاق من الصعب إن لم يكن من المستحيل وجدانيا على الفنان غير المؤمن أن يطرقها ؛ لأنه بحكم تكوينه العقيدى غير مؤمن ، يعنى أنه علمانى ، لا يملك أساسا هذه الطاقات .

فمثلاً فى قصر الحمراء فى الأندلس نرى نقشًا على الحوائط ، ونرى أنه كلما استرسل الفنان فى صياغات زخرفية يذكر كلمة لا غالب إلا الله .

انظر كيف سيطرت عليه العبودية لله ، ففى حين يصل النقش إلى درجة من الإبداع المذهل ، ولكنه مهما اشتغل، ومهما عمل فمآله إلى هذه الحالة الوجدانية التى يضع نفسه فيها، حالة ترفعه إلى حيز من الإبداع دعنى أصفه بأنه يختلف - ولن أقول : إنه أعلى أو أدنى أو أحسن أو أسوأ - عن الحيز الذى يضع الفنان العلمانى أو الفنان غير المؤمن نفسه فيه ، ويرفع نفسه إلى حيز الإبداع خلال وسائل وأدوات كثيرة ، منها أنه كان يشرب وأنه يقرأ ... وكلها أمور مادية ، وهذا اختلاف مهم جدًّا .

ولكن فى نفس الوقت ، هذه الحالة الوجدانية التى تواجد فيها الفنان المسلم

بحكم إيمانيته هي حالة أوصلته لكثير من المدركات وأساليب الإدراك غير المطروقة للفنان العلماني .

ولكن الشيء العجيب والذي فيه درجة من التشويق الفكري ، أن الاكتشافات العلمية الحديثة وصلت إلى شيء مماثل للآفاق التي طرقها الفنان المسلم خلال هذه النقلات الوجدانية العميقة جدًّا ، ولكن الأول وصل من خلال التجريب العلمي ، والثاني وصل من خلال الوجدان ، فإذا نظرت مثلاً لصور التكوين الداخلي للذرة ، ومكتشفات الفضاء ... إلى آخره ، وتقارنها بالتصورات التي كان يطرحها الفنانون المسلمون في القرن الثاني عشر تجد أن فيها تشابها كبيرًا جدًّا. إذن هناك أرضية من اللقاء ، ولكن كل طرف يقاطع الآخر ، ويعتبر أن طريقه مختلف تمامًا ، فالعالم الذي يصل للتكوين الداخلي للذرة الذي يشبه أو يقترب من التكوين الشكلي لما كان يرسمه الفنان المسلم في تعبده ، وتشوقه، ووجده ما زال يقول : أنا استكشف وأجرب ، لكن أنا غير مؤمن بخالق واحد ، وهنا نصل إلى مقولة مهمة جدًّا لعالم إنجليزي مشهور اسمه Steven Hawken يعمل في مجال الكون حيث يقول : أنا أريد أن استكشف كيف يفكر الله؟

ومن جهة أخرى فإن في مراجعات ما بعد الحداثة هناك أرضية للقاء غير مستكشفة بالكامل ، وغير مطروقة بالكامل لأن الطرفين ليس عندهما الثقة الكافية ، أو الاطمئنان الكافي للطرف الآخر، فالإسلاميون يقولون مثلاً : إن هذه المستكشفات شئ جميل ، ولكن المجتمع المعرفي العلمي هذا غير مؤمن ، وبالتالي فبالرغم أن استكشافاته تماثل مستكشفاتي على المستوى الوجداني ، إلا أنه وصل لها بالتجريب ، وأنا وصلت لها بالوجدان .

ومع هذا فإنني أرى أن هناك مساحات للاقتراب كبيرة جدًّا ؛ لأنه بغض النظر عن موقف الشخص الذي أحدث الاكتشاف، فإن المجال مفتوح أمام الفكر المسلم المعاصر، ولديه مجالات كبيرة جدًّا من التأمل والتدبر في الكون والتأمل والتدبر في مكتشفات العلم الحديث .

أما عن السؤال الثامن هل بدأت الأفكار الإسلامية تطرح نفسها على الصعيد العالمي ، وما أهم مجالات

الحوار التى دخلت فيها مع الفكر الآخر ؟

أرى أنه من الواجب الإشارة فى مجال الفكر المعمارى الإسلامى إلى أن هناك ثلاث سمات مهمة جدًا :

السمة الأولى : على مستوى العمران أى مستوى المدينة ، فلو أنك نظرت أثناء الطيران فوق مدينة مثل مدينة فاس، أو مدينة مراكش ، أو مدينة سمرقند ، تجد نسقا معينا فى البناء يشكل هذه المدينة ، هذا النسق هو نتاج آلية مجتمعية وتنظيمية استقت سننها وأصولها من الفقه الإسلامى ، وهذا أُرخ وكتب عنه.

وهو يعنى أن هناك نظام ما يمكن من خلاله أن تنمو وتنظم المدينة حتى تنتج «نسجة» تعبر عنه .

والمراد بالنسجة : مواقع الأشياء ، مواقع البيوت ، مواقع العناصر ، وعلاقتها ببعضها ... إلى آخره ، هذه النسجة تعبر عن مجتمع حى ، وتكون نتاجًا عنه ، فكل مجموعة تبنى بيوتها وتعبر عن احتياجاتها ، والمدينة ككل نتاج عن احتياجاتنا ، ونتاج عن مجتمعنا.

هذه سمة متفردة للعمران الإسلامى ، وهذه هى أقصى ما يسعى إليه الفكر العالمى فى مجال العمران اليوم ، كيف تنتج مستقرات إنسانية قرى ومدن ... إلى آخره ، بحيث تكون المدينة ويكون نسيجها نتاجًا لمجتمعها .

وهذا هو المحور الأول الذى يمكن أن يسهم به الفكر العمرانى الإسلامى فى العالم ، ويحل إشكاليات كثيرة جدًا .

السمة الثانية : على مستوى المبنى أو على مستوى العنصر أو الكيان ، هناك الكثير جدًّا من الوثائق الآن ، ومن الآثار الموجودة ، أو حتى الأعمال الأكثر حداثة نجد فيها آليات ، وعمليات تنظيمية ، وعمليات تقنية يمكن أن تغذى العقل العربى الإسلامى بأسلوب تنظيم المبنى ، وأسلوب تنظيم بناءه ... إلى آخره ، مما يمكن أن يعد فتحًا جديدًا فى مجال تصميم المبنى وتنظيمه وتنسيقه وصياغة فراغاته .

ولست أريد أن أقول : أننا يمكن أن نطرح على العالم طرازًا جديدًا ، لكن يمكن أن نسهم - وليس عندى أدنى شك - من خلال الفكر أو التفقه فى الفكر المعمارى الإسلامى عبر العصور فى طرح صياغات جديدة لعمائر ومبانى وفراغات جديدة غير مسبوقة ،

يعنى لم نرها قبل ذلك ، لا فى الآثار الإسلامية ، ولا فى الموروث الإسلامى، ولم نرها فى العمارة الحديثة ، وعندى قناعة كاملة بهذا ، وهو صلب عملى ، وعمل كثير من زملائى ، فما نطرحه الآن فى مبانينا يرتكز على فكر إسلامى ومستوحى ومصاغ منه ، لكنه يطرح عمارة جديدة ، وفراغ جديد غير مسبوق ، وهذه قضية مهمة جدًا أن تكون هناك أصالة واستشراف لعمارة جديدة بالكامل .

السمة الثالثة : أن لكل حضارة أو ثقافة جمالياتها ، فالإسلام متمثلاً فى أصوله القرآن الكريم والسنة النبوية له جمالياته ، يستشفها المسلم حين يقرأ القرآن ، ويستشفها غير المسلم حين يسمع القرآن ، يستشفها العالم حين يرى فى ذلك الأثر أو ذلك ... ، وهذه الجماليات هى رصيد ، أو نبع للـ expressions لنوع من التحفيز ، أو الشحذ العاطفى والمعنوى القادر على إنتاج جماليات خاصة بنا ، وبالغة القيمة لأى إنسان ، سواء أكان مسلمًا أو غير مسلم .

والمراد بالجماليات أنك حينما تسمع القرآن ، وحينما تتدّبر فيه ، أو تسمع له تجد وقعه عليك ، نعم فيه معنى ، وفيه دلالات ، وفيه نصوص ، وفيه تعليم....

وفيه أيضا مستوى آخر من التأثير كما لو كان يغلفك فى حيز أنا أسميه حيز من الجمال والرحمة .

حينما تسمع صوت مؤذن جيد ، وآخر غير جيد ، الفرق كبير جدًا ، رغم أن كلا الحدثين يعلمك بأن ثمة صلاة قد وجبت ، ولكن المسلم الآن مطالب بأن يسعى ويصر على حقه فى أن يظهر جمال الإسلام ، وأعتقد أن هذه هى معركة المسلم المعاصر . فالإسلام قائم ، محفوظ بحفظ الله تعالى، لكن نحن كمسلمين لن يقوم لنا قائمة فى العالم المعاصر إلا إذا قمنا بما علينا من واجبات، ومنها أن يتمسك المسلم بجمال الإسلام ويحيل ذلك التمسك إلى فهم ، وإلى إدراك ، وإلى قدرة على ترجمته إلى أشياء ، وكل هذا فى إطار جميل ، وبالتالى يصبح هذا العالم الذى نصوغه كمسلمين آتٍ من مبادئ الإسلام ، ومن قواعده ، وهذه هى الرسالة التى يمكن أن يسُهم بها الإسلام للعالم القادم، وفى هذا الإطار الجمالى .

والجمالى لا أقصد به : حلو ، بل أقصد قيمى ، متماسك ، متوازن ، وهو

ما نلخصه فى كلمة : الجمال .

فمثلاً إذا قدمت من مسافة بعيدة ، وهناك مقرئ يقرأ القرآن بصوت عذب وجميل جدًا وأنت غير متبين للكلمات بسبب بعد المسافة ، ورغم هذا ستكون فى حالة روحانية عالية ، هذا هو الجمال ، أنك رغم عدم تبينك للكلمات، ولا تعرف فى أى سورة يقرأ، إلا أنك تأثرت بمجرد القراءة ، أو بما أسميه الحيز الأعلى والأعم ، هذا الحيز يجب أن نتمسك به ، ونجتهد جميعا فى أن نحوله إلى واقع ، وأشياء ، وعلاقات، وسلوك ، وعالم نطرحه على العالم على أنه عالمنا ، أنا اعتقد أن هذا هو الـ Contribution وهو الإسهام الرئيسى للمسلمين .

أما عن السؤال التاسع : عن تشابه المشكلات .

هناك ثوابت ومتغيرات ، وإن كنت غير مقتنع تمامًا بصدق هذه الملاحظة ، فبداية القرن الواحد والعشرين تختلف عن بداية القرن العشرين ، فهناك تشابه بين المشكلات المطروحة على الفكر الإسلامى فى بداية القرن والمطروحة فى نهايته لأن هناك ثوابت .

إلا أننى لست من أنصار هذا التقسيم القرنى ؛ فالقرن يعنى نظامًا زمنيًا موضوعًا ، والزمن له أبعاد كثيرة ، فإذا اتفقت أنا وأنت على أن نمضى ساعة فى الحديث عن شئ ما ، فنحن نصطلح على أن نرجع إلى مقياس موضوع لنا ، ولكن ما الذى يحدث فى هذه الساعة فهذا متروك لما نعمله أنا وأنت ، فبالتالى هناك الزمن كإطار تنظيمى لعلاقة ، وهناك الزمن كنتاج ، فمن الممكن أن نقلب الدنيا أنا وأنت فى هذه الساعة ، وممكن أن نقعد ننتظر فى هذه الساعة أن يحدث أى شيء .

إذن هناك بُعد وضعى موضوع للزمن ، وهناك بُعد مخلوق للزمن .

وبالتالى فاليوم عندى أكثر مصداقية من القرن ؛ لأن اليوم مرتبط بنظام مخلوق موضوع ، ومعروف ماديا بالفعل، فهناك شروق وغروب ، وحركة دوران ... إلى آخره .

أما القرن فكونه هو مائة سنة ، أو مائة دورة من دورات الأرض حول الشمس ، لماذا لم يكن القرن (١٢٠) ، أو (١٣٠) ، أو أقل ، هذا مجرد اتفاق ، ولهذا أنا لا آخذه بجدية شديدة ، لا آخذ القرن التاسع عشر بجدية ، إلا فى حدود أنه إطار موضوع نحن الذين

وضعناه ، واتفقنا عليه ، فمثلا سنتفق على أنه فى هذا القرن سنعمل كذا وكذا وكذا ، أو لا نتفق ونتشاحن ... إلى آخره .

فأنا أنظر إلى الزمن من شقين : الموضوع والمخلوق أو المسبق ، فالموضوع يمكننى من أن أتعامل مع الزمن بقدر أننى جزء من إطار الاتفاق ، أنا جزء من مجتمع مصرى ومجتمع عربى ومجتمع إسلامى ومجتمع عالمى ، اتفق على أنه يشتغل هذه السنة ويعمل كذا ، واتفق أنه يوقع اتفاقية الجات ، ووضع الأطر الزمنية .

ولكن فى نفس الوقت أنا مدرك أن فيه بُعد مسبق للزمن ، وأننى لا أستطيع أن أسمو بفعلى فى أى لحظة من اللحظات أو أتخطى البعد الموضوع دون فهم وإدراك للبعد المخلوق أو المسبق .

فمثلاً احتفلت مصر بالألفية الثالثة عند سفح الهرم ، لكن هذه الاحتفالية ليست جوهرية إلا بقدر أن هذا المجموع الذى هو المجتمع المصرى ، أو مجتمع القاهرة ، أو المجتمع المصرى ثم المجتمع العالمى يتفق فى إطار البعد الوضعى أو الموضوع للزمن ، يتفق على أن يحدث شىء له دلالة كونية كأن نتخلص من وباء بيئى ، أو وباء سياسى ، ففى هذه الحالة يحدث وصلة بين الموضوع والمسبق أو بين المادى والنسبى .

يمكن الجدوى الحقيقية للموضوع أننا فى نهاية القرن بالمقياس الوضعى هذا يجب أن نتدبر فى المتخطى ونبحث عن وسائل للتخطى إلى الواقع الوضعى الذى خلقناه بأنفسنا ، أو باتفاقنا أو عدم اتفاقنا ، فوضع العالم الإسلامى سيىء جدًا ، لأن الآخرين لهم الغلبة ، وأقصد بالآخرين الذين لا يصفون فى صفك ، والذين يرونك كآخر ، هؤلاء لهم الغلبة الحقيقية ، سواء أكانت معرفية أو سياسية أو اقتصادية . وللأسف الشديد ليس عندى إجابات عن كيفية تخطى ذلك الوضع .

وعلى المستوى المعمارى على الأقل علينا أن نسقط من حسابنا الآن أن تقوم الأعمال المعمارية على ركيزة من الفكر الإسلامى ؛ لأن أولى الأمر أصبحوا لا يملكون الإرادة السياسية الكاملة أو الإرادة الكاملة التى تمكنهم من اختيار هذه الاختيارات الفكرية ؛ فالإرادة السياسية الموجودة فى كوالا لامبور مثلاً لن تبنى جامعة إسلامية مرة أخرى ، ولن نطمع فى واحة العلوم والفضاء

أخرى في الرياض تُبنى من خلال فكر إسلامى عمرانى ، ليس هناك إرادة سياسية .

فالجهد الآن أمام المفكر الإسلامى أو المسلم أو المعمارى العمرانى المسلم أن يشحذ طاقاته نحو استكشاف وتدبر آليات هذا التطبيق ، وجماليات ذلك الفكر وجماليات نتاجه .

لكن من المحتمل أن تكون هناك ثغرة مفتوحة لك لكى تعمل ، وهذه الثغرة رغم ضيقها وصغرها فإنها بنفس درجة الأهمية ، لو كنت بنيت واحة العلوم كاملة لماذا ؟

لأن العبرة بالغرس ، والغرس يكون عن طريق النظم والآليات ، واستكشاف وانتشار المعارف ، وهذه كما أنها ليست مُحايدة ، فليست أيضا فى يد أحد بعينه .

فمثلا واحة العلوم والفضاء التى كانت مقترحة فى الرياض قبل حرب الخليج كنا نزعم أنه يمكن أن يكون هناك نظاما للتبريد والتهوية الطبيعية الذى لا يعتمد على النفط تماما ، وهذا النظام يمكن أن ينظم كل المشروع ، لو سمح لك ، لو أتيحت الفرصة لعمله ، بناء على فهمك وإدراكك وتعاملك مع العناصر الطبيعية ... إلى آخره ، ثم وضعه فى مصفوفة معرفية تجعله أعم وأوسع .

ونحن مقدمون على عالم تقاس فيه قوة وضعف البشر أو الجماعات ليس بالتمكن من ثروة مادية أو قوة عسكرية وحسب ، ولكن الثروة الحقيقية التى ستحكم العالم القادم هى ثروة معرفية ، والتميز والفرز يحدث الآن بناء على هذا، وتلك إرادة الله سبحانه وتعالى ، وهذا الفرز سيكون من خلال تعقبات سريعة جدًا ، وليس عندنا مؤسسات معرفية لكننا نزعم أننا نمتلك نهجًا معرفيًا ، ولو كان هذا الزعم صحيحًا فلنطبقه .

إنه النهج المعرفى الإسلامى ، كيف تقترب من المعرفة ، من خلال ملكاتك العقلية ، والمنطقية ، والمادية ، وفى نفس الوقت ملكاتك الوجدانية .

نحن نقول : إننا نمتلك ذلك ، إذن فلنعمل ، ولننتج ، ولنواصل العمل فى أقصى طاقة وقدرة على التواصل مع المصفوفة المعرفية .

ولهذا فأنا أتصور أن الغزو الإسلامى القادم هو غزو معرفى.

لقد جربنا الغزو العسكرى ، ومحقنا

به ، ولم يتح لأمة معاصرة ما توفر للعرب من مصادر ثروة فى العشرين سنة الماضية ، ولم ير التاريخ المعاصر إهدارًا للثروة ، كما أهدرت ثروة الأمة.

وإذا فقدنا هذا التفوق المعرفى ، فلن يكون لدينا شىء ، فهذه هى الفرصة الأخيرة لنا ، ولا ينبغى أن نفوتها ، ولا ينبغى للمفكرين المسلمين أن يغفلوا عن هذا ، وهذه عملية شديدة الوضوح والاستقامة ، أنت تمتلك أدوات معرفية وعليك تشغيلها فورًا ، It is the time هذا هو الوقت .

وفى أى مجال ، فى مجالنا المعمارى مثلاً لن أقعد أحلل مفهومًا تجريبيًّا محضًا كى أصل إلى إبداع معمارى ، لكن أحلل مفهومًا تجريبيًّا وماديًّا ومعنويًّا ، وبكل وسائلى بما فيها الصلاة والدعاء لله أن يفتحها علينا .

هذا هو التحدى الحقيقى أن تمتلك إطارًا فكريًّا يميزك ، وأن تكون له مصداقية .

ولا بد أن تكون ابن عصرك ، لابد أن تكون متصلاً بمعارف عصرك ، ولك فى نفس الوقت أدواتك المعرفية ، وستكون لك الغلبة ، أو على الأقل ستكون لك مكانة ، وفى مجال المعمار ليس عندى شك فى أن لدينا مقومات الغلبة لأن ننتج لعالمنا العربى والإسلامى وللعالم قاطبة إذا سنح لنا ذلك عمارة تعبر عن احتياجات الناس ، وتستجيب لهم ، وتكون نتاجًا لمشاركتهم .

وهذه هى المعادلة الصعبة جدًّا ، عندنا تراثنا كله، والآليات كلها موجودة ، ثم ننتج مبنى أو مبانى بها حس فراغى غير مسبوق ، وأنا أعنيها : غير مسبوق .

ثم إن الجماليات التى يحتويها ذلك الفكر ، وذلك الإطار ، وتلك العقيدة ، وهذا القرآن ، جماليات لم تستكشف بعد .

فعندى ثروة معرفية كلها معرفية ، وعندى آفاق تستحوذنى أنا وعشرات الأجيال من بعدى مفتوحة أمامنا .

وإذا كان التحدى الحالى هو العولمة ، فقد يبدو للبعض أن الحل فى التمسك بالخصوصية .

ولكن الأمر ليس بهذه البساطة ، بل الحل فى الإمساك بكل أدوات المعرفة المعاصرة ، لأن العولمة ليست عملية مغلقة ، كما أن الخصوصية ليست هى المقابل للعولمة .

رؤى وحوارات

حركة الفكر الإسلامى المعاصر خلال القرن العشرين

أ. د. محمد فتحي عثمان (*)

السؤال الأول: متى بدأت المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى المعاصر، وما العوامل التى أدت إليها؟

الدكتور محمد فتحي عثمان : منذ الخمسينات في أعقاب الحرب العالمية الأخيرة على نحو موسع ، وعلى نحو أكثر معاصرة وتحدّدا منذ السبعينات ولاسيما أواخرها .

السؤال الثاني: ما أهم تيارات الفكر الإسلامى المعاصر خلال القرن العشرين، وما أهم عناصر كل تيار من تلك التيارات؟

الدكتور محمد فتحي عثمان : التيار الذي اصطلح الغرب علي تسميته «بالأصولية» ولم نتفق بعد على تسميته، ولكن المسمّي معروف بنزعاته السلفية والسياسية الحركية ـ التى استهلت حركية جماهيرية وصارت الآن غالبًا حركية وليست بالضرورة جماهيرية ، ويقترن ذلك بدرجات متفاوته من الجمود والتطرف تأثرًا بنزعة تاريخية منغلقة في فهم الإسلام وشريعته وتراثه الفكري والحضاري وفي العمل لإحياء ذلك بين المسلمين الآن . وقد يصل التطرف في بعض أجنحة هذا التيار إلى العنف ، لكن ما زالت هذه الظاهرة

(*) - باحث ومفكر إسلامي مقيم بالولايات المتحدة الأمريكية.
- حاصل على دكتوراه فى التاريخ وأخرى في القانون.
- أستاذ بالجامعات الأمريكية .

حتي الآن محدودة محصورة غير غالبة على التيار ولامقبولة بين الجماهير .

ثم تيار «الأصالة المعاصرة » أو «المعاصرة مع الأصالة» المعني بالإنسان وتفرده في نطاق الجماعة والمجتمع وبجميع أبعاده ، مع تأكيد على «حقوق الإنسان» الفردية والجماعية ، ودور المؤسسات في المجتمع التى ليست هي الدولة فقط.

السؤال الثالث: ما هى القضايا الأساسية التى طرحتها هذه التيارات الفكرية المعاصرة؟

الدكتور محمد فتحي عثمان : في أعقاب الحرب العالمية الأخيرة حسب التحديد الزمني الموسع : الالتزام بالإسلام فكرًا وسلوكًا والعمل لتحرير البلاد الإسلامية تحريرًا شاملاً ثم إقامة الدولة الإسلامية التى تحكم بشريعة الإسلام في مختلف مجالات الحياة . بالنسبة للتحديد الأضيق : ركزّ التيار المسمي بالأصولية على إقامة الدولة الإسلامية والحكم بالشريعة والتزام الأفراد والمجتمع في مظاهره السلوكية ، مع بعض الجمود والانغلاق أحيانًا فيما يتعلق بالمرأة والمعاملات والحكم والعلاقات الدولية . بينما تركزّ الأصالة المعاصرة علي «الإنسان» بجميع أبعاده مع تأكيد حقوقه وتأكيد «البعد التاريخي» والدينامية في فهم الإسلام وشريعته في المصادر الإلهية الثابتة الدائمة لتنزيلها على الواقع المتغير حسب ظروف الزمان والمكان .

السؤال الرابع: ما مفهوم الحركة لديكم؟

الدكتور محمد فتحي عثمان : الفكر العميق المتفاعل مع الواقع المتغيّر ، والمتواصل معه فكرًا وعملا ، والمتعاون مع المؤسسات الفكرية والعملية القائمة .

السؤال الخامس: هل للحركات الإسلامية المعاصرة جذور فكرية انطلقت منها، أم نشأت بصورة حركية صرفة؟ وهل حينئذ ولدت الحركة فكرًا؟

الدكتور محمد فتحي عثمان :جمعت الحركات الإسلامية المعاصرة بين جذور صوفية (تربوية وتنظيمية) وسلفية بصورة سطحية مع نزعة تاريخية منغلقة ساذجة ، لكن الحركة كانت هي السائدة ، وولدت الحركة فكرًا عامًا سطحيًا ربما أعان على تأكيد الهوية الإسلامية للمسلمين في أعقاب الاستعمار والتبشير وما اتصل بهما،

لكنــه لا يمكن أن يرســخ ويولـد فكرًا متناميًـا باستمرار، وأنا أعنى هنا بطبيعة الحـال مـا أعرفـه مـن حركـات في العالم العربي وشبه القارة الهندية بوجه خاص.

السـؤال السـادس: إلى أى مدى تفـاعل الفكر والفقـه الإسـلامى بالحالة الراهنـة للعـالم ، ومـا يكتنفهـا من تغيّرات؟

الدكتور محمد فتحي عثمان : لابّد من التقرير أولا أن الفـارق في مدى «التغـير» بين البلاد المتقدمـة والبلاد الناميـة ـ ومنها بلاد المسلمين ـ ضخم مهـول ، أما مدى تفـاعل الفكر والفقـه مع الحالـة الراهنـة للعـالم ، فتغلب عليه السطحية ، ومحاولـة مسـايرة الشكل أحيانًا في صورة العرض أكثر من مراعاة العمق من حيث الموضوع، مع ظهور بوادر إيجابية مشجعة في أواخر القرن .

السؤال السابع: إلى أى مدى تأثر الفكر الإسـلامى المعـاصر بالتيـارات الفكرية العالمية؟

الدكتور محمد فتحي عثمـان : تأثر الفكـر الإسـلامي المعـاصر في الستينات بصفة خاصة ـ أو منذ أواخر الخمسينات ـ بالاشـتراكية ، وتـأثر مـن قبـل ذلك وبعده بالديمقراطية بدرجات متفاوته ـ لا الليبراليـة بأبعادهـا وأعماقهـا المعروفـة . كمـا تـأثر الفكـر الحركـي الإسـلامي بالماركسـية، إلى جـانب تـأثره بفكر الخوارج ودعاة السلفية المتأخرين بالنسبة للمسـلمين المخـالفين، ولكن مـا تزال التسـلطية وفـرض الإصـلاح مـن أعلا authoritarianism ، والشمولية Totalitarianism تسود فكر المسلمين ، تغذيها أفكار مثـل «المستبد العـادل» أو انتظار «المهدي» الـذي يملأ الأرض عدلاً كمـا ملئت جورًا . وتحـاول «الأصالـة المعـاصرة» تـأكيد البعـد الإنسـاني في رسـالات الله ودعوتهـا لتوحيد ا لله وإفراده بالعبادة وتأصيل حقوق الإنسان لا مسـئولياته فقط ـ إسلاميًا ، وتأكيد الجهد الإنسـاني المطلوب لإنتـاج الفكر الإسلامي المنشود .

السـؤال الثامن: هـل بدأت بعض الأفكـار الإسـلامية تُطرح على الصعيد العـالمى؟ ومـا أهـم مجـالات الحوار التى دخلت فيها مع الفكر الآخر؟

الدكتور محمـد فتحي عثمان : نعم، ويشغل بال المفكرين والساسة في الغرب قضية «الإسلام السياسي» وإقامة الدولة الإسلامية وتحكيم الشريعة ، وما يترتب على ذلـك من آثـار على العلاقـة بالآخر

داخل المجتمعات المسلمة وخارجها ولاسيما وما يتعلق بالدول الغربية في أوربا وأمريكا فكريًا وعمليًا ، وما قد يقترن بذلك من احتمالات التصادم الذي قد يقترن أحيانًا بالعنف، ويحاول التفكير السياسي الغربي مواجهة ذلك بالخطط المعروفة «بالاحتواء» أو وقاية البلاد الإسلامية ومنع وصول الإسلام للسلطةأو عزله، ومع ذلك بدأت محاولات في الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وفرنسا وغيرها لفتح قنوات اتصال وحوار مع المسلمين من جانب الحكومات ، كما ظهرت جماعات إسلامية منفتحة على الاتصال والعمل مع هذه الحكومات . هذا إلى جانب الحوار الإسلامي المسيحي على مستوى الهيئات الدينية ، ومجالس المدن ، والجامعات والمدارس . وهو يتقدم بخطى ثابتة حتى أصبح أحد معالم الحياة الغربية، لكن هذه الخطى ليست سريعة أو واسعة النطاق في آثارها حتى الآن .

السؤال التاسع: نلاحظ تشابها شديدًا فى المشكلات والأطروحات المعروضة على الفكر الإسلامى فى بداية القرن مع تلك المعروضة فى نهايته، ما مدى صدق هذه الملاحظة وما أسبابها؟

الدكتور محمد فتحي عثمان : الملاحظة واردة ولها ما يؤيدها . ومن أسبابها الهامة أنه لايزال هناك فارق «كيفي» ضخم - لا «كمي» فقط بين تخلف المسلمين وضعفهم من ناحية وتقدم الغرب وقوته من ناحية أخرى ، ولهذا أثر فعال في استمرار «انكفاء» فكر المسلمين على أنفسهم وانحصارهم في ماضيهم ومحاولة إعادة ذلك الماضي عن طريق الاجترار النفسي الفكري على الأقل. وقد بدأ يستعين على ذلك بما يتناثر عن نقط الضعف في المجتمعات الغربية ، وانهيار الكتلة الشيوعية في الاتحاد السوفيتي وشرقي أوربا ، وتراجع دول غربية مثل بريطانيا ، وما تواجهه دول مثل ألمانيا واليابان من مشكلات عويصة وهكذا ، وبهذا بدت الدول الغربية وما يلحق بها في تضاريس متباينة موزعة قد تكون من بينها أجزاء معزولة، وليست «كتلة» متماسكة - كما تتأكد التناقضات أحيانًا بين الولايات المتحدة ودول غربي أوربا وفي داخل الاتحاد الأوربي نفسه ، وهكذا - ومن ناحية أخرى لم تنقطع المصادمات بين المسلمين ودول غربية مثلما كان في

البوسنة وتشيشنيا وفلسطين (باعتبار إسرائيل حليفة استراتيجية للغرب) وهكذا . فلم تتغير الخريطة السياسية في خطوطها العريضة الواسعة جدًا ـ والمضللة أحيانًا ـ في مواجهة المسلمين للغرب سياسيًّا ـ كما تعكسه كتابات جمال الدين وخطبه، أو فكريًّا ـ كما تعكسه كتابات إقبال والمودودي أو سيد قطب وإن كان التغير ضخمًا وخطيرًا في التفاصيل .

السؤال العاشر: ما أهم التحديات التى تواجه الفكر الإسلامى فى مطلع القرن الحادى والعشرين؟

الدكتور محمد فتحي عثمان : التحدي الذي يتزايد أمام المسلمين في القرن الجديد هو « مواجهة المسلمين للمسلمين» أو مواجهة أفهامهم المختلفة والمتناقضة ، ولاسيما بين « الأصولية» بنزعاتها وأجنحتها و «الأصالة المعاصرة» ومفاهيمها ، وعرض «الإسلام» كرسالة أوحى بها ا لله لصالح «الإنسان» حتى لا يتخذ الناس بعضهم بعضًا أربابًا من دون ا لله . فالتحدى الذي يواجه الفكر الإسلامي الآن ليس من جانب الفكر الاستعماري أو الإلحادي أو الليبرالي ، فمن هؤلاء من قضى نحبه ومنه ما يحاول استعادة الشباب بتغيير الجلد أو شده أو زراعة الأعضاء ... الخ . لكن التحدى من جانب فكر المسلمين أنفسهم وانطوائه وجموده مع تسارع التغير فكرًا وواقعًا في العالم المعاصر ، وهو جمود يهيئ له المناخ الملائم تخلف المسلمين العام فكرًا وواقعًا، بحيث يحمل أي اجتهاد أو تطور لغة غير مفهومة عند غالبية المسلمين . وقد بدت مؤخرًا محاولات راشدة ، تحتاج إلى مصابرة ومثابرة ، وإلى تعميق ومسارعة (أو زيادة في السرعة) لتؤتي أكلها بين المسلمين وعلى النطاق العالمي وا لله المستعان ، ومنه التوفيق .

رؤى وحوارات

حركة
الفكر الإسلامى المعاصر
خلال القرن العشرين

أ. محمد فريد عبد الخالق (*)

اقتصرت إجابات الأستاذ فريد على الأسئلة الثلاثة الأولى لظروف خاصة، مع أمل استكمالها إذا سمح وقت سيادته بذلك.

التحرير

السؤال الأول: متى بدأت المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى المعاصر، وما العوامل التى أدت إليها؟

أ. محمد فريد عبد الخالق : بداية أقول أني إثر اطلاعي على الأسئلة العشرة المطروحة للحوار بدا لي واضحًا أن مدارها في صميم الحالة الإسلامية فكرًا وحركة، وتساءلت عن الهدف الأساسي من هذا الحوار المعنيّ بحركة الفكر الإسلامي خلال القرن الماضي؟ هل هو مسألة مسح تاريخي له، ورصد لجماعاته فكرًا وحركة ومنهاجًا؟ هل هو في لبّه تحليل ودراسة موضوعية ونقدية للمراجعة والتقويم والتسديد، وإن كانت أسئلة الحوار أدخل في التأريخ لها والتعريف بها ، خلا السؤال العاشر الذي عني بالنظرة المستقبلية وبالتحديات التي تواجه الفكر الإسلامي في القرن الجديد ، فتسعة أعشار الحوار عن الماضي ، وعشرة فقط عن الغد ، وودت لو طالعتنا «المسلم المعاصر» بحوار تالٍ يكون على عكس ذلك ،

(*) - داعية إسلامي .
- عمل مديرًا لدار الكتب .
- من أهم مؤلفاته : «الفقه السياسي الإسلامي»، إصدار دار الشروق - القاهرة .

فيجعل أكثره عن المستقبل ، فالحاجة إليه أمسّ ، ومصيرية ، وحتمية معًا .

أما عن التحديد الزمنى لبدء المرحلة الحالية في الفكر الإسلامي المعاصر ، فمسألة تقديرية إلى حد ما ، يحسن أن نستحضر بين يديها أن الفكر الإسلامي يشكل عطاء قرائح أهل الذكر من الدعاة والمفكرين وعلماء المسلمين ، على تعدد مجالاته وظروفه وصوره ، عبر التاريخ الإسلامي برمته ، ومن ثم فهو تيار متصل الحلقات ، متأثر بالأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتعاقبة ، ومؤثر فيها بدرجة ما ، سواء ما يقع منها في «دار الإسلام» أو في خارجها لاسيما في هذا الزمان الذي تعيش فيه ملايين من المسلمين في غير دار الإسلام لأسباب ودواعي مختلفة مما يفرز فقهًا جديدًا وفكرًا غير مسبوق ، ولا يخرج هذا العطاء الفكري في مجمله عما أدت به الأمة الإسلامية وآحادها أنى كانوا من الدعوة إلى الخير بمفهومه الواسع ، ومن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن تحقيق مقاصد شريعة الإسلام التى كلها مصالح شرعية وعدل، ودفع مفاسد وظلم ، وإذن فالفكر الإسلامي لا يولد من فراغ بل هو داخل في السباق التاريخي للأمة كماهو غير مقطوع عن السباق التاريخي العام للبشر. ويذهب أكثر الباحثين إلى أن عصر محمد على وبعثات بعض العلماء إلى فرنسا واحتكاكهم بحضارة الأوربيين التى حققت لأهلها سبقًا في العلوم والمعارف ، وفي المدنية ، وفي الأنظمة السياسية ، تجسّد معه تخلف المسلمين المدني والفكري والحضاري ، فأطلق العقل المسلم من عقاله وجموده ، سعيًا لإحراز التقدم واللحاق بمن سبق المسلمين في مضمار الحياة في أوجهها المتعددة ، فانقدحت شرارة الحاجة إلى بعث إسلامي وفقه جديد ، وبرز في الأمة قادة فكر إسلامي مصلحون جددوا لها دينها ، واستنهضوها من غفلتها، من أمثال رفاعة الطهطاوي والكواكبي وغيرهما .

ولعل أهم العوامل التى أدت إلى هذا الإحياء الفكري في أواخر القرن التاسع عشر وخلال القرن العشرين ، تكاد تنحصر في أمور ثلاثة :

أولها : نكبة الاحتلال الأجنبي التى منيت به الأمة الإسلامية في فترة ضعفها، وانحطاطها المدني والحضاري ، والتى بلغت غايتها بسقوط الخلافة العثمانية

عام ١٩٢٤م ، ومن قبلها معاهدة سيكس - بيكو عام ١٩١٧م، لتقسيم التركة العثمانية بين الدول الأوربية ، وحصول الحركة الصهيونية على وعد بلفور من الإنجليز بإقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين ، وقد نكبت مصر بالحملة الفرنسية عام١٧٩٨م، ثم بالاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢م ، وأرى أن يعدل عن مصطلح «الاستعمار» الأجنبي ، ويستبدل به «الاستخراب» الأجنبي فهو أصدق وصفًا، وأدق تعبيرًا ، والشواهد على ذلك كثيرة ، كالخراب الذي ألحقه الاحتلال بأمتنا في تفريق كلمتها عملاً بقاعدة المحتلين «فرق تسد» ، وإفساد إنسانها ، ونهب مقدراتها ، وتغريب فكرها وأسلوب حياتها وصرفها عن هويتها الإسلامية ، وإبدالها بالأخوة الإيمانية صراعات وحروب أهلية ، وبالعزة ذلة ، وبالاستقلال تبعية ، وبالوحدة فرقة ، فكيف يكون استيلاء دولة قوية على أخرى ضعيفة أو مستضعفة ، واستثمار إمكانات لصالحها دون أهلها ، واستعباد غيرها ، استعمارًا لها، وقد عرفنا القرآن الكريم معنى «الاستعمار» الصحيح الذي عهد به إلى الإنسان في الأرض ، وأنه تنمية بشرية وغير بشرية من فروض الكفاية التى تقوم بها الحياة الكريمة التى أرادها الخالق سبحانه لخلقه وذلك في قوله تعالى: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ أي جعلكم عمارًا لها لا مخربين فيها .

ولما كان استخراب الأجانب للديار الإسلامية صادرًا عن مشاكلة لهم وحقد مقيم فإنهم لما يكتفوا باحتلالهم لنا بل عمدوا أن يخلفوا وراءهم ما هو أنكى من جنسه يكمل دورهم التخريبي بعد جلائهم ومما يحقق أهدافهم الآثمة في المنطقة العربية ، بأن عمدوا إلى تمكين الإسرائليين من أرض فلسطين ومساندتهم بكل ما يملكون من وسائل وخدع ضد الحق العربي الفلسطيني فى أرضهم لتحقيق مآربهم المشتركة ضد الإسلام والمسلمين ، فأعقبوا الاحتلال الأوروبي العسكري باحتلال صهيوني مدعوم منهم بعامة ومن أمريكا خاصة ، ولازال منذ أكثر من خمسة عقود ما عرف بالصراع العربي الإسرائيلي يجرى بكل فظائعه ومخططاته المرسومة من حروب كلفت المنطقة العربية تضحيات كثيرة في الأنفس والأموال وأورثتها

عداوات نجمت عن سياسات استراتيجية في شعوب المنطقة تمثلت في هرولة المهرولين في القطيع مع العدو الإسرائيلي، تحت مزاعم المصالحة ، والحل السلمي للصراع ، ومحادثات واتفاقات دولية وثنائية ووعود أجنبية كاذبة كلها ، فالصهاينة لا يوفون بعهد، ولا يرقبون في المسلمين إلاًّ ولا ذمة كما وصفهم الله سبحانه في كتابه الكريم منذ أربعة عشر قرنًا ، تحذيرًا لنا منهم وتعريفًا لنا بشاكلتهم التى هي جبلة لا تتغير قطّ . في مثل قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ وقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ وكلها نكبات حلّت بالأمة تتلاحق ولا تتوقف ، ومنها ما نزل بشعب البوسنة والهرسك المسلم من قرابة عقد مضى من عدوان حربي وحشي ، أدمي قلوب المسلمين ، لاسيما وقد استنصروا أمة الإسلام فلم تنصرهم ، استشهد فيه آلاف من المدنيين الأبرياء والمجاهدين الشجعان وشرد في أرض ا لله أضعافهم من يتامي ونساء وشيوخ لا يزالون يعانون من ويلات جرائم الحرب التى تعرضوا لها ولا معين من مسلمين أو غير مسلمين من أدعياء حقوق الإنسان والشعوب الذين تجرى كثير من الدول الإسلامية لعقد شراكة معهم وهم للحق معادون ، وللمسلمين حقدة كارهون ، يناصرون العدو الاسرائيلي على حساب الحق والمسلمين ، سرًّا وجهرًا ، ويزعمون أنهم حماة السلم ورعاة عملية السلام ، وتكرر العدوان بكل جرائمه الوحشية ضد الشعوب المسلمة في كوسوفا ، وفي الشيشان على يد الروس بمثل فظائع الصرب ، وفي مواقع أخرى مثل كشمير وغيرها .

هل يبحث باحث إزاء هذه النكبات عن عناصر أدت إلى ظهور تيارات الفكر الإسلامي ، وحركات الدعاة المصلحين منهم ، الراجية إلى إنقاذ الأمة مما نزل بها من ويلات الغزاة المعتدين ، وإحيائها من موات ؟

وثانيًا : نكبة الأمة في ذهاب وحدتها ، وتفكك عراها ، واختلافها على نفسها ، وعجزها عن أداء ما أئتمنها الله تعالى عليه في كتابه الكريم ، وبينته السنة النبوية الصحيحة ، من حقوق الله، وحقوقها نحو نفسها ، ونحو غيرها، الأمر الذي أطمع فيها أعداؤها ، وأذهب سلطانها ، فكانت ردّة الفعل

الطبيعية من تنبهها بعد غفلة وتشميرها عن سواعدها بعد تفريط وضعف في عزائمها ، وقد تبلج لها عامة ولدعاتها المصلحين خاصة كون وحدة الأمة دينًا، والتفريط فيها خيانة لله ولرسوله وتقصير فيما عهده الله للأمة من أمانات، وما خاطب به الأمة بقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ فقرن الحفاظ على وحدة الأمة وتماسكها بوجوب عبادته وتوحيده، كما ربط بينها وبين تقوى الله واجتناب سخطه وأسباب ذهابها بمقتضى ثوابت سننه في نظام الحياة والعمران البشري ، في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّـةً وَاحِدَةً وَأَنَـا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ، فحدث ما وحدته الأمة من تنادى مفكريها ودعاتها الكبار، بوجوب إعطاء قضية وحدة الأمة أولوية تمثلت في الفكر الإسلامي المعاصر ، تيارات وحركات .

وثالثها : نكبة تدنى أحوال الأمة في وجوه معايشها المختلفة وتخلفها في العلوم والمعارف ، وانحطاطها الحضاري في قرون متأخرة ، حتى خالفت ما وصفها الله سبحانه به في القرآن الكريم من «خيرية» فضلها بها على سائر الأمم. فتحرك الفكر الإسلامي بحثًا عن علة سوء المآل الذي حاق بأمة الرسالة بعد عز كانت عليه ، وظهور دين . فوجدوها في تفريط الأمة في المزايا الثلاث التى استحقوا من أجلها هذا الوصف الشريف كما جاء في قوله تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ﴾ فدلت الآية علىأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هما بعد الإيمان أعظم أركان خيرية الأمة ، وعلموا أن التفرق الدنيوي والخلاف اللذين أصابا الأمة لا يدوم في أمة تقيم ركنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن هذه الأمة ما فقدت خيريتها إلا بتركها هذين الركنين ، فالخيرية معللة بهذه العبادات ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قد يكون بالقلب وباللسان وباليد ، وأقواها ما يكون بقتال المعتدين ومجاهدتهم في سبيل ا لله دفاعًا عن حقوق الله وحقوق العباد ، وعلم أن ما كانت به خير أمة في زمان صلاحها لا يحفظ ولا يدوم إلا بإقامة هذه الأصول الثلاثة . وقدم ركنا الأمر والنهى على الإيمان لأنهما المؤثران في حصول هذه الخيرية، وأما الإيمان فهو

شرط لتأثيرهما ، لأنه ما لم يوجد الإيمان لم يصر شئ من الطاعات مؤثرًا في صفة الخيرية ، والمؤثر ألصق بالأثر من شرط التأثير ، وهما في الحقيقة سياج الإيمان وحفاظه ، وقدما لأنهما صفة محمودة في عرف الناس كافة فقدم الوصف المتفق على حسنه عند الناس مؤمنهم وكافرهم، والناس يجعلون سياج كل شئ مقدمًا عليه، والمراد بالإيمان هنا هو الإيمان الإذعاني الذي يصحبه الإخلاص في القول العمل ، والاستمساك بالدين والعلم بمقتضاه تركًا وفعلاً .

ومن ثمّ إنشغل الفكر الإسلامي في مرحلة الإفاقة من الغفلة ، بوجوب تصحيح فهم الأمة لأصول دينها ، ومقاصد شريعتها ، والعمل بمقتضاه في كل أمور دينها ودنياها ، وأدى بالعلماء إلى تجديد الدين في الأمة ، والعمل علي إحيائها ، وبعثها من سباتها .

ورابعها : نكبة الغفلة عن سنن ا لله في قيام الدول وسقوطها ، ووجوب اتخاذ الأسباب المؤدية إلى إحياء الأمة ، واستعادة سلطانها ، وترهيب أعدائها من عاقبة العدوان عليها .

واستكمالاً لاستدعاء عوامل انبعاث الفكر الإسلامي المعاصر ، يجدر بالباحث استرجاع شريط الأحداث الكبرى التى وقعت في القرن الماضي سواء على صعيد الأمة الإسلامية ، أو تاريخ العالم ، فلها إسهامها في ذلك .

وتشير إلى أهمها فيما وقع لنا ، من سقوط الخلافة ، وحركات الاستقلال الوطنية في دولنا المحتلة ، وتآمر الدول الكبرى على إقامة دولة إسرائيل في فلسطين ، وقيام جمهورية إيران الإسلامية ، وإقامة نظام حكم إسلامي في السودان ، وما تعرضت له البلاد الإسلامية في البوسنة وكوسوفا من عدوان صربي وحشي الحق بها أضرار بالغة ونال من الدماء والأعراض وتشريد أهلها ، وقبله ما تعرض له المسلمون في الشيشان من عدوان روسي غاشم ، شكل جرائم حرب ممنوعة دوليًّا، وأحادية النظام العالمي بعد ثنائية تاريخية، وبروز عصر التكتلات الدولية سياسيًّا واقتصاديًّا ، وعسكريًّا ، وتنامي ثورتي المعلومات والاتصالات والتقنيات التكنولوجية في الدول المتقدمة التي وسعت الفجوة بين الشمال والجنوب ، وزادت من منظومة التحديات التى يواجهها الفكر الإسلامي المعاصر في معركة إحياء الأمة وانقاذها من المخاطر

المحدقة بها ، وسلاح العولمة ، والسوق الحر الأوروبي الذي زاد من واردات الأمة وقلل من صادراتها، وأخل بميزانها التجاري إلى ما هو دون الوضع الحدّي، وتغريب المجتمعات الإسلامية ، والمحاولات المستمرة لطمس خصوصية الأمة وهويتها ، وغيرها من السياسات والتوجهات التى تركت أثرها في الحالة الإسلامية عامة .

السؤال الثاني: ما أهم تيارات الفكر الإسلامى المعاصر خلال القرن العشرين، وما أهم عناصر كل تيار من تلك التيارات؟

أ. **محمد فريد عبد الخالق** : هناك سؤال يفرض نفسه قبل الشروع في الإجابة ، ذلك أن مفهوم كلمة «تيارات الفكر الإسلامي المعاصر» ليس محددًا، فهو يلتبس بمفهوم «الحركات الإسلامية» التى ورد ذكرها في السؤال الخامس ، فهل لهما معنى واحد عند واضع الأسئلة، فإن كان ذلك فلماذا التلبيس لاسيما وهناك شكوى لا خلاف عليها في شأن كثير من المصطلحات المتداولة في الساحة الفكرية ينقصها التحرير لاستقامة الحوارات والأحكام التى ترد فيها. وعلى كل حال فأنا لا أتصور وجود تيار فكري إسلامي أو غير إسلامي ، معاصر أو قديم ، دون أن يكون وراء التيار حركة توجده وتدفع به في مساره ، حركة فكر أو ضخ فكري من صاحبه في المجتمع ، والفكر مصدر ، والحركة قوة دفع لهذا الفكر ، فيمكن أن يقال أن ثمت تيارًا فكريًّا إسلاميًّا توفيقيًّا بين الأصالة والمعاصرة ، بين الإسلام وبين الديمقراطية الغربية لوجود مربع مشترك يتمثل في المبادئ الأساسية مثل مبدأ الشورى ونبذ الاستبداد ، واحترام حقوق الإنسان الأساسية وحرياته العامة، ومبدأ مساءلة الحكام ، وتساوي الناس أو المواطنين في الدولة أمام القانون، ومبدأ إقامة العدل ونبذ الجور ، ومبدأ أو حق الشعب في اختيار نائبه وحاكمه ، وغير ذلك مما يعد لبّ الديمقراطية نظام الحكم في الإسلام .

وأن ثمت تيارًا متشددًا يعتقده بعض المسلمين يخالف ماذهب إليه التيار السابق ، ويتخذ من الديمقراطية الغربية موقف الرفض بدعاوى مختلفة منها أن الديمقراطية من منطلق مفهومها للحرية الشخصية أو حرية الشعب في التشريع ترى أن يطلق العنان لها في التحرك وفق

ما يرى فيه مصلحة له ، بصرف النظر عن اعتبار الحل والحرمة الذي جاء في نصوص القرآن الكريم ، في حين يذهب أصحاب التيار الأول إلى أن القبول بالديمقرطية من منظور الإسلام لا يمنع من أعمال ثوابت الإسلام ، فلكل أهل ملة شرعة ومنهاج ، وخصوصية عقدية وثقافية ، وشاكلة أخلاقية ، وأن التعاون فيما هومحل اتفاق مع عدم التفريط في ثوابت النص لامانع منه، لاسيما وقد شرع لنا الله سبحانه في القرآن في شأن العلاقة مع أهل الكتاب مبدأ يسمح بالتعاون فيما فيه نفع للناس مع الاحتراز الواجب فيما نص عليه في المرجعية الإسلامية العليا ، ألا هو مبدأ «استباق الخيرات» في قوله تعالى ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ .

وهناك تيار إسلامي موصوف بالاعتدال ، والوسطية ، والرفق ونبذ العنف ، وهناك في المقابل ما يوصف بالغلو ، والتشدد ، والتعسير ، وقد يذهب بعضهم فيه إلى حد تكفير المجتمع باعتباره مجتمع جاهلي غير ملتزم بشرع الله في عقيدته ومعاملاته ، أو إلى حد استخدام القوة وحمل السلاح في الانتصار لفكره ومبادئه وما يستتبعه ذلك من استحلال ماحرّم الله من الدماء والأموال والأعراض ، كما فعلت «الخوارج» في القديم . ويدخل في ظاهرة الغلو دون التورط في استخدام العنف ، ما عليه بعض دعاة السلفية الذين يخاصمون الجمع بين الأصالة الملزمة والمعاصرة الواجبة ، من جمود فكر أو تقليد مذهبي .

وثمت تيار إسلامي ينقطع أصحابه إلى ما هو ديني محض فلا ينشغلون إلا بالعقائد والعبادات دون المعاملات ، ويبتعدون عن قضية الحكم والسياسة وما يتصل بها ، لهم أذكارهم وأورادهم، ولهم زيهم الذي يميزهم عن غيرهم ، ويتمثل في أتباع الجمعية الشرعية ، وأنصار السنة المحمدية .

وثمت تيار صوفي ، بطرقه المتعددة، لكل شيخ مريدوه ، منهم من هو عالم بالكتاب والسنة ولكنه منشغل بالناحية الروحية وحدها ، دون العملية ، فتصوفه ينأى به عن الغلو الذي وقع فيه بعض المتصوفة من العوام ، بلا علم بالكتاب والسنة ، فضّلوا وأضلوا أمثالهم من الجهال ، وأفسدوا دنياهم وأخراهم، وعطلوا شرع الله وأكثروا من البدع المضلة .

وهناك تيار التبليغ له فكره ونظامه في تبليغ دعوة الاسلام ، وجل عنايتهم بالعقائد والعبادات ، ولا شأن لهم بالمعاملات ولا بالسياسة، وهو فكر نازح من الهند أسهمت ظروف الاحتلال البريطاني في تشكيله وسلبيته.

وهذه التيارات الفكرية وإن وجدت علي خريطة الفكر الإسلامي فهي على ما ذكر في شأنها من حظها من الفقه في الكتاب والسنة ومن الفكر الإسلامي الراشد القائم على أساس من وعي صحيح بالكتاب والسنة ومقاصد الشرع الجامع لكل حقائق الإسلام وأحكامه ، من حيث الصحة أو الخطأ ، والاعتدال أو الغلو ، تختلف في وزنها ، ومدى أثرها في المجتمع ، وانتشارها بين الناس ، بل إن منها ما ذهبت به عوامل التعرية وتغير الظروف من داخله أو من خارجه أو منهما معًا . ولا يتوفر لكثير منها أدبيات ومراجع موثقة تعرّف بها ، وتحدد نشاطها ، وأهدافها .

ولكن هناك من تيارات الفكر الإسلامي المعاصر ما أثبت وجوده للكافة ، وعرف وزنه ، وحجمه ، وهدفه ودوره ، في الحالة الإسلامية ، أقصد بها تيارات «المقاومة» للتوسع الصهيوني في المنطقة العربية ، وفي احتلال أراض عربية ، وفي استخدامها الأسلحة المتطورة ضد المدنيين والمجاهدين على السواء ، في جنوب لبنان وفي فلسطين ، وكذلك تيار المقاومة المسلحة في الشيشان ضد العدوان الروسي الوحشي ، ونظيره في البوسنة وكوسوفا من قبل ضد العدوان الصربي ، وكلاهما تمثل في جرائم حرب يعاقب عليها القانون الدولي ، وهي من جنس تيارات المقاومة الشعبية المسلحة للاحتلال الأوروبي لدول إسلامية عربية وغير عربية ، ففي أواخر القرن التاسع والقرن العشرين ، حيث أدى المسلمون فريضة الجهاد وبذلوا النفس والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الله ، ونصرة الملة والأمة ، وإجلاء العدو ، وتحقيق الاستقلال ، ما جاوز بضعة ملايين ما بين شهداء ومصابين ومشردين .

وأرى أن ما تضمنه استعراضها - على وجازته - من إشارة إلى أهم عنصر وملامح وأهداف هذه التيارات ، وما تحمل أو تستند إليه من فكر إسلامي كاف في هذا المقام ، ومغنٍ عن التفصيل والاسهاب .

أما عن تيارات الفكر الإسلامي التى

استهدفت إصلاح حال الأمة ، وإنقاذها من التخلف ، وبعثها من الوهن ، واستنهاض الهمم والعزائم ، لاستعادة مصادر عزها وقوتها ، واللحاق بركب التقدم بعد رقاد طويل ، فهي أدخل في موضوع الحوار مما عداها ، ولنا عود لها عند الكلام عن الحركات الإسلامية المعاصرة ، وجذورها الفكرية ، فقد تناولها السؤال الخامس ، وأرجو أن أكون قد أصبت في هذا الاختيار .

ويصعُب عليّ وقد عرضنا لمجمل تيارات الفكر الإسلامي المعاصر خلال القرن العشرين في إجابتنا عن هذا السؤال أن أختم كلامي عنها دون إشارة إلى ما بين رموزها من فرقة يحرمها صحيح الدين والعقل والمصلحة ، ولا تليق بأمة الرسالة ، التى أمرها منزلها تعالى بالاعتصام بحبل الله وعدم التفرق في الدين ، وأوصاها رسولها الكريم بثلاث : التسديد والمقاربة ولا الاستبشار، فلم يحسن أكثرهم لا التسديد، ولا المقاربة والاستبشار ، وكانوا طرائق قددًا ، ولو صبت هذه التيارات النافقة في نهر واحد جار ، لحفظت من التبدد ، وحققت هدفها الجامع لها ، ألا وهو إعزاز الملة والأمة ، وكان تعددها تخصصًا لا تضاد ، وتعاونها تكاملاً ، وعملها جامعًا لا مفرقًا ، وهذا مقتضى النقل والعقل ، والله يهدي إلى سواء السبيل .

السؤال الثالث: ما هى القضايا الأساسية التى طرحتها هذه التيارات الفكرية المعاصرة؟

أ. محمد فريد عبد الخالق: أما عن أهم القضايا الأساسية التى طرحتها التيارات الفكرية المعاصرة فأوجزها في أربع ، مع بيان أصلها الشرعي ، فيما يلي :

١- قضية تشخيص العلل ووصف العلاج :

وهي قضية مطروحة منذ عقود طويلة تمثل أحد أركان الهمّ الاسلامي العام ولم يتوقف أئمة الفكر الإسلامي ، والدعاة ، والمصلحون عن التصدى لها والإسهام في حمل تبعاتها ، لارتباطها الوثيق بمشكلات المسلمين المختلفة ، وما يواجههم من تحديات مصيرية لاسيما في هذا الزمان ، ولتصدرها لكثير من القضايا العامة المؤرقة التى باتت تطرح نفسها على الأمة وتلزمها بمعالجتها ، بل هي مستغرقة لها في حملتها ، استغراق لا يمنع من تناولها على وجه التحديد

والتفصيل، وهو ما سنحاوله قدر الوسع.

وقد شغل أهل الفكر في الأمة أمر تشخيص ما تعانيه الأمة المسلمة في هذا الزمان من تمزق أغرى بها أعداؤها ، وأسلمها إلى التخلف والضياع في زمن ثورتي المعلومات والاتصالات ، والتكتلات الدولية الكبرى ، وأذهلها عن مصادر قوتها وعزها . وهي بين أيديها منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا ، غيبة منها عن الوعي بحقائق دينها وبحقائق ومتغيرات زمانها ، وما يجرى حولها ويدبّر لها من أعدائها مما تحدثهم به نفوسهم وشياطينهم من صرف الأمة عن دينها ، وإبادة شعوبها ما أمكنهم ذلك ، وإفقادها هويتها ، وتفتيت وحدتها ، وتعطيل طاقاتها ، وشغل الأمة عن نفسها بنفسها التى نسيتها حين نست ربها وفرطت في أداء الأمانات التى عهد بها الله سبحانه إليها في محكم التنزيل ، حتى رضيت بتبعية غيرها ، والاعتماد علي غير نفسها في ضرورات حياتها ، وضعف إيمانها الذي هو سرّ بقائها ، ومصدر نصرها على أعدائها ، وآثرت دنياها مع المذلة على أخراها التى لم تسع لها سعيها ، الذي منه عز الدنيا لا ذلها ، فعزة المؤمن من عزة ربه تعالى، فمن فرّط في عزة نفسه ووطنه وأمته فقد انفك عن عزة ربه : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ، وبلغ بالأمة المروق والهوان فأضاع حكامها الأمة والدين ، وأضاعوا أنفسهم معهما ، وقد حذّر الله سبحانه الأمة حكامًا ومحكومين من هذا الخطر العظيم في قوله تعالي : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ وقوله: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ، وكلما توفر معامل الصحة في التشخيص أمكن الاهتداء إلى العلاج الصحيح ، فلابد في ذلك من نظر نافذ ، وبصيرة كاشفة ، ووعي قائم على علم ودراية ، لا يكفي فيه نظرات محدودة أو قصيرة أو انفعالية سطحية ، أو متأثرة بهوى أو انتماء شخصي حزبي أو سلطوى أو مذهبي ، فإذا عرفت العلل والأدواء ، أمكن الوصول إلى العلاج والشفاء ، والتواصي بالأخذ بالأسباب ، وتستوى في ذلك علل الجوارح ، وعلل القلوب التى هي أبعد أثرًا وأشد خطرًا ، وقد بين الله تعالى في كتابه الكريم «قانون التغيير» الذي لا بديل عنه لمن كان يؤمن بالله

واليوم الآخر : ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ فذهاب العافية والقوة لا يكون إلا بكثرة المعاصي ، وكذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ، ذلك إشارة إلى ما حلّ بهم من العذاب أو الانتقام ، لسبب أن الله لم يصح في حكمته أن يغيّر نعمة عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال ، وكما تغيّر الحال المرضية إلى الحال المسخوطة ، تغير الحال المسخوطة إلى أسخط منها ، فتغيير العصاة المارقين حالهم إلى اسوأ مما كانت عليهم بإصرارهم على المعصية والمروق ، وعدم الرجوع عنهما ، غيّر ا لله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب ، وإن الله سميع لما يقول العصاة المارقون، عليم بما يفعلون وكقوله تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ هو مثل لكل قوم أنعم ا لله عليهم فأبطرتهم النعمة ، فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته ، فأبدلهم ا لله بالطمأنينة خوفًا ، وبسعة العيش الجوع، أعاذنا الله من كفران النعم وجحود الحق ، وعافى أمة الإسلام من العلل والأدواء الجالبة لإذاقة الجوع والخوف بعد سعة وأمن ، وهما مما ابتليت به في زماننا هذا بلاد إسلامية ، لعلهم يرجعون .

٢ـ قضية الوحدة :

ويدخل فيها مسألة التقارب الإسلامي ، والوفاق الوطني ، والاعتماد على الذات لا على الغير .

وكلها في جوهرها ومقصودها الكلي هي وجوب «توحد الأمة» الإسلامية ، ونبذ الفرقة وما يؤدى إليها من تمزق الأمة وذهاب لسلطانها وهيبتها، في دينها ودنياها .

ووحدة الأمة الإسلامية أصل ديني دلت عليه آيات القرآن الكريم وصحيح السنة ، وناط بها الإسلام قيامها وتحقق خيريتها ، ما أدت شرطها في القرآن الكريم، وقد قال تعالى في شأنها : ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ فربطت الآية بين الحفاظ على وحدة الأمة كواجب ديني وبين تقوى الله فيها بالأخذ بأسبابها ، وتوقى أسباب ضياعها ، من تفرق في الدين أو

الدنيا ، كما ربطها في آية أخرى بالأمر بتوحيده سبحانه وتعالى ، وفي الآيتين تعظيم «لوحدة الأمة» ، وتعظيم للملة ، وإيجاب «توحيد الأمة» على أمة الملة، ولذلك أتبع الآية الأولى تغليظ لاختلاف الأمة في الدين وقبح صيرورتهم فرقًا وأحزاب وجماعات شتى ، ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم ، وذلك في قوله تعالى إثرها ﴿**وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ**﴾ ، كما أتبع الآية الثانية بنفس المعنى توكيدًا له وتعظيمًا له في قوله تعالى إثرها : ﴿**فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ وزاد الأمر توكيدًا لأهميته وتغليظًا للعقوبة على التفريط في وحدة الأمة ، أن اعقب ما أوردناه بقوله تعالى: ﴿**فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَ يَشْعُرُونَ**﴾ فليس هذا الإمداد إلا استدراجًا للعصاة إلى المعاصى والتفريط في وحدة الأمة من أكبرها ، وليس الا استدراجًا إلى زيادة الإثم ، وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع وإكرام ، ومعاجلة الثواب قبل وقته ، بل هم أشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك: أهو استدراج ، أم مسارعة في الخير ؟ وهذا حال المتاجرين بوحدة الأمة في أسواق السياسة الدولية من أهل الجاه والسلطان والنفاق ، لتحصيل منافع ذاتية دنيوية أو حزبية أو سلطوية ، وفي ذلك تفسير لوجود المهرولين في التطبيع مع إسرائيل خلافًا لإجماع الأمة ، لما عليه إسرائيل من إصرار على مسلكها العدواني .

وقد أرشدنا سبحانه إلى ما نحفظ به وحدتنا بأن أمرنا بالاعتصام بحبله ثم أتبعه بنهينا عن التفرق ، وبأن أمر الأمة بالدعوة إلى الخير ، وبالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجعلهما حفاظ الجامعة الإسلامية وسياج وحدة الأمة ، وجعلهما فرضٌ حتمٌ على كل مسلم ومسلمة ؛ لأن الناس إذا تركوا دعوة الخير وسكت بعضهم لبعض على ارتكاب المنكر خرجوا عن معنى الأمة ، وكانوا متفرقين ، وذهبت وحدتهم التى هي مناط عز الملة والأمة ، وهذا ما نحن فيه الآن من تردى الأحوال ، واقتتال المسلمين بعدم رد التنازع إلى الكتاب والسنة ، وخواء القلوب من سلطان

الدين ، وذلك قوله تعالى : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ، في دنياهم وأخراهم، فإن تركت الأمة ذلك كانت من الخاسرين ، وكلا المأمور بهما في الآية هو ما يسمى بالفكر الإسلامي أو التيارات الإسلامية موضوع الحوار ، وقامت بسببهما الجماعات ، وجريًا على النهج القرآني في إلحاق المأمور به عادة بالنهى عن ضده ، تأكيدًا له وزيادة تبيين ، فقد أورد في الآية التالية للسابقة ، النهى عن التفرق والاختلاف في الحق وأصول الدين ، كما اختلفت فيه اليهود والنصاري من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة الحق وهي واحدة ، وفي الفرق الإسلامية ما وقع في الابتداع في الدين وجرّ ذلك إلى اختلاف القلوب ، وقد توعدّهم الله في الآية بعذاب عظيم وذلك قوله تعالى ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ، وليس من ذلك الخلاف في الفرعيات وما ترك للاجتهاد فيه مجال ، تحقيقًا لمقصود الشرع من دفع المفاسد ، وجلب المصالح ، ورفع الحرج عن الناس ، مما أوجب على الأمة عدم التعصب للمذاهب كلها ، وعدم اتباع الاهواء ، وتحكيم ثوابت الدين في الآراء والأفعال ، فبذلك تحفظ وحدة الأمة ، ويدوم لها عزها واستقلالها ، ويهابها أعداؤها ، فضياع وحدة الأمة فيه ضياع دينها ودنياها ، ومن ثم كانت وحدة الأمة هي القضية المحورية للعمل الإسلامي فكرًا وحركة وجماعات في هذا العصر كما هي دائمًا في كل زمان ومكان ، ولكن الحاجة إليها في وقتنا الراهن أشد وألزم ، دينًا وضرورة حياة، والعالم من حولنا يشهد نقلة نوعية غير مسبوقة في تاريخ البشرية ، تتمثل في ظاهرة التحول إلى كيانات كبيرة في السياسة والاقتصاد والإعلام ، وفيما يحمله مصطلح العولمة بكل أهدافها المعلنة والمستترة ، ومخططاتها الرسمية والمخابراتية ، وأبعادها المتشابكة ، وتداعياتها المخوفة ، في ظل مدنية مادية علمانية ، المصالح فيها مقدمة على المبادئ والقيم الإنسانية العليا بما هو مشهور في واقع حياة الناس عامة ، والمسلمين خاصة ، وإذا كان الإسلام بشموله ووسطيته وعدله الذي لا يتبعّض وحبه للسلام الحق ، ورحمته للعالمين ،

يحول دون محاكاة الغير في شاكلته ولزوم ما طبع به الإسلام شاكلتنا ، فإن لزوم وحدة الأمة ، وتكاملها ، وتقارب حكوماتها وشعوبها ، هو مصدر قوتنا والحفاظ علي هويتنا ، واستقلالنا ، لأداء الأمانات التى أمرنا الله بها ، من عمارة الأرض بالخير والحق والعدل ، وتحصيل سعادة الدارين ، لنجعل من قضية الوحدة شغلنا الشاغل ، شعوبًا وحكومات ، ومفكرين ودعاة ، وإذا كان غيرنا يعمل على مكانته لكل السبل حلالها وحرامها ، فإننا مأمورون بالعمل على مكانتنا بالحق والعدل ، في كل مجالات العمل ، حتى نستكمل مفردات القوة ومقومات العزة ، فإن فعلنا أمدنا الله بقوته ونصره ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ .

٣- قضية إحياء الأمة والتجديد:

مما لا خلاف عليه ابتلاء المسلمين بفترة انحطاط مدني ، وتخلف حضاري، وضعف أغرى بها الطامعون والأعداء ، فاحتلوا ديار الإسلام ، وخرّبوا إنسانها ومجتمعاتها ونهبوا مقدراتها ، وأتوا على وحدتهم مناط عز الملة والأمة.

كما أنه لا خلاف أيضًا على هبوب ريح البعث والإحياء منذ أواخر القرن التاسع عشر وتواصل حلقات العمل الإسلامي في هذا السبيل ، وعبرت عنه المرحلة الحالية في الفكر الإسلامي المعاصر موضوع هذه الحوار .

ومن اللافت للنظر أن اختار ا الله سبحانه وصفًا للدعوة الإسلامية في كتابه الكريم ، وتلخيصًا لمنطلقها وغايتها عند أهل الكتاب ، كلمة «الإحياء» عامة الدلالة واسعة المفهوم متمشية مع عموم الإسلام ، وشموليته لكل جوانب الحياة ، ولم يخص «الإحياء» بعقيدة ، أو عبادات ، أو أحكام بعينها ، وذلك قوله تعالى مخاطبًا المؤمنين: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ ، وكذلك في قوله تعالى: ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا**﴾ بمعنى إحياء الله الأمة من موت وإمدادها بنور القرآن . وإذن فقضية إحياء الأمة أصل ديني واجب على الأمة كافة ، وعلى علمائها ودعاتها ، وعلى أولى الأمر فيها والحاكمين ، العمل المدروس والمخطط ،

الذي يحقق ما أوجبه الله من إحياء الأمة من كل الوجوه ، علمًا بأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . ونجملها فيما يلي :

١- وجوب الرجوع إلى شرع الله ، عقيدة ونظام حياة ، بالدعوة إلى الإسلام الشامل ، وهذا مسئولية الأمة كافة ، أفرادًا وجماعات ومجتمعات ، وعلماء وحكام ، وبابُها الحرية ، والفهم الصحيح لحقائق الإسلام ، والوعي بالواقع والتاريخ ، والتعاون الوثيق بين العاملين ، لبلوغ الغاية المنشودة من الأحياء ، من سلامة القلوب إلى سلامة الأعمال .

٢- وجوب التجديد في الدين ، والاجتهاد الذي حث عليه الإسلام ، لتحقيق مقصود الشريعة التي هي مصلحة كلها وعدل كلها ويسر كلها درءًا للمفاسد وجلبًا للمنافع ، ورفعًا للحرج عن الأمة ، وملاحقة لمستجدات الزمان باستنباط الحكم الشرعي فيها ، وهو معدود من السياسة الشرعية حتى ولم يقم عليه دليل من الكتاب والسنة ، ما لم يعارض أصلاً ثابتًا في شرع الإسلام، وباب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه فيما هو من قبيل الأحكام الظنية مما لا نص فيه أو مما فيه نص ظني الثبوت أو ظنى الدلالة أو ظنيهما معًا ، بخلاف الأحكام المتعلقة بالعقيدة التى لا يغني فيها إلا القطع واليقين ... وهذا من مسئولية العلماء المؤهلين لاستنباط الأحكام الشرعية وللاجتهاد فيها ، الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه : «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين» ، من أجل ذلك فصلت الشريعة فيما لا يتغير ، وأجملت فيما يتغير ، وجاءت الأحكام فيها معللة، مما يوجب ردّها إلى عللها ، وقد جمّد الخليفة عمر بن الخطاب حكم سهم المؤلفة قلوبهم ، لانتقاء علته ، بظهور الإسلام وعزة الدين ، وما أكثر المشكلات المستحدثة التى تقتضى الاجتهاد الشرعي الصحيح فيها لتحقيق مقاصد الاجتهاد، وفيها ما هو اقتصادى مالى، وما هو اجتماعي كالذي عرض له قانون الأحوال الشخصية الجديد، ومشكلة تزايد نسبة العنوسة في مجتمعات غير قليلة في ديار المسلمين ، وكذلك تزايد نسبة البطالة ، ومنها ما هو سياسي كموضوع «الخلافة» بعد

سقوطها وانحلال عروة وحدة الأمة التي هي من صميم الدين ، ومن العلماء من عدّها من الأصول ومنهم من عدها من الفروعيات ، والرأى عندى صحة الرأيين وأن تعارضهما ظاهري ، والخلافة أصل في الدين من حيث الغاية المنوطة بها وهي إقامة الحدود ، والذود عن استقلال الأمة وردّ المعتدين ، وإقامة وحدة الأمة وحمايتها من التمزق والاختلاف والتفرق ، وحفظ خصوصيتها العقيدية والثقافية من الطمس والتشويش ، بفعل خطر التغريب ، ونشر العلمانية اللادينية الذي هو مروق عن الدين ، وتكريس مفهوم العولمة التى يجنّد لها الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة كل الإمكانات والعلاقات بحكام المسلمين وبعض المفكرين ، وهي المفهوم المغشوش الذي يروجه الغرب ، في مقابلة مفهوم «العالمية» الإسلامي الداعي إلى أخوة الإنسان العامة ، وإلى تعاون الأمم كافة فيما فيه نفع للبشرية ، وعمارة الأرض ، إعمالاً لمبدأ قرآني أصيل في ذلك الصدد ، هو « استباق الخيرات» بين الأمم ، بما لا مكان فيه لاختلاف الملل ، ولا الفروق والعنصريات ، ولا لظلم الدول القوية للضعيفة ، في قوله تعالى : ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾، فحثت الآية الكريمة البشر كافة على ابتداركل نوع من أنواع الخير بالعمل ، وحرص كل أهل ملة على سبق غيره فيها ، باتباع الحق والعدل دون الأهواء، وذلك ما أمرت به كل الشرائع عامة ، وخصّت بالذكر في القرآن الكريم ، كأصل عام ، هو «استباق الخيرات» .

هذا ومما يدخل في قضية الإحياء والتجديد ، ويعد ثمرة طبيعية لشجرة الفكر الإسلامي المعاصر التى مدت جذورها في تربة الأمة عبر أكثر من قرن، وتعاقب على تعهدها ، وإمدادها بالسقيا ، وحياطتها من الأذى ، أئمة مصلحون ، ودعاة كبار ، وعملت من أجلها تيارات فكرية وجماعات وحركات إسلامية راشدة ، فآتت أكلها وآذنت بنضج ثمرتها متمثلة في الصحوة الإسلامية المعاصرة ، التى شبت بها الحالة الإسلامية عن الطوق ، ولم تعد تتوقف حياتها على جماعة بعينها ، وقد أفادت من روحها وفكرها وحركتها وتجاربها ، ولم تنس لها فضلها ، ولا جحدت قدرها ودورها ولم تستغن عن

الحكمة التي توفرت لها ، بل إن الجماعات نفسها ، لاسيما أكبرها وأرشدها ، إدراكًا منها لمتغيرات زمانها، التى منها تجاوز الصحوة للأطر النظامية ، واستعداد كوادرها للإنطلاق في مجالات الحياة المختلفة معتمدة على نفسها مستقلة بإرادتها وما تتمتع به من وعي أكبر ، وقدرة عقلية ونفسية وروحية للدخول في سباق مع الزمن واستخدام مستجداته المتمثلة في ثورات المعلومات والاتصالات والتقنيات التى شهدتها العقود الأخيرة المعاصرة وأحدثت تحولات كبرى في مسيرة الدول الكبرى، الأمر الذي يوجب علي أجيال الصحوة الإسلامية لا أقول اللحاق بها، بل استباقها في كل علم نافع . وعمل صالح .

إن في نجاح الصحوة الإسلامية الراهنة دليل نجاح ما أدته تيارات الفكر الإسلامي وجماعاته من أجل إحياء الأمة، وبعث همم الشعوب الإسلامية لتحمل أمانة أمة الرسالة للعالمين ولإعلاء كلمة الله إحقاقا للحق وإبطالاً للباطل ، وإعزازًا للملة والأمة ، وإشارة إلى تعاظم دور الدعاة والمصلحين ، أفرادًا وجماعات ، في إمداد الصحوة بكل أسباب التسديد والنماء ، وما يعين أجيالها الفتية على تحمل تبعات التغيير المنشود ، ومسئولية التجديد ، وقيادة الأمة في مواجهة تحديات العصر نحو فجر جديد ، وكما أن لكل مقام مقال، فإن لكل زمن رجال ، وكما يقول المثل الدارج : «إذا كبر ابنك آخه» ، وهي نقلة من التوليد إلى التسديد ، ومن الاحتواء إلى استقلال الأبناء وقد بلغوا مرحلة النضج وتحمل الأعباء ، ومن خالف سنن الله في العمران أخطأ الطريق و لم يحسن الأداء .

❂❂❂

رؤى وحوارات

حركة الفكر الإسلامى المعاصر خلال القرن العشرين

أ. د: عبد الحميد مدكور(*)

السؤال الأول: متى بدأت المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى المعاصر، وما العوامل التى أدت إليها؟

الدكتور عبد الحميد مدكور: أبدأ بالإشارة إلى أن تحديد البدايات لمراحل من التاريخ والفكر، ربما كان فيه الكثير من الصعوبة؛ لأن الأحداث فى العادة تتداخل، والأفكار تتداخل، وليس هناك فصل حاسم، بحيث نستطيع أن نقول بصفة منهجية وعلمية وموضوعية: إن هناك بداية محددة لمرحلة بعينها من مراحل الفكر أو التاريخ.

وهذه المشكلة تصادف العاملين فى نطاق الفكر، وفى نطاق الأعمال الاجتماعية والأدبية.

ولعلنا نتذكر أن المهتمين بالأدب وتاريخه تواجههم نفس الصعوبة؛ ولذلك قد يضطرون إلى تحديد هذه المراحل بسنوات تتعلق ببعض الأحداث السياسية، وبدايات الدول أو انتهائها، فيقال مثلاً: الأدب فى العصر الأموى، والأدب فى العصر العباسى، أو الأدب

(*) - - من مواليد باسوس - القليوبية - مصر ، فى ١/ ٨/ ١٩٤٢ .
- حاصل على دكتوراه الفلسفة الإسلامية فى الولاية عند ابن عربى ، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة.
- أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة ، وعضو لجنة الفكر الإسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وخبير بلجنة الفلسفة بمجمع اللغة العربية .
- من أهم مؤلفاته : دراسات فى علم الأخلاق ، نظرات فى حركة الاستشراق ، بواكير حركة الترجمة فى الإسلام ، فى الفلسفة الإسلامية - مقدمات وقضايا ، تحقيق كتاب مدارج السالكين لابن القيم (بالمشاركة) .

في عصر المماليك نسبة إلى نظام سياسي معين، ومع ذلك يجد هؤلاء المؤرخون أن الظواهر الأدبية ربما تتشابه في عصرين؛ لأنه ليس هنالك فاصل حاسم للظواهر الاجتماعية التي تنمو ببطء وتتكاثر على مدار التاريخ، ومن ثَمَّ يبدو خلال هذا التطور وبعد فترة طويلة من الزمن أن هنالك شيئًا من التميز، أو الخصائص التي تسمح لهم بأن يتحدثوا عن مرحلة بعينها من المراحل.

ومع هذا فليست هذه الصعوبة بمانعة أن يحاول الدارسون تحديد بعض المراحل المتعلقة بالفكر، أو المتعلقة بالنظم الاجتماعية أو السياسية، أو نحو ذلك مما يبتغي الدارسون دراسته، على أن تظل - مع ذلك - ملاحظة أن التحديد الحاسم للبدايات يظل نقطة صعبة، وتختلف فيها وجهات النظر.

وفي ضوء هذه المقدمة أحاول الإجابة عن هذا السؤال، فأقول:

إن المرحلة الحالية في الفكر الإسلامي المعاصر يحيط بها أكثر من نظام لتحديدها، ومن ثَمَّ يحيط بالعوامل التي أدت إلى وجودها، ولعل التقسيم المشهور لتاريخنا الإسلامي في العصر الحديث يتخذ نقطة البدء من مراحل الغزو الأوروبي للعالم الإسلامي، ويتخذ من الحملة الفرنسية على مصر - والتي تمت في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي - نقطة بدء لهذه المرحلة من تاريخ الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر معًا.

وبطبيعة الحال فإن المؤرخين الإسلاميين والعاملين في مجال الحقل الإسلامي لا يوافقون موافقة تامة على هذا التقسيم؛ وذلك لأن ما ينطبق على أوروبا وما يتعلق بتاريخها لا ينطبق بالدرجة نفسها على العالم الإسلامي.

وهم يعتبرون أن هذا التقسيم مظهر من مظاهر الهيمنة الأوربية على العالم الإسلامي، ومن نظرة تنطلق من أن أوروبا هي مركز العالم ، وما ينطبق على أوروبا ينبغي تعميمه على العالم.

وهي - في رأيي - عولمة قديمة إذا صح هذا التعبير، وإخضاع العالم كله للمنظور الأوروبي، والرؤية الفكرية والسياسية والفلسفية التي يريد أن يطبقها على العالم كله.

ولكننا مع ذلك نشير ـ وإن كنا لا نوافق على هذا التحديد في جوهره ـ إلى أن التقاء العالم الإسلامي بأوروبا من خلال هذه المرحلة الاستعمارية كانت له

آثاره ونتائجه الكثيرة التى غيّرت بالتدريج نمط الحياة فى المجتمع الإسلامى، حتى صارت بعد فترة من الزمن مغايرة لما كانت عليه صورة الحياة فى المجتمع العربى.

ولعلى لا أتخذ من نقطة الحملة الفرنسية بالذات نقطة بدء، ولكنى أشير إلى ظاهرة الاستعمار بصفة عامة التى أحاطت بالعالم الإسلامى فى القرن التاسع عشر : استعمار الهند فى أوائل النصف الثانى من القرن السابع عشر، واستعمار الجزائر ١٨٣٠م، ثم استعمار مصر من بريطانيا ١٨٨٢ م، وقبلها استعمار فرنسا لتونس ١٨٨١م.

ويمكن أن نقول: إن هذه المرحلة بالذات كان لها وقعها على العالم الإسلامى من الناحية السياسية، وما ترتب على ذلك من الناحية الثقافية والفكرية، وما ترتب على ذلك أيضا من عوامل أدت إلى حركة فى الفكر الإسلامى، وهى حركة مضادة لهذا الخضوع لأوروبا، وما يترتب على ذلك الخضوع من محاولة صبغ الحياة فى العالم الإسلامى بالصبغة الأوروبية.

نستطيع أن نقول: إن هذه الظاهرة الاستعمارية التى تمت فى العالم الإسلامى من جهة أوروبا كانت بداية لتلك المرحلة التى نصفها بأنها مرحلة حالية فى الفكر الإسلامى المعاصر.

ولعل الظاهرة الاستعمارية هى أهم العوامل فى هذا التحديد الذى نشير إليه.

وكانت خطورة هذا العامل تتمثل ليس فقط فى مجىء القوى الاستعمارية إلى بلادنا، ولكنها كانت تتمثل - إضافة إلى ذلك - بأن الاستعمار قد جاء إلينا بمفكريه الذين كانوا قديما يعملون من وراء البحار، جاءت بهؤلاء المفكرين إلى عالمنا ليدرسوا على الطبيعة وليواجهونا بأفكارهم، ويقدموا إلينا نظرتهم إلى الإسلام وتاريخه وفكره وعقيدته، ويحللون أسباب قوة العالم الإسلامى، ويحددون عوامل ضعف العالم الإسلامى، ويقذفون إلينا بأفكارهم التى تشكك فى الإسلام عقيدة وفكرًا وشريعة ونظامًا، ويشككون فى جدارة هذا الإسلام بأن يقود نهضة جديد، أو أن يواصل مسيرة حضارية جديدة، ويشككون فى قدرة العالم الإسلامى على أن يثبت وجوده مرة أخرى بعد هذه الحضارة الكبرى التى بلغها فى تاريخه القديم.

ويقذفون إلينا -كما أقول- بشبهات كثيرة حول الإسلام وانتشاره، وبعض القضايا مثل مكانة المرأة فى الإسلام، ومكانة الأقليات فى الإسلام، وجدارة الشريعة بأن تقود نظام الحياة، إلخ، ومع كل هذه الشبهات التى ألقاها المستشرقون وأثاروها قديمًا ، وصلوا إلينا بأنفسهم فى هذه المرحلة الاستعمارية لكى ينظموا من وجهة نظرهم الحركة الفكرية الإسلامية، وليشغلوا المسلمين بموضوعات لم تكن موضع اهتمام المفكرين الإسلاميين من قبل، على أساس ما كان سائدًا فى المجتمع الإسلامى من نظام مستقر وأفكار هى موضع الرضا والقبول منهم.

ومن أمثال ذلك: قضايا تحرير المرأة، وفكرة انتشار الإسلام بالسيف، إلى آخر هذه الشبهات الكثيرة التى أثيرت.

وكان هؤلاء يذيعون هذه الأفكار بكل السبل عن طريق المحاضرات، أو الرسائل التى يكتبونها، أو الاتصال بالآخرين من العالم الإسلامى، وإقناع هؤلاء الآخرين بأن يتبنوا مثل هذه الأفكار، ويحسنوا تقديمها إلى العالم الإسلامى.

وهكذا كانت الفكرة أو كانت هذه الظاهرة الاستعمارية وسيلة من وسائل نشر هذا الفكر الجديد الذى كان لا بد أن يجد مقاومة له من المفكرين الإسلاميين الذين كانوا يعيشون فى العالم الإسلامى، ومن ثَم بدأت أفكار جديدة وأطروحات جديدة تأتى على ألسنة هؤلاء من حيث بيان الأصول الإسلامية، ومن حيث الرد على هذه الشبهات، ومن حيث البحث عن علل التأخر التى سادت العالم الإسلامى، ومن حيث وضع الأسس لبناء جديد وفكر جديد يحاول أن يتخطى عوامل الضعف التى ظهرت فى العالم الإسلامى نتيجة لأسباب كثيرة داخلية وخارجية.

فالظاهرة الاستعمارية وما ترتب عليها من وجود هؤلاء المفكرين الذين ظهروا فى العالم الإسلامى سواء كانوا من المسلمين أو من غير المسلمين، أثارت هذه الأفكار.. كل هذا من العوامل التى أدت إلى وجود هذه المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى.

وإذا كان لى أن أسير قليلاً مع الزمن أقول: إن من أهم العوامل فى وجود هذه المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى مضافًا إلى الظاهرة الاستعمارية.. هو سقوط الخلافة الإسلامية فى تركيا،

وهى الخلافة التى كانت – على الرغم من كل ما وقعت فيه من الأخطاء – عاملاً من عوامل وقاية العالم الإسلامى من الخضوع للاستعمار، وعاملاً من عوامل تماسك المجتمع الإسلامى، ونجاته من التفتت الذى ظهر على أيدى المستعمرين بعد انقضاء الخلافة العثمانية، وتقسيم العالم الإسلامى إلى دويلات تحكم من خلال نظم سياسية مختلفة.

وكان لسقوط هذه الخلافة العثمانية دوى كبير فى العالم الإسلامى بداية من الهند حتى الجزائر، وكان ذلك إيذانا ببدء عمل جديد من الفكر والعمل الإسلامى لمحاولة التغلب على الضعف الذى حل بالعالم الإسلامى بعد سقوط هذه الخلافة.

وهكذا.. يمكن أن نقول: إن الظاهرة الاستعمارية مع سقوط الخلافة العثمانية كان من أهم العوامل التى أدت إلى نشأة المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى المعاصر.

السؤال الثاني: ما أهم تيارات الفكر الإسلامى المعاصر خلال القرن العشرين؟ وما أهم عناصر كل تيار من تلك التيارات؟

الدكتور مدكور: كلامنا فى هذا السؤال مرتبط بالسؤال الأول، ويمكن أن نقول: إنه وجد خلال القرن العشرين تيارات كثيرة جدًا؛ لأننا ننظر إليها من خلال قرن كامل، وامتداد تاريخى وجغرافى كبير، ومن ثم يتعذر إحصاؤها، ومن هنا يأتى الحديث عن أهم هذه التيارات.

يمكن القول بأن بعض التيارات التى ظهرت فى القرن العشرين كانت امتدادًا لأفكار، أو تيارات ظهرت فى القرن التاسع عشر؛ فتيار الجامعة الإسلامية ـعلى سبيل المثال ـ الذى ظهر على يد جمال الدين الأفغانى، وتلقاه منه محمد عبده ظل تيارًا موجودًا خلال القرن العشرين، خصوصًا وأن الشيخ محمد عبده توفى فى أوائل هذا القرن (١٩٠٥) فهو بمعنى ما يمكن نسبته إلى القرن العشرين، كما يمكن نسبته إلى القرن التاسع عشر.

ففكرة الجامعة الإسلامية التى نادى بها جمال الدين الأفغانى، وشاركه فى الحديث عنها الشيخ محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبى – على سبيل المثال– هؤلاء كانوا يمثلون تيارًا مستمرًا خلال بدايات القرن العشرين.

وهنالك تيارات فكرية إسلامية

أخرى ظهرت فى العالم الإسلامى تُعد امتدادًا لما ظهر من تيارات فكرية إسلامية أخرى فى العالم الإسلامى ظهرت فى القرن التاسع عشر.

وعلى سبيل المثال، فإن التيار الذى قاده السير أحمد خان فى الهند عن تصوره للإصلاح ونهضة العالم الإسلامى كان تيارًا لا تزال له أصداؤه فى القرن العشرين، وكان يعنى بالنظر للإسلام ومفاهيمه من خلال رؤية عصرية متأثرة بالقيم الغربية التى تنزع نحو العلمانية، وهذا الاتجاه موجود فى القرن ١٩، وما يزال موجودًا فى القرن ٢٠، وظهر له مفكرون يذيعون أفكارًا حول النظرة العلمانية فى الدولة الإسلامية.

ويمكن هنا أن نتذكر كتابات الأستاذ الشيخ على عبد الرازق - على سبيل المثال - وما ترتب عليها من وجود مفكرين يصنفون أنفسهم أو يصنفهم الغرب على أساس أنهم يمثلون تيارًا فكريًا إسلاميًا يدعو إلى النهضة، أو إلى التطور من خلال المفاهيم الغربية، ويحصرون الإسلام فى الجانب الأخلاقى، أو فى الجانب التعبدى، ويقيمون الدولة على أسس المفاهيم الغربية، التى وصل إليها الغرب بعد صراعه الطويل مع الكنيسة الغربية التى كانت ذات هيمنة كبرى على السياسة، وعلى الدين، وعلى الحياة الاجتماعية بصفة عامة.

فلدينا أولا تيار الجامعة الإسلامية، ولدينا التيار الآخر الذى يمكن أن يكون مضادًا لها بنسبة كبيرة، وفى بعض الأحيان بنسبة تامة، ولدينا بعض التيارات الأخرى التى تنزع منزع التوفيق بين ما يمكن أن نجده فى أصولنا الإسلامية وما يمكن أن نقتبسه من الحضارة الغربية.

وهذا الاتجاه يمثل تيارًا سائدًا خلال القرن العشرين؛ فلدينا على الأقل ثلاثة تيارات كبرى، يمكن أن تنضم إليه، وتنضوى تحته كتابات إسلامية كثيرة تنتمى إلى الفكر الإسلامى المعاصر.

وإذا أردنا أن نحدد أهم العناصر التى يقول بها أصحاب التيار الأول، فتيار النهضة من منطلق الإسلام والنهضة بالإسلام -كما يعبر عن ذلك بعض المفكرين الإسلاميين - النهضة بالإسلام أو عن طريق الإسلام وبواسطة الإسلام؛ لأن هؤلاء يركزون على ما يتضمنه عنصر الشريعة من قوة تقدمية،

ومن أسس جديرة بأن تقيم الحياة الناهضة القوية، وما يمكن أن تدل عليه من اعتراف بمكانة العقل ودوره، ومن نزعة إلى التجديد الذى كان قد خف صوته، وقل الاعتماد عليه فى القرون الأخيرة فى العالم الإسلامى، نتيجة لسيادة بعض المفاهيم الخاطئة مثل إغلاق باب الاجتهاد، وغلبة التقليد المذهبى فى الفقه وفى العقيدة، والخروج من نطاق التواكلية التى وقع فيها العالم الإسلامى نتيجة لسيادة بعض المفاهيم الخاطئة لمفهوم التوكل عند الصوفية، والعمل على إعادة مكانة العلم التجريبى الذى ارتفعت به الحضارة الإسلامية، والخروج من نطاق التقليد.

وربما أضاف بعض المفكرين الكبار الذين ينتمون إلى هذا التيار الإسلامى فكرة القضاء على الاستبداد، الذى يعطل طاقات الأمة، ويؤدى إلى عدم الإفادة من كل الأفكار والقوى الكامنة لدى علمائها وأهل الذكر والاختصاص فيها، وسيادة المفاهيم الشورية الإسلامية.

وينطبق هذا بصفة كبيرة لدى الشيخ عبد الرحمن الكواكبى فيما كتبه عن طبائع الاستبداد، وفيما تصوره لوضع العالم الإسلامى فى كتابه «أم القرى»..

هذه المفاهيم الأساسية تمثل عناصر هذا التيار، الذى يسعى إلى أن يتم التجديد انطلاقًا من الإسلام، واعتمادًا على الإسلام، وذلك باستخلاص العناصر الإيجابية الموجودة فى النصوص الشرعية، وفى التاريخ الإسلامى، والاعتماد عليها فى بناء النهضة، وقيام المجتمع الإسلامى الذى يواصل مسيرة حضارية جديدة، وهكذا.. يمكن أن تكون هذه العناصر هى أهم ما يعتمد عليها هذا التيار.

ويمكن أن نشير -أيضًا- إلى بعض تيارات الفكر الإسلامى المعاصر التى شغلت بفكر النهضة، نهضة العالم الإسلامى من التخلف والضعف والتفتت الذى يعيش فيها.

ويمكن لنا أن نلحظ ذلك فى كتابات كثيرة لعل من أشهرها وأهمها ما كتبه المفكر الإسلامى مالك من نبى فى الحديث عن وجهة العالم الإسلامى، وحديثه عن شروط النهضة، ونحو ذلك.

وهى فكرة موجودة لدى بعض المفكرين الآخرين الذين سبقوه، ومنهم -على سبيل المثال- الأمير شكيب أرسلان فى تعليقاته على حاضر العالم

الإسلامى لستويدر الأمريكى، وما كتبه عن عوامل تأخر المسلمين وتقدم الأمم الأخرى.

وكان هو وأمثاله مهتمين بتحديد أسباب التخلف والضعف حتى يمكن أن ينهض العالم الإسلامى على أسس جديدة تمكنه من الصمود، وتمكنه من المقاومة، وتمكنه من استئناف مسيرته الحضارية.

ولعل ما ذكرته الآن يمثل أهم ما يمكن الحديث عنه، أو ما يحضرنى من حديث حول هذا الأمر.

ولعل هناك إضافة بسيطة هو أن لدينا بعض التيارات التى ظهرت فى الفكر الإسلامى المعاصر كانت ذات وجهة يرتبط فيها الفكر بالحركة؛ يعنى يمكن أن نقسم التيارات إلى تيارات فكرية خالصة، سجلها المفكرون، وظلت أفكارًا، ولم تنتقل من نطاق الفكر إلى نطاق الحركة؛ لأنه لم يتبنها أحد لكى يحولها من نطاق الفكر إلى نطاق العمل، سواء فى المجال السياسى، أو فى غيرها من المجالات.

وهنالك أفكار انتقلت من كونها أفكارًا إلى كونها حركات، وربما نشير إلى هذا فى بعض الأسئلة التى تأتى قريبًا.

لكننى أشير - بصفة خاصة - إلى أنه وجدت بعض الأفكار التى تهتم بجانب من الإسلام، ليس بالفهم الشامل له، بالإضافة إلى بعض الحركات التى اهتمت بالفهم الشامل للإسلام ومحاولة إعادة الإسلام بهذه النظرة الشمولية.

فعلى سبيل المثال ظهر لدينا فى مصر تيارات تعمل فى مجال الحقل الإسلامى تهتم بالجوانب الدينية الخالصة، والجوانب الاجتماعية الملتصقة بها كبناء المساجد والدعوة إلى الله عن طريقها، وإقامة المؤسسات الاجتماعية كالمستشفيات وغيرها، وكأنهم بهذا كانوا يواجهون عملا مضادًا كان موجهًا إلى العالم الإسلامى، وهو ما ظهر فى نطاق التنصير والتبشير، ويمكن أن ننظر إلى الجمعية الشرعية من هذه الزاوية.

هنالك بعض الأفكار التى ظهرت، واهتم أصحابها بالعمل فى نطاق الإسلام من خلال زاوية محددة، وهى زاوية العمل الاجتماعى، أو العمل الرياضى مع بعض النشاط الثقافى مثل حركة الشبان المسلمين.

وقد كانت - أيضًا - رد فعل

لاتجاهات ظهرت فى المجتمع الإسلامى تنظم شبابًا ينتمى إلى أديان أخرى، فكأن المسلمين أرادوا - أيضًا - ألا يفوتهم أن يوجهوا الشباب فى العالم الإسلامى إلى بناء الجسد، وإلى الإسهام فى الرياضة مع تكوين عقيدة من منطلق الثقافة والمحاضرات ونحوها.. وهكذا وجدت مثل هذه الأفكار.

وربما أمكن لى أن أضيف - قبل أن أترك هذا السؤال - أن القرن العشرين شهد التيار الذى أخذ الاتجاه السلفى، وهذا الاتجاه كان معتمدًا على بعض الكتابات وبعض الحركات الإسلامية التى ظهرت فى القرن ١٩ كالحركة الوهابية التى ظهرت فى نجد، وكان لها تأثيراتها وخصوصًا بعد قيام الدولة السعودية الحديثة، وكان نشر كتب هذه الحركة، واعتماد هذا المذهب فى دولة كالسعودية كان له أثره الكبير فى شيوع مفاهيم هذا الاتجاه، ونشر أصوله، وخصوصًا كتب الإمام أحمد بن حنبل، والإمام ابن تيمية، والإمام ابن قيم الجوزية، وابن كثير والذهبى وغيرهم.. وهؤلاء كانوا يمثلون اتجاها فكريًا وهو موجود خلال القرن العشرين، ولا يمكن تجاهله ونحن نتحدث عن أهم تيارات الفكر الإسلامى المعاصر.

وإن كان هذا الاتجاه يركز على الجوانب الاعتقادية أكثر من الجوانب الاجتماعية، ويهتم بتطهير العقيدة مما شابها من الشرك خلال القرون الماضية، وتنقية عقيدة التوحيد، والتركيز على المفهوم الصحيح للعقيدة أكثر من اهتمامهم بالجوانب الأخرى.

السؤال الثالث: ما أهم القضايا التى طرحتها هذه التيارات الفكرية المعاصرة؟

الدكتور مدكور: تبدو الأسئلة على قدر كبير من الترابط، ولذلك إذا كان السؤال الثانى يرتبط بالسؤال الأول؛ فإن السؤال الثالث يرتبط بالسؤال الثانى ارتباطًا وثيقًا وعضويًا لا يمكن الفصل بينهما.

ويمكن أن نشير - إضافة إلى ما سبق من إجابة عن السؤال الثانى - إلى عدد من القضايا الأساسية التى طرحتها هذه التيارات الفكرية المعاصرة.

أولا: تجديد فهم الدين بإزالة الأوهام والانحرافات الفكرية التى ارتبطت بمفهوم الدين، خلال العصور على أيدى بعض الفرق الكلامية، أو على أيدى

بعض الفرق الصوفية، أو على أيدى الحركة الشعبية غير المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بأصولها الدينية.

ومعنى ذلك أن هؤلاء المنتمين إلى هذه التيارات الفكرية الإسلامية التى تنهض عن طريق الإسلام وبالإسلام كانت تعمد إلى بيان الفهم الصحيح للدين، بإزالة ما تراكم عليه خلال العصور، ومحاولة العودة إلى فهم نقى صحيح يقترب مع الفهم الذى كان للإسلام قبل حدوث البدع وقبل حدوث الانشقاقات.

وهذا ما تحدث به الشيخ محمد عبده -على سبيل المثال - وصرح به صراحة، وهذا ما يظهر فى الفكر السلفى ، ولكن النسب متفاوتة والاجتهادات مختلفة. هذه نقطة من النقاط الأساسية التى شغل بها أصحاب التيار الأول.

ثانيًا : الاهتمام بالرد على الشبهات التى كانت توجه إلى العالم الإسلامى من قِبَل المفكرين الغربيين الذين درسوا الإسلام، سواء كانوا من المستشرقين أم من المنتسبين إليه.

وعلى سبيل المثال يمكن أن نشير إلى بعض المحاضرات التى ألقيت فى أوروبا، كمحاضرات «هانونو »، أو «رينان» الذى تحدث عن افتقاد الإسلام للروح العلمية، وعدم قدرة الإسلام على بناء النهضة، وكونه عائقًا للتقدم..

وهذا كان محل مساجلة كبرى، قام فيها جمال الدين الأفغانى بالرد على رينان، وكذلك قام الشيخ محمد عبده بالرد على محاضرة «هانونو».

وهناك أيضا بعض النظريات العلمية التى كانت تواكب التطور فى أوروبا كنظرية «داروين» على سبيل المثال، وجدت من يرد عليها بداية من الشيخ الأفغانى فيما كتبه فى الرد على الدهريين.

وهكذا كان من القضايا الأساسية التى اهتم بها رواد هذا التيار الذى ينهض بالإسلام وانطلاقًا من الإسلام: الرد على هذه الشبهات والشكوك التى تحاك ضد الإسلام، وكذلك الرد على الأفكار التى يثيرها من ينتسب إلى الفكر الغربى ممن يعيشون فى المجتمع الإسلامى بعد البعثات العلمية التى ذهبت إلى أوروبا، سواء فى أوربا الغربية أو أوربا الشرقية، وكذلك الرد على ما كانت تحمله الصحافة، وما كان يحمله بعض المفكرين غير الإسلاميين من تفسير لبعض آراء المفكرين الإسلاميين.

ولعلنا أيضا نذكر المساجلة التى دارت بين الشيخ محمد عبده وبين فرح أنطون حول «ابن رشد»، وما كان يدعو إليه فرح أنطون من فهم علمانى وتفسير علمانى لنصوص ابن رشد، ودعوة إلى النهضة عن طريق العلم التجريبى، والابتعاد عن تقليد الأقدمين ونحو ذلك مما يعطل من وجهة نظره مسيرة النهضة فى العالم العربى والإسلامى إلى آخر هذه الشبهات التى كانت تثار، إما على أيدى المستشرقين، وإما على أيدى من انتقلت إليهم الأفكار من أوروبا بسبب سفرهم إليها ونحو ذلك.

فقد كان هذا أيضًا من الأمور التى تشغل أصحاب التيار الذى ينهض بالإسلام واعتمادًا على الإسلام.

ثالثًا: تحليل أسباب ضعف العالم الإسلامى، وهذه قضية انشغل بها مفكرون إسلاميون كثيرون، حاولوا أن ينظروا فى تاريخنا الإسلامى، وتاريخنا السياسى والاجتماعى، وأن يستخلصوا من واقع العالم الإسلامى الأسباب التى أدت إلى تدهوره بعد أن كانت له القوة والغلبة فى السياسة والفكر والحضارة، والعمل على مقاومة هذه العوامل التى أدت إلى هذا ضعف.

ففكرة النهضة كانت موجودة بصورة واضحة جدًا؛ لأن مقارنة واقع العالم الإسلامى بما كانت تعيشه أوروبا فى ذلك الوقت من نهضة عمرانية، وعلمية تجريبية، وقوة عسكرية وسياسية... كانت تفرض نفسها على المفكرين الإسلاميين الذين يريدون النهضة بالعالم الإسلامى، فكانت تدفعهم دفعًا إلى محاولة تفسير هذا الخلل الذى أصاب الأمة الإسلامية، وتدفعهم لوضع الخطط للنهوض بالعالم الإسلامى مرة ثانية.

وهكذا كانت قضية النهضة من القضايا الأساسية التى يهتم بها رواد تيار النهضة الإسلامية.

أما التيارات الأخرى فكانت تهتم ببذر ونشر أفكارها عن طريق الكتب المترجمة، أو عن طريق الصحافة، أو عن طريق المؤتمرات الداعية إلى سيادة فكر جديد وفهم جديد يحاول أن ينهض به العالم الإسلامى نهضة مادية دنيوية علمانية.

وهذا كان مرتبطًا -كما أقول- بجهود بعض المفكرين الذين يدعون إلى هذه الأفكار، ويقاومون بها تأثير

الاتجاهات الأخرى التى تنظر إلى التطور من وجهة نظر إسلامية خالصة.

السؤال الرابع: ما هو مفهوم الحركة لديكم؟

الدكتور مدكور: الحركة بصفة عامة وإذا نظرنا إليها بمفهومها اللغوى الخالص: ضد السكون، وشيوع اتجاه سكونى وثابت وراسخ معناه توقف حركة الحياة وتوقف حركة التقدم، وسيادة مفهوم تقليدى سواء من الناحية الفكرية والناحية السياسية، أو من الناحية الاجتماعية، أو من ناحية فهم دينى معين، ومعنى ذلك أن تصاب الحياة بما يشبه الشلل.

وهذا السكون غير متصور تصورًا مطلقًا فى حركة المجتمعات، قد يوجد بطء فى الحركة، ولكن المجتمعات التى تسكن سكونًا تامًا تكون فى طريقها إلى الزوال؛ لأنها قد افتقدت العوامل الإيجابية التى تعمل على إثبات الوجود، وعلى استمرار الحياة، وعلى تطوير هذه الحياة بما يؤدى إلى وضع أفضل من الأوضاع السابقة التى تقوم عليها هذه المجتمعات.

والحركة - إذا نظرنا إليها فى ذاتها- قد تكون حركة عشوائية، وقد تكون حركة متقطعة، ولكن فى مجال الفكر، وفى مجال السياسة، وفى مجال الاجتماع تقصد بالحركة: ما كان خاضعًا لفكر، وساعيا إلى تطبيق غايات معينة استنادًا إلى منهج منظم وتخطيط.

فالحركة - إذن - تعتمد على الفكر بوصفه الباعث والمحرك، وتسعى من خلال النتائج إلى تحقيق غايات وأهداف معينة، وتعتمد فى الوصول إلى هذه الأهداف على منهج مخطط علمى ومدروس.. بهذا تكون حركة.

وقد سبق لى شخصيًا أن استخدمت مصطلح الحركة فى الحديث عن ظاهرة الاستشراق باعتبار أن هذه العناصر توجد لديها، بمعنى أنها منطلقة من فكرة، وتسعى إلى تحقيق غاية تعتمد منهجًا معينًا للوصول إلى تحقيق هذه الغايات، وسبق لى - أيضًا - أن استخدمت هذا المصطلح فى وصف الاجتهاد الفقهى (حركة الاجتهاد الفقهي)؛ لأنه ينطلق من منطلقات فكرية، الكتاب والسنة مثلاً، أو من المصادر التى يعتمد عليها الاجتهاد، ثم يسعى إلى تحقيق ما ضمنته الشريعة من تحقيق مصالح العباد بناء على خطوات متدرجة ومتسلسلة فى منهج الاستنباط

انطلاقا من النص أولا، ثم دراسة النص من حيث الثبوت ومن حيث توثيقه إلى آخره، حتى يصل المجتهد أو الفقيه إلى حكم الله عز وجل فى الواقعة التى تعرض عليه.

ويمكن لنا أن نوسع هذا المفهوم، أو ننظر إليه نظرة خاصة فى الحديث عن الفكر، وعن السياسة.

من ثم فما ينطبق عليه هذه العناصر: «الانطلاق من فكر- السعى نحو تحقيق غايات- الاعتماد على منهج مخطط ومدروس»: يمكن أن نطلق عليه حركة، ومن هنا وصفت بعض التيارات الفكرية التى تحولت إلى واقع، أو حاولت التحول إلى واقع، وصفت بأنها حركات إسلامية، أو حركة الصحوة الإسلامية.. وهكذا يمكن أن توصف بمفهوم الحركة.

وينبغى أن نستبعد من مفهوم الحركة الحركات العشوائية، أو الحركات الفجائية، أو الحركات الاعتباطية التى قد تظهر نتيجة لنزوة فكرية، أو اتجاه عاطفى ليس راسخ الجذور، وليس واضح القسمات، وليس واضح الملامح، وليس محدد الغايات التى يسعى إليها.

فمن هنا أصف الحركة بذلك متى توفرت فيها هذه العناصر الثلاث: «الفكر - الرائد أو القائد- الغاية المحددة»، وهذه الغايات ربما يصيبها بعض التطور بناءً على ما تواجهه الحركة فى سيرتها، وقد تعدل من منهجها، وتعدل من طريقتها إلى آخره..

ولكن ينبغى أن يكون ذلك كله خاضعًا للتخطيط العملى العلمى، وليس مجرد الحركة العشوائية.

السؤال الخامس: هل للحركات الإسلامية المعاصرة جذور فكرية انطلقت منها، أم أنها نشأت بصورة حركية صرفة، وهل ولدت الحركة فكرًا؟

الدكتور مدكور: لعلى فى إجابتى عن مفهوم الحركة اتخذت اتجاها معينًا فى الإجابة عن هذا السؤال، وأن كل ما لا ينطلق من فكر فإنه ليس جديرًا بأن يوصف بأنه حركة إسلامية، أو حركة اجتماعية، أو حركة فلسفية، أو أى حركة ما دامت ليست منطلقة من فكر؛ فيجب مراعاة هذا الأمر.

حتى الحركات الشيوعية توصف بعضها بأنها حركات غير علمية حتى إننا نجد هناك اشتراكية علمية، واشتراكية غير علمية؛ لأن الاشتراكية غير العلمية ليس لديها هذا الفكر المنظم،

ليس لديها الرؤية الشمولية، ليس لديها المنهج المحدد ليسد لديها الغايات المحددة، قد تختلط فيها المفاهيم ببعض الحركات الإسلامية، ومن ثم فإنها لا توصف بأنها في داخل إطار الفكر الشيوعي.

أما بالنسبة للحركة الصهيونية: فقد وجدت حركات قبل هرتزل وغيره، وهذه الحركات لم تستمر؛ لأنه ليس لديها آليات الاستمرار، وليس لديها أفكارًا محددة، وليس لديها الغايات المحددة.. إلى آخره، وقد توجد عندها الغايات بطريقة غامضة، ولكن ليس لديها الوسائل..

وأنا في إجابتي على السؤال السابق اتخذت اتجاهًا في أن الحركات التي ليس لها جذور فكرية ينبغي استبعادها من نطاق الحركة، وتدرس على أنها ظواهر نشأت في نطاق العمل الإسلامي، ولكنها ظواهر موقوتة، طارئة، وشواهد عرضية، ليس لها صفة الاستمرار، ومن ثم فإن هذه الحركات ليست جديرة بأن توضع على المستوى الذي ينبغي أن تتحقق فيه هذه الشروط التي تحدثتُ عنها.

إذا نظرنا إلى الحركات الإسلامية - ومن بينها حركة الإخوان، وهي من الحركات التي أخذت ثلاثة أرباع القرن تقريبًا - إذا نظرنا إليها منذ مؤسسها الشيخ حسن البنا، فقد كانت لديها أهداف من جذورها الفكرية التي انطلقت منها، فقدمت فكرًا إسلاميًّا شاملاً يسعى إلى إقامة المجتمع الإسلامي على عناصر وأصول كتلك التي قام عليها من قبل، وتتخطى المفاهيم الجزئية في النظر إلى الإسلام على أنه مجرد عبادة، أو على أنه مجرد طرق ونحو ذلك.

وإنما تسعى إلى تحقيق الإسلام في شموله وعمومه، وإعادة هذا المفهوم الشامل بعد أن كاد يغيب نتيجة لسيادة المفاهيم العلمانية الطارئة فقد كانت حركة موجهة إلى الاتجاهات العلمانية، وكانت حركة لمحاولة استعادة وضع العالم الإسلامي، بعد القضاء على الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤ م، بينما بدأت الحركة ١٩٢٨م.

فقد كانت لديها جذورها الفكرية، وكانت لديها غاياتها التي اتضحت بصورة متكاملة بالتدريج - على حسب ما مرت به حركة الأخوان - فهذه الحركة - بوصفها نموذجًا من الحركات- لها خصائص مطلق الحركة.

إذا نظرنا إلى حركة الجماعة الإسلامية فى الهند، فإننا نجد فيها أيضا ملامح وخصائص ما هو جدير بأن يطلق عليه حركة إسلامية؛ لأنها قامت للحفاظ على الهوية الإسلامية فى مقاومة القوميات الأخرى الكاسحة، وفى مقاومة الاستعمار، ومحاولة إقامة الدولة على هذه المفاهيم الإسلامية الواضحة التى تعنى بالعقل وتعنى بالحرية، وتعنى بالتقدم، وتعنى بالشورى، ومحاولة وضع نظام للمجتمع الإسلامى الصاعد فى بعض الولايات الإسلامية التى تحولت إلى باكستان فيما بعد، لكي تكون ذات تأثير فى حياة المسلمين، وفى صياغة حياتهم على أساس من المفاهيم الإسلامية الواضحة.. وهكذا يمكن أن نرى مثل هذه الحركات.

وإذا أخذنا على سبيل المثال نماذج أقدم قليلاً كالحركة الوهابية، فهى أيضًا كانت لها جذورها الفكرية وتوجهاتها، وكانت لها وسيلتها لتحقيق هذه الأفكار عندما تم الاتفاق بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبين الحكام فى عصره، ولا سيما ابن سعود بتحويل هذه الأفكار إلى مفاهيم أساسية فى مجتمع شبه الجزيرة العربية، حتى تتم العودة إلى الإسلام بحسب المفهوم الذى قدمته هذه الحركة فى ذلك الوقت.

ويمكن أن نجد نماذج للحركات الإسلامية المعاصرة ذات جذور فكرية، وذات غايات تسعى إلى تحقيقها، ولا نستطيع أن نقول إنها نشأت بصورة حركية صرفة؛ لأن هذا أمر غريب فى نطاق أى عمل، وسيكون كالومضة التى تظهر فجأة ثم تختفى، دون أن تترك ورائها أية آثار، ولا يمكن أن يكون لها صفة الامتداد أو التأثير، لكن هذه الحركات أثرت سلبًا أو إيجابًا بموافقة النظم السياسية أو عدم موافقتها؛ بل إنها أثرت على المستوى الفكرى -أيضًا- ولهذا نقول: ولدت الحركة فكرًا.

ويظهر هذا بمقارنة وضع الفكر الإسلامى قبل ظهور هذه الحركات بوضع الفكر الإسلامى بعد ظهور هذه الحركات.

وقد كان مؤسسو بعض هذه الحركات حريصين على إبراز هذا الطابع الفكرى لحركاتهم، وتوضيح الأسس التى تقوم عليها، وتوضيح الغايات التى تسعى إليها، وبيان ارتباطها بالأصول الإسلامية.

وعلى سبيل المثال فنحن لا نستطيع

تجاهل الجهود التى قدمها المودودى، وإن أسىء تفسير بعض نصوصه، وإن ارتبطت بعض نصوصه بواقع كان يعيش فيه بداخل المجتمع الإسلامى بالهند.

لا يمكن أن نتجاهل الحركة الفكرية التى تشتمل عليها مؤلفاته وكتاباته فيما يخص الموقف من الحضارة الغربية، والموقف من النهضة فى العالم الإسلامى، والموقف من المشكلات التى تواجه العالم الإسلامى.

لا يمكن أن نتجاهل على سبيل المثال ما كتبه مفكر كأبى الحسن الندوى -مثلاً- وما زال الرجل يعطى فى ثراء وتدفق ومواجهة للمشكلات..

لا يمكن أن نتجاهل ما كتبه مفكر كالشيخ عبد الحميد بن باديس فى الجزائر، وهو ما ترتب عليه قيام حركة النهضة فى الجزائر، وحركة المقاومة للاستعمار الفرنسى... وهكذا، فالحركات ولدت فكرًا لاشك فى ذلك.

وإذا رجعنا إلى بعض كتب كتبها بعض أعلام الفكر فى حركة الإخوان المسلمين كالشيخ الغزالى، والشيخ سيد سابق، والأستاذ عبد القادر عودة؛ فسوف نجد فى مقدمات هذه الكتب ما يوضح أن الشيخ حسن البنا كان يوصيهم بطرق هذه الموضوعات، فمثلاً يكتب الشيخ سيد سابق فى الفقه، ويكتب -فى المقدمة- أنه قام بذلك بوصية أو بنصيحة أو بتوجيه من الشيخ البنا، حتى يسد حاجة المسلم المثقف، وتوفير المعارف بالمصطلحات الفكرية القديمة للأحكام الشرعية، ونحن لا نستطيع أن نرجع إلى المصادر، وإنما إلى كتاب الشيخ سيد سابق «فقه السنة» على سبيل المثال.

وما كتبه الشيخ الغزالى عن النظم الاقتصادية، وما كتبه عن علاقة الإسلام بالرأسمالية، وعلاقة الإسلام بالمذاهب الاشتراكية.. كل هذه الكتب نجد فى مقدمتها إشارة إلى أنها بتوجيه من الشيخ حسن البنا رحمه الله.

وما كتبه الدكتور عبد القادر عودة فى مجال القانون وفى مجال التشريع، وما كتبه الدكتور محمد عبد الله العربى فى مجال الاقتصاد.. وهكذا..

وهذا الموضوع ربما لم يخدم بما فيه الكفاية، ولذلك يظل غائبًا عن الساحة، ولكن لو أن هنالك بعض الدراسات المتخصصة توجهت إلى هذه الفكرة فسوف يتضح مقدار ما أسهمت به هذه الحركات سواء هنا فى مصر، أو فى

الجزائر، أو فى تونس.

حتى فى الفكر السلفى الذى أدى إلى نشر فكر ونشر اتجاهات كانت مطاردة فى العالم الإسلامى، فكتب ابن تيمية عندما ننظر إليها فى أواخر القرن الماضى كان ينظر إليها نظرة على أنها أقل من المستوى الذى ينبغى أن تعالج به، وأن ينظر به إليها، وربما أحاطت بها شبهات، ومقولات، يعد ابن تيمية والمنتسبون إليه بريئين منها، فوجود هذه الحركة القوية فى المجتمع السعودى أدى إلى نشر فكر... وهكذا.

ونحن نتفق أو نختلف فى النظرة إلى هذا الفكر، وربما توافق عليه بعض الجهات أو لا توافق ، فى الداخل أو فى الخارج، وربما ينظر إليه نظرة سلبية أحيانًا، ولكنه فكر ينبغى أن ننظر إليه نظرة موضوعية بأن يوضع فى إطاره التاريخى، ويربط بالحركة التى أنشأته، وبالأحوال السياسية التى ظهر خلالها حتى نستطيع أن نقوِّم هذا الفكر تقويما صحيحا، ولكننا على أية حال لا نستطيع أن نتجاهل هذا الفكر، وما كان له من تأثير فى حركة المجتمع الإسلامى فى العصر الحاضر.

ويمكن أن نضيف هنا أن بعض هذا الفكر يوصف بأنه فكر معتدل أو فكر متطرف نتيجة للظروف والبواعث التى تعلقت به، أو ارتبطت بنشأته، أو الظروف التى خضع لها أصحاب هذا الفكر؛ ولكنه فكر على أية حال.

ونحن ينبغى أن ندرس بمنتهى الحياد والموضوعية هذا الفكر المترتب على هذه الحركات؛ لكى نرى ما أسهمت به فى إثراء الفكر الإسلامى، وفى إثراء الحياة الإسلامية، والحركة الاجتماعية الإسلامية، ليمكننا تقويمه: فنرى هل هو مرتبط بظروف خاصة ليس لها صفة الاستمرار، هل يمكن أن نعدل عنه فى بعض الأحيان مبينين أسباب هذا العدول، إلى آخر ما يمكن أن يتضمنه تقويم هذه الحركات.

توجد أيضا حركة إسلامية فى المهجر، حركة موجودة بين المسلمين المهاجرين إلى أوربا، وإلى أمريكا الشمالية، وأمريكا الجنوبية، وهى تمثل حركة مرتبطة بواقع هذه المجتمعات، وما تواجهه من مشكلات تحتاج إلى حلول، وتحتاج إلى تفسير، وإلى حكم شرعى؛ ومن هنا فإن لها فكرًا يرتبط بالحركة الإسلامية المعاصرة، ولا يصح الإغضاء عنه، ونحن نتحدث عن الحركة

الإسلامية.

السؤال السادس: إلى أى مدى تفاعل الفكر والفقه الإسلامى بالحالة الراهنة للعالم وما يكتنفها من تغيرات؟

الدكتور مدكور: لعلنى فى آخر ما تحدثت به في السؤال السابق أشرت إشارة ما إلى إجابة هذا السؤال، وهو يتعلق بتفاعل الفقه والفكر الإسلامى بالحالة الراهنة فى العالم.

وأقول أولاً: إن الفكر الذى نشأ فى العالم الإسلامى ارتبط بحالة العالم الإسلامى، وما يرد على هذا العالم الإسلامى ويفد عليه من مشكلات يولدها التطور العالمى.

وعلى سبيل المثال فإن ما يحدث من تطور فى مجال الاقتصاد، وما يحدث من تطور فى مجال الطب، وما يحدث من تطور فى مجال النظم السياسية.. يلقى بظلاله على المفكرين الذين يوجدون فى العالم الإسلامى، ويلزمهم بضرورة إيجاد الحلول الشرعية لما يطرأ من هذه المشكلات فى العالم الإسلامى وللمسلمين الموجودين فى العالم الآخر الذى لا يرتبط بالنظام الإسلامى، سواء كان ذلك على هيئة أقليات إسلامية موجودة فى بعض المجتمعات، أو حركة إسلامية مهاجرة إلى بعض المجتمعات.

الفكر هنا مكلف ببحث هذه المسائل ودراستها، وإيجاد الأحكام والحلول والاجتهادات، على الأقل الاجتهادات الشرعية لهذه المشكلات.

ولعلنا نذكر مشكلة البنوك وما تثيره من مشكلات فى العالم الإسلامى، ومشكلة التطورات الطبية كنقل الأعضاء، والحمل خارج الرحم... ونحو ذلك من تطورات أخرى تثور فى العالم الغربى.

هذه المسائل تصدر فيها الفتاوى الفقهية، وتتصدى لها المؤتمرات الإسلامية، بل والاجتهادات الفردية على مستوى الرسائل الجامعية والبحوث الفردية لتقديم تصورات وحلول إسلامية لهذه المشكلات الطارئة.

ومن هنا فإن الفكر والفقه الإسلامى يرتبط بهذه الحالة الراهنة فى العالم الإسلامى.

ولعل فكرة التطور التى أثارها داروين وما ألقته من ظلال على الفكر الإسلامى، جعلت رجلا كجمال الدين الأفغانى يحاول أن يتصدى لهذه الفكرة كى يرى تأثيرها على العقيدة، وما يتعلق منها بخلق الله تعالى للإنسان خلقًا

مباشـــرًا، وتكريـم الإنســـان، وحريـة الإنسان إلى آخر هذه الأمور.. تعد بداية لهذا التصدى، والتفاعل مع المشكلات التى تقع فى العالم.

فـالعلم التجريبى الموجـود الآن يثير مشكلات، لعل آخرها الاستنساخ على سبيل المثال، ويحتاج الأمر إلى دراسات تتعلق بنقد الشرع لهذه المسألة، ورؤيته بالنسـبة للاستنسـاخ فى نطـاق الحيوان ونطـاق النبات، والاستنسـاخ فى نطاق الأعضـاء، والاستنساخ للإنسان الكامل وهكـذا، ومـا يـترتب على ذلـك من مشكلات أخلاقية، ومشكلات دينية، ومـا يمكـن أن يقدمـــه المجتهـدون الإسلاميون من حلول لمثل هذه المشكلة.

فهذه المسـائل لو بعث أحد الفقهاء مـن القـرن المـاضى، ورأى الفقهـــاء يتحدثون بهـذه الطريقة فلا بد أن يصعق مرة أخـرى؛ لاختـلاف لغـة الخطـاب الفكرى، ولغـة الاجتهاد الفقهى لمواجهة مثل هـذه المشـكلات الطارئـة الحديثـة؛ فإذن ليس الفقـه الإسـلامى الآن منعزلا عـن هذه التيـارات الفكريـة والتغيرات الموجـودة؛ لأنهـا تغيرات تفرض نفسـها على واقع المجتمع الإسلامى، ومن ثم فإن المجتمع الإسـلامى مطالَب بـأن يوجدِ لها حلا شــرعيًا؛ لأنـه إذا أراد أن يكون مجتمعــا إســــلاميا فـلا بـد أن يلـتزم بالنصوص الشرعية. وكما قال فقهاؤنا: إن كـل فعل من أحكام المكلفين لابد أن يكون لـه حكـم شـرعى إمـا بالوجوب وإمـا بـالتحريم وإمـا بالإباحـة وإما بالكراهـة وإمـا بالندب، فالمسلم مكلف شـــرعا طالمـا أراد أن يعيش فـى نطـاق إســلامه، ومـا دام أراد أن يعيش ملتزما بأفكـار دينـه وأصولـه وأحكام شـريعته، فلا بـد أن يجـد الحكم الشـــرعى الذى يطمئن إليـــه قلبـه فـى أى مســألة من المسائل.

وعندمـا يهـاجر أحـد المسـلمين إلى مجتمـع غربى، فإنـــه يواجـه هنـاك ببعض صور الحياة التى لا يجدهـا مستساغة من وجهـة النظـر الإسـلامية، وهـو مـا يحتاج إلى جهود فكرية وجهود علمية من أجل حـل هـذه المشـــكلات، وهكـذا تثـار مشـكلات أمـام المسلمين فـى مجتمعات خـارج العـالم الإســلامى، أو تنقل إلى العـالم الإســـلامى نتيجـة هـذا التواصل الحضارى الموجود الآن كالبنوك ونحوها، ويضطـر الفقهـاء، تحت ضغـط حاجـة المســلمين، إلى دراسـة هـذه المشـكلات وتقديم الحل الإسلامى لها.

ومن ثم فإن التفاعل الآن تفاعل كبير، وخصوصًا فى ظل هذا الاتصال الإعلامى والمعلوماتى الموجود فى العالم الآن، والذى لا يستطيع المسلم تجاهل وجود مثل هذه التيارات فيه؛ لأنها تفرض نفسها عليه فرضًا، وعليه أن يصل إلى حكم شرعى فى مثل هذه المشكلات؛ ومن هنا فإننا نستطيع أن نقول: إن هناك تفاعلات.

تقويم هذا التفاعل، والإقدام عليه، وتقديم حلول جذرية فيه، والتوصل إلى حلول شرعية، وإلى أى مدى نجحنا فى هذا، هذه المسألة تختلف فيها وجهات النظر، وربما تعكس فى بعض الأحيان نوعا من التذبذب فى الآراء لأسباب متعددة.

منها - على سبيل المثال - غلبة اتجاه فقهى معين؛ فإلى الآن هناك بعض المجتهدين ينظرون من خلال اتجاه فقهى معين، والبعض الآخر ينظر من خلال نظام سياسى معين.. وهكذا.

ولكن وجود الاجتهادات الفردية، ووجود المجامع الفقهية من شأنهما أن يعملا على تقريب وجهات النظر بين المجتهدين الإسلاميين فى تحقيق هذا التفاعل، وفى تقريب وجهات النظر، ونحن فى كل الأحوال لا نطالب أن يكون الرأى واحد؛ لأن هذا لم يقع فى تاريخنا الإسلامى الذى انقسم إلى مذاهب فقهية متعددة، وظهرت بعضها إلى جانب بعض؛ ولكننا نبتغى فقط أن يكون الاعتماد على النصوص والمصالح المتوافقة مع النصوص، وليست المصادمة لها، أو التى تخضع النصوص لظروف خارجية، أو اجتهادات ليست إسلامية.

هذا هو الذى نبغيه فى ضبط الاجتهاد، أما التفاعل فهو موجود شئنا أم بينا، أما الأحكام التى نتوصل إليها فيمكن أن تنتظم بمرور الوقت، وأن يستقر الاجتهاد فى المسائل الجديدة التى تطرأ على حياة المجتمع الإسلامى.

السؤال السابع: إلى أى مدى تأثر الفكر الإسلامى المعاصر بالتيارات الفكرية العالمية؟

الدكتور مدكور: يمكن أن نقول -وإن كان فى هذا القول تعميم كبير، يحتاج إلى تحديد وتفصيل- بأننا لا نستطيع أن نعزل الفكر الإسلامى المعاصر عن تأثره بالتيارات الفكرية العالمية. وهنا نلجأ - أيضًا - إلى المقارنة.

إذا قارنا ما يصدر من كتابات فكرية سوف نجد أن بعض المفكرين الإسلاميين

يحاول أن يقدم الإسلام على نحو يبين تفضيل الإسلام على بعض التيارات الفكرية العالمية.

وعلى سبيل المثال، عند الكتابة عن العدالة الاجتماعية وعن منهج الإسلام فى إقامة المجتمع... فإن من يكتب فى هذا الأمر يضع فى ذهنه تيارات بعينها يريد أن يوضح أصالة الإسلام فى معالجة المشكلات التى تعالجها، ومزايا الإسلام فى تقديم الحلول للمشكلات التى تناقشها هذه التيارات.

فعندما تحدث الشيخ الغزالى أو سيد قطب عن العدالة الاجتماعية فى الإسلام؛ فهما يضعان فى ذهنهما تيارات بعينها يردان عليها ضمنا، ويبينان مزايا الإسلام فى النظر إليها ضمنًا، وقد يصرحان بذلك؛ فبعض عناوين كتب الشيخ الغزالى تتحدث عن هذا صراحة.

وعندما يتحدث مفكر عن الشورى فى الإسلام ويضع فى ذهنه فكرة الديموقراطية الغربية، وهو متأثر بها أصلاً فتوجهه إلى النظر فى النصوص نظرة لم تكن لدى المفكر الإسلامى الذى سبق وطرح هذا المشكلات، ومن ثم يريد أن يبين مزايا الإسلام فى نقطة معينة، بناء على الوعى بهذه التيارات، وقد يرد عليها صراحة أو يرد عليها ضمنا.

عندما يشار - مثلاً - الاتجاه إلى العلمانية، وهو اتجاه يفرض نفسه على العالم الإسلامى منذ حملة نابليون على مصر، وازداد بعد وجود الاستعمار فى العالم الإسلامى، ونشأة الدولة الحديثة فى العالم الإسلامى متأثرة بالمفاهيم الأساسية الموجودة فى العالم الغربى بصفة عامة.. فالباحث يريد أن يبين علاقة الإسلام بهذه الأفكار وهذه المفاهيم، وما يتميز به عنها؛ ومن ثم فإننا لا نستطيع أن نعزل صلة الفكر الإسلامى المعاصر بهذه التيارات الفكرية العالمية.

وقد يصل الأمر فى بعض الأحيان إلى صياغة بعض المفاهيم الإسلامية بما تتبدى عليه هذه التيارات الفكرية العالمية.. وهذا يوجد عند بعض المفكرين، بمعنى أن يقدم الإسلام من خلال الرؤية الفكرية العالمية لموضوعها بحيث تكاد تكون صورة مطابقة له.

وفى حقيقة الأمر فإن مثل هذا التوجه يؤدى إلى تحريف النصوص فى بعض الأحيان عن مواضعها، والنظر

إليها بعين ليست هى العين الإسلامية المنضبطة بأصول الاجتهاد الشرعى فى النصوص الشرعية، وهى على كل حال توضح لنا تأثر الفكر الإسلامى المعاصر بالتيارات الفكرية.

فعندما ينظر مفكر مثل أحمد خان ـعلى سبيل المثال ـ لنهضة العالم؛ فإنه ينظر إليه من خلال الرؤية الغربية، ويحاول أن يصبغ عليها بعض المفاهيم الإسلامية، ويكون الأمر عندئذ انتقاء لبعض النصوص التى تتفق مع وجهة نظره، واستبعادًا لبعض النصوص التى لا تتفق مع وجهة نظره؛ ومن هنا فإن مثل هذه الرؤى توصف بأنها جزئية، وأن فيها تحريفا وإخضاعًا للنصوص الشرعية لهذه التيارات الفكرية حتى تبدو النصوص الشرعية متوافقة معها.. وهكذا.

فالفكر الإسلامى المعاصر تأثر بدرجات متفاوتة لا يمكن أن نضعها كلها فى إطار واحد، ولا فى مستوى واحد، ولا فى موقف واحد من الرد؛ فقد يكون التأثر عكسيًّا بمعنى إثبات أصالة الفكر الإسلامى وجدارته بالتفوق بسبب مصدره الإلهى، وبسبب حفظ مصادره الشرعية، وبسبب الشمول الذى فى الإسلام.

وقد يؤدى التأثر فى بعض الأحيان عند بعض المفكرين إلى إخضاع الفكر الإسلامى نفسه، وأصوله إلى التيارات الفكرية الخارجية.

السؤال الثامن: هل بدأت بعض الأفكار الإسلامية تطرح على الصعيد العالمى، وما أهم مجالات الحوار التى دخلت فيها مع الفكر الآخر؟

الدكتور مدكور: بالنسبة للجزئية الأولى من السؤال فأنا أرى أن الفكر الإسلامى يجد صعوبة كبيرة فى الطرح على الصعيد العالمى لأسباب عديدة منها:

أن العالم وخصوصًا الغرب بمفهومه الحضارى سواء شرقًا أو غربا يحس بالتفوق عن العالم الإسلامى من الناحية السياسية والعسكرية والتكنولوجية والإعلامية، ومن ناحية إصدار الكتب وناحية المعرفة.. من كل النواحى التى تؤدى بالفعل إلى وجود القوة بمفهومها العام الشامل، وتؤدى إلى وجود التفوق، وبالطبع فإن أوروبا ومعها أمريكا تحس بالتفوق على العالم الإسلامى منذ قرون، وأنها تشعر بفتوة النهضة التى يفتقدها العالم الإسلامى،

والتى ظهرت فى المجال السياسى والعسكرى، وانتهى فى النهاية إلى أن يخضع لأوروبا نفسها حينما أتت لاحتلاله واستعمار أرضه.

نحن ننظر بغرابة - مثلا - إلى أن بلدًا كهولندا يحتل بلدًا كأندونيسيا، أو بلدًا كإنجلترا تحتل بلدًا كالهند.. الهند التى كانت عندما احتلتها إنجلترا بلدًا إسلاميًّا تصنف فى عداد المجتمعات والدول الإسلامية، أو عندما تجد اليهود والذين كنا نصفهم بأنهم شراذم يهزمون العالم الإسلامى كله، ويأخذون أرض المسلمين فى القدس وفلسطين.

فالعالم الغربى يحس بالتفوق تجاه العالم الإسلامى؛ ولذلك إذا نظرنا إلى حركة التأثير فهى فى الغالب من أوروبا نحو العالم الإسلامى، وإذا كان العالم الإسلامى يقظًا واعيا؛ فإن حركته تكون فى صد ما يمكن أن يتعارض مع مقوماته الأساسية من هذا التيار الوافد إليه.. هذا إذا كان واعيًا، فإن حركته تتمثل فى صد، أو فى التقليل من آثار هذا التأثير الوافد إليه من العالم الغربى.

ولذلك فأنا أظن أن تأثر الفكر العالمى بالفكر الإسلامى تأثر قليل، ولعله يكاد يكون غير موجود بصورة مرئية، أو بصورة محسوسة؛ لأنه طالما كنا نحن فى الموقف الأضعف من جميع النواح، حتى إننا نعتمد على الخارج فى كل شيء تقريبًا، فإن التأثير لا يأتى من الجانب الأدنى - حضاريًا وتكنولوجيًّا وعلميًا - إلى الجانب الأقوى ، ولا يأتى من الأضعف إلى الأقوى، وإنما يأتى من الأقوى إلى الأضعف بصفة عامة.

فلا أرى مظاهر تأثر الفكر العالمى بالفكر الإسلامى، ثم إن هناك سببًا مهمًا آخر، وهو أننا - فى حقيقة الأمر- لا نقوم بترجمة فكرنا إلى العالم لعدم إجادتنا للغات العالم، ولعدم اهتمامنا بهذه الزاوية من التأثير فى العالم، ومن ثم فإن العالم عرف كثيرًا عن اقتصادنا نتيجة لجهده الخاص، وليس نتيجة لجهودنا نحن، ويعرف عن فكرنا ما ينتهى إليه مفكروه، وليس عن طريق جهدنا نحن فى تعريفهم بفكرنا، وبذلك فإن رؤاهم وأفكارهم متأثرة بمواقفهم الأيديولوجية والتاريخية والدينية والسياسية من العالم الإسلامى.

ونحن نعلم أن العلاقة بيننا وبين كثير من بلدان الغرب - شابتها حروب وشابتها صراعات كثيرة وحروب صليبية وحركة الاستعمار الحديث..

ومن ثم فهم يعرفوننا من خلال هذا الاحتكاك، ويختارون مما يعرفونه ما يتفق مع أيديولوجيتهم، وما يتفق مع تحقيق مصالحهم ويصدرون إلينا ما يرتبط بهذه المصالح وبهذه المفاهيم والأيدلوجيات.

فتفوقهم من ناحية، وتقصيرنا في عرض ما لدينا من ناحية أخرى يجعل تأثيرنا هناك قليلاً.

ولكننا مع ذلك يمكن أن نشير إلى بعض الكتابات التى ظهرت لدى بعض المفكرين الذين أرادوا أن يدرسوا الإسلام بطريقة مجردة بعيدة عن المقولات العامة التى كانت تظهر فى نطاق الاستشراق .

وعلى سبيل المثال جوته الألمانى فى كتابه عن الديوان الشرقى، أو بعض ما كتبه تولوستوى عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو بعض ما كتبه برنارد شو عن الإسلام، بعض هذه الأشياء التى تتحدث عن قيمة الإسلام كدين، ومكانة الإسلام بوصفه مؤسس حضارة، وشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وما كان لها من تأثير عجيب جدًّا فى تاريخ العالم، وتميزه بهذه عن أدوار السابقين عليه، فقد أسس دولة وحضارة، ووضع الأسس لقيام هذه الحضارة واستمرارها.. هذه شذرات تظهر فى الفكر العالمى شرقًا وغربًا، لكنها ليست محسوسة بحيث تكون رؤية عامة وشاملة تقابل رؤيتهم السابقة عن العالم الإسلامى، فهى تمثل مجرد ثقوب فى جدار ضخم بنى عبر القرون وعبر المصادمات والمواجهات.

فيمكن الإشارة إليها بهذه الصفة: أنها تأثيرات قليلة ومحدودة، وتخضع فى الغالب لنظرات شخصية من المفكرين الذين انتهوا إليها، لكنها لا تمثل موقفا عاما لحضارة من حضاراتنا أو لنظم من نظمنا...

ولعل الجانب السلبى يحيط بنظرتهم للإسلام نتيجة -كما نقول- لممارسات كثيرة ومصادمات.. الخ، فهى التى تشكل الرأى الأساسى فى مثل هذا الأمر.

أما عن أهم مجالات الحوار التى دخلت فيها الأفكار الإسلامية مع الفكر الآخر؛ فيمكن أن نقول: إن أكثر المجالات التى يتم فيها الحوار تأخذ أحيانا جانبًا حضاريًّا فى بعض المؤتمرات المشتركة التى يتم تنظيمها فى فرنسا أو فى أسبانيا أو فى غيرهما، وتحاول أن

تجد أرضية مشتركة لثقافة إنسانية تسعى إلى أن يتمتع العالم بالسلام .

وربما يمكن أن نشير فى هذا الصدد إلى ما يقدمه جارودى فى أسبانيا، إنه يقدم نقاط الاتفاق فى الحضارة القديمة، وما يمكن أن تؤسس عليه هذه النقاط من اتفاق حول المستقبل .

ونحن نسمع أيضا عن مجالات الحوار الدينى التى تجرى أحيانًا، وإن كان تقويم ما يتم فى هذا الحوار يرجع إلى المشاركين فيه والنتائج التى يتوصل إليها، والملابسات التى تحيط بها.

ولاشك أنها تكون موضع اختلاف فى تقديرها وتقويمها، وهل هى لمصلحة العالم الإسلامى أم لمصلحة الآخرين، وهل الأهداف المرجوة منها تتعلق بتأسيس سلام مشترك فعلا، أو أنها ذات أهداف سياسية.. وهكذا..

فالحوار يتم فى مجالات حضارية -أحيانًا- وفى مجالات دينية، وفى مجالات ثقافية يمكن أن يتم فيها ما يؤدى إلى ثقافة تعتمد على هذه الأرضية المشتركة للمشروع.

وربما يمكن الإشارة هنا إلى ما يقوم به اليونسكو -على سبيل المثال- فى هذا المجال فى مناطق كثيرة من العالم فى الحديث عن مقاومة الحروب، وما يمكن أن تؤدى إليه من آلام للبشرية، وإيجاد تفاهم بين الشعوب؛ لأنهم أبناء كوكب واحد، وأبناء جنس واحد، ومن ثم ينبغى أن يعمدوا إلى المشاركة...

وهى مفاهيم إنسانية طيبة، ولكن تحقيقها لا يتم على المستوى المطلوب الذى ينبغى أن ترتفع إليه الإسهامات الإنسانية هنا وهناك على هذا الجانب، أو على ذاك الجانب البعيد ، وهكذا.

السؤال التاسع: يلاحظ تشابهًا شديدًا فى المشكلات والأطروحات المعروضة على الفكر الإسلامى فى بداية القرن مع تلك المعروضة فى نهايته، ما مدى صدق هذه الملاحظة وما أسبابها؟

الدكتور مدكور: الإجابة عن هذا السؤال تأتى من زاويتين: زاوية وجود تشابه، زاوية عدم وجود تشابه.

فالمسألة معقدة إلى درجة لا يمكن أن تدلى فيها برأى واحد؛ وإنما ينبغى أن نحيط بها من جوانبها المختلفة لنحاول أن نقدم رؤية موضوعية لهذه الجوانب، بحيث تكون الإجابة أكثر توافقا مع الظروف الموضوعية للسؤال الذى

نتحدث عنه.

فمن المبالغة أن نقول: إن هناك تشابهًا فى المشكلات والأطروحات المعروضة على الفكر الإسلامى، وأن المشكلات هى نفس المشكلات، وأن الأسئلة المثارة هى نفس الأسئلة المثارة، فهناك مشكلات أصبحت الآن من التاريخ الكلاسيكى - إذا صح هذا التعبير - وأيضا بعض الأفكار.

كما أن بعض المسائل التى تثار فى أول القرن تختلف اختلافًا كبيرًا عن المسائل التى تثار فى آخره.

ولنا أن نتذكر -على سبيل المثال- أن المسلم فى جنوب أفريقيا كان يرسل رسالة إلى الشيخ محمد عبده ليسأله عن لبس القبعة !

كانت هذه آنئذ تمثل مشكلة ضخمة جدًا فى رأى العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين.. هذه المسائل أصبحت الآن تقليدية، وأصبحت تثير البسمة إذا نظر إليها الناس وتحدثوا عنها، فهى تدرس على أنها تراث أو تاريخ.

بعض المشكلات الأولى التى كانت تواجه المهاجرين الإسلاميين إلى الغرب أصبحت الآن تقليدية لا تثار؛ لأن هناك حلولاً قد وضعت لها.

إذا نظرنا إلى المشكلات الحديثة التى لم تكن موجودة فى أول القرن كالمشكلات الاجتهادية التى أشرنا إلى بعضها: زرع الأعضاء، ونقل الدم، والحمل خارج الرحم، والصور الحديثة للاقتصاد العالمى من البنوك والشركات العابرة للقارات...

هذه أشياء لم تكن موجودة أصلاً فى أول القرن، فانشغال الفكر الإسلامى بها يجعله مواكبًا لحركة القرن، ولذلك لا نستطيع أن نقول إن هناك تشابهًا شديدًا -كما يقال - فى مثل هذه المشكلات.

وكلما أجلنا النظر فى جوانب الفكر الإسلامى سوف نجد أمثلة تؤكد أن هناك فروقًا بين ما يطرح الآن، ويبين ما كان يطرح فى الزمن القديم منذ مائة سنة، ومن الظلم للمفكرين الإسلاميين أن يقال إنهم يرددون نفس المقولات، ويواصلون تقديم نفس الحلول لمشكلات سبق لمن عاصروها أن وصلوا فيها إلى حلول أو إلى اجتهادات.

فمن جهة لا نستطيع أن نقول: إن هناك تشابهًا شديدًا فى كثير من المشكلات التى ظهرت فى الفكر الإسلامى فى بداية القرن مع تلك

المعروضة فى نهايته...

هذا من جهة، ومن جهة ثانية نجد بالفعل كثيرًا من التشابه فى بعض المشكلات التى لا يزال يناقشها المسلمون أو ناقشوها من قبل، ويناقشونها الآن، وربما اضطروا إلى مناقشتها فى القرن القادم أيضًا، ولذلك أسباب، فلنأتى بنماذج، ونقدم بعض التفسير.

من ذلك ما يتعلق بالنظم السياسية؛ لعل هذه المشكلة التى تواجه المفكرين الإسلاميين أنهم بحثوا فى ضوء ما كان لديهم من تراث فكرى إسلامى حول الشورى، أو حول الإمامة، ودرسوا مثل هذه المسائل عندما بدأت الأفكار العلمانية تطرح عليها. والأفكار العلمانية لا تتوقف، ويأتى المنتسبون إليها بأفكار جديدة تحتاج إلى معالجة، أو إلى مناقشة، أو إلى حلول، أو إلى رفض؛ فيضطر القائمون على الفكر الإسلامى إلى التصدى لهذه الأفكار، وإلى تقديم حلول إسلامية لهذه المشكلات المثارة حتى لا يتركوا مجالاً لمثل هذه الأفكار أن تشوه فكر المسلمين.

ومن بين أسباب التشابه أن كثيرًا من الحركات الإسلامية لم تتمكن من تطبيق أفكارها، وإنما ظلت - مع سعيها إلى تطبيقها - خارج التطبيق ، ومن ثم فإنها تحتاج إلى تأكيدها وتثبيتها فى الأذهان حتى يمكن أن تأتى فرصة مناسبة لهذا التطبيق؛ ومن ثم ففى مجال بعض الأفكار السياسية يوجد شيء من التشابه.

موقف المسلمين من العلم -مثلاً- مشكلة ناقشها الشيخ محمد عبده وناقشها غيره، واعتبروا أن من أساس تخلّف المسلمين تخلّفهم فى المجال العلمى، ولا زال العالم الإسلامى على وضعه من هذه المسألة، من حيث إنه لم يأخذ بالمنهج العلمى الصحيح الذى يسعى إلى التقدم بما يقوم عليه من دراسات علمية للمشكلات، وتحديد أسبابها، ووضع الخطط لمقاومتها، ومراعاة وجهات النظر، وتأكيد الحرية فى دراسة مثل هذه المشكلات.

من ثم يكون وضع العالم الإسلامى -المتردى أصلا فيما يتعلق بالتكنولوجيا والتطورات العلمية الحديثة - مؤديًا إلى إعادة التفكير فى مثل هذه المفاهيم وموقف الإسلام منها، حتى يكون موقف الإسلام منها عاملاً من عوامل

النهضـة، فالأخذ بأسـباب العلم ليس مظهريًا، وليس بمجرد اسـتيراد آلات الحضـارة؛ وإنما تقوم الحضارة على صنع وابتكار آلة الحضـارة، والعالم الإسلامى متخلف فى هذه الناحية حتى الآن.

ويمكـن أن تنظـر من قضيـة العـالم الإسـلامى بداية مـن أندونيسيا وانتهاء بـالجزائر، فسـوف تجد تخلفًا هـائلاً فى هـذه الجوانـب، فكـم مـن الـدول الإسلامية ينتج طائرات حربية، كم ينتج دبابـات وأجهـزة كمبيوتـر، كـم يضع نظمًـا لأجهـزة الكمبيوتـر التى تبـذل المحاولات لإنطاقه باللغة العربية.

وكمـا يقـول بعـض المفكريـن الإسـلاميين: إن العـالم الغربى بمفهوم الحضـارة يخترع الكمبيوتر، ونختلف نحن فـى تسـميته! حتـى الآن لم نتفـق على تسمية الكمبيوتر وهكذا...

فـإذا وجـدت بعض الأفكـار التى نوقشـت فيما مضـى، وتناقش الآن مرة أخـرى؛ فذلـك لأن دوافعهـا لا تـزال موجودة.

وربمـا يكون فيما ذكرتـه إشـارة إلى مثـل هذه المشـكلات؛ لكن بصفـة عامة نظلم المفكريـن الإسـلاميين إذا قلنـا إن الأفكـار هـى نفس الأفكـار، وإن المشـكلات هى نفس المشـكلات، وإن الأطروحـات والإجابـات هـى نفـس الأطروحات والإجابات؛ لأن كثيرًا منها أصبح تقليديًّا وكلاسيكيًّا كما يقال.

أمـا المسـائل المتشـابهة والمتكررة فإن الظروف تدعو إلى التذكير بها وبما فيها من الأخطـاء، أو القصور حتـى يتدارك المسلمون هذا الأمر.

السؤال العاشر: ما أهم التحديات التى تواجه الفكر الإسلامى فى مطلع القرن الحادى والعشرين؟

الدكتور مدكور: هذا سؤال يتجـه نحـو المسـتقبل؛ وإذا كـانت الأسـئلة السـابقة تهتم بدراسـة الواقـع والماضى، فـإن هذا السـؤال يتجـه نحـو المستقبل، وبـالطبع فـإن الإجابـة عنـه مهمـة جدًا، وتحتـاج إلى مؤتمرات أو لقـاءات؛ لأنهـا تمثـل تحديـدا لطريـق ينبغـى أن يعـرف المسـلمون جوانبـه المختلفة حتى يتمكنوا من السير فيه.

التحديـات التى تواجـه الفكـر الإسـلامى فى القـرن الحادى والعشـرين ترتبط بالمشـكلات التـى واجههـا العالم الإسلامى التى يمكن الإشارة إلى بعضها الآن.

لدينـا -مثلاً- التخلـف فـى مجـال

العلوم، وفى مجال التكنولوجيا، وهذه من أسباب القوة المادية التى تمكن المجتمعات من الحفاظ على هويتها، ومن الحفاظ على شخصيتها، ومن قدرتها على الاستجابة لمقتضيات تاريخها وعقائدها وشخصيتها. وإذا وجدت لديها فإنها تتمكن من مواصلة هذا السير بأمان وثقة وطمأنينة، وإذا لم توجد فإنها لن تتمكن من تحقيق ذلك.

وهذه مسألة لا يمكن أن يجادل فيها أحد كما قلت منذ قليل فى الإجابة عن السؤال السابق، فلدينا تخلف مادى وتكنولوجى لا يمكن المجادلة فيه؛ فهذه مشكلة من المشكلات، ولا بد أن توضع خطط عملية فعلاً للخروج من هذه الحالة التى يوجد فيها العالم الإسلامى، حتى إن أكثر الدول أمية فى العالم توجد فى العالم الإسلامى، الذى بدأ كتابه بالدعوة إلى القراءة، وإلى العلم، وتكريم العلماء، فلدينا تخلف فى هذا المجال لا يمكن تجاهله، ومن ثم فإننا نحتاج إلى وضع الأسس للقضاء على هذا التخلف، والتقليل من أخطاره على المستقبل، هذا يمثل مشكلة من المشكلات الأساسية.

لدينا مشكلة أخرى تتعلق بالتنمية فى العالم الإسلامى، التنمية بالمفهوم الشامل: التنمية للاقتصاد، التنمية للفكر، التنمية للشخصية، وإيجاد روح الابتكار عند الناس، وإيجاد طرق التعبير الحرة، ودراسة المشكلات، ووضع الحلول لها...

وقد يكون الكلام سهلاً، ولكن التنفيذ صعب، يحتاج إلى تضافر العقول، والعالم الإسلامى ليس فقيرًا من العقول، ولكنه يحتاج إلى تجميع هذه العقول أو الاستفادة من كل ما وهبه الله تعالى من الفكر والطبيعة المستقبلية ووضع ذلك فى خطط، وتحويل هذه الخطط إلى برامج، وتحويل البرامج إلى أعمال، ومن ثم تؤتى ثمارها على المدى البعيد.

لدينا مشكلة الشورى والديموقراطية؛ لأننا حتى الآن لا يزال لدينا اختلافات حول المفاهيم؛ فلا بد أن يتم هذا أيضا، ولا بد أن يكون للشعوب الإسلامية -بصفة عامة فى كل جوانب العالم الإسلامى- طرق أو وسائل للتعبير الحر عن إرادتها، وتحديد مشكلاتها وتحديد وسائل الخروج منها، وهذا يعطى الإيجابية بدلا من السلبية، ويعطى الفاعلية بدلاً من السكون والخمود، والبعد عن مباشرة العمل العام، فهى

مظاهر موجودة فى كثير من بقاع العالم الإسلامى.

وكلما درسنا هذه المفاهيم وحولناها إلى تقاليد، ورفعنا عنها عوامل القهر والكبت، فإن ذلك يؤدى إلى النهضة فى العالم الإسلامى.

لدينا مشكلة عدم مقدرة العالم الإسلامي على أن يكون له رؤية واحدة أو متقاربة فى المشكلات التى تهم العالم الآن.

العالم الإسلامى مهدد بالإغراق أمام غزو العولمة، وأمام الهيمنة الكبرى للقوى الاقتصادية فى العالم من شركات ودول إلى آخره، ومع ذلك تجد أن العالم الإسلامى يفتقد إلى الروابط المتينة التى تربطه، وتوجهنا الدائم نحو الآخر، أما توجهنا نحو أنفسنا فهو ضعيف جدًا، ولنا أن نتذكر أن التجارة بين شعوب العالم الإسلامى لا تزيد عن ٨٪، حتى الغذاء لا يستطيع العالم الإسلامى إن ينتجه؛ نتيجة لافتقاده روح التكامل؛ لأن روح التكامل إذا وجدت فى العالم الإسلامى فمن شأنها أن تقضى على كثير من المشكلات الموجودة فيه.

والفكر مرتبط بالواقع؛ فإذا كان الواقع مليئا بهذه المشكلات، فإنه بالتالى يؤدى إل ضعف حركة الفكر، بل يؤدى إلى شلل هذا الفكر، وإلى سيادة نظم تمنع الفكر من التعبير، وكيف يتمكن فكر إسلامى أو غير إسلامى من أن يتقدم برؤيته التى تتوافق أو لا تتوافق مع النظم السائدة والأفكار السائدة فى المجتمعات الإسلامية، وصورة الواقع كهذه التى نعيشها.

ينبغى أن نعلم أن هذه التحديات- كما أقول - مرتبطة بمشكلات؛ فإذا كان لدينا تخلف وفقر فى التنمية، وفقر فى العلم والتكنولوجيا، وحاجة شديدة إلى سيادة المفاهيم الشورية والديمقراطية، ولدينا عدم القدرة على ضبط موقع العالم الإسلامى من العالم، ومن مشكلاته هو، ومن علاقاته الداخلية بعضها وبعض، بحيث يمكن أن ترى هذه الأعداد المتفرقة تتحول إلى قوة كبرى.

لنا أن نعلم أن العالم الإسلامى مليء بالمشكلات التى ليس له القدرة على حلها، لدينا مشكلة الصومال، مشكلات المسلمين فى كوسوفا، مشكلات المسلمين فى البوسنة والهرسك، مشكلات المسلمين فى

الفلبين.

وللأسف ينتظر العالم الإسلامى حتى تقوم القوى الدولية بحل هذه المشكلات وعندما تحلها فإنها تراعى ما يخدم مصالحها هى، وهذا طبيعى.

وبالطبع فإن العامل الخارجى مهم فى تقسيم العالم الإسلامى إلى نظم مختلفة لأسباب عديدة من فقراء وأغنياء، وبدو وحضر، وشرق وغرب، وسنة وشيعة، ونحو ذلك من التقسيمات التى توجد فى العالم الإسلامى، حتى لا نستطيع أن نحل مشاكلنا.

فالفكر مرتبط بالواقع، الواقع فيه ضعف شديد، وفيه تخلف شديد، ومن ثم فإن التحديات التى يواجهها الفكر الإسلامى تتعلق بهذه المشكلات التى يواجهها العالم الإسلامى، وكلما نجحنا فى حل مشكلة من المشكلات سنجد الفكر الإسلامى يتقدم خطوة مقابل هذا الحل لهذه المشكلة، ويحدد لنفسه طريقًا يتوافق مع الحلول التى تقدم لهذه المشكلات.

ونحن على أية حال لا نفقد الأمل؛ لأن اليأس ليس من طبيعة الروح الإسلامية؛ ولأن العالم الإسلامى واجه مشكلات ضخمة جدًا على امتداد تاريخه، ونحن نعلم كيف اجتاح المغول العالم الإسلامى وأسقطوا الخلافة العباسية.

نعلم كيف أقبلت أوروبا فى الحروب الصليبية التى استمرت قرنين من الزمان.. نعلم كيف انتشرت الحركة الاستعمارية فى نهاية القرن الثامن عشر، واستمرت إلى القرن العشرين، ومع ذلك تمكن العالم الإسلامى من التماسك ومن أن يضع قدمه على بداية الطريق، ويمكن أن تستمر النهضة، وأن يتقدم كلما ارتبط بدينه ارتباطا وثيقًا قائمًا على الفهم والوعى والاجتهاد والعقل، والإفادة من الخبرة البشرية التى تتوافر الآن، لينهض بناء على أصوله ومنطلقاته.

وهذه كلها جوانب يعنى الفكر الإسلامى بتأكيدها فى عصوره، وسيكون أكثر حاجة لتأكيدها فى القرن الحادى والعشرين حتى تتمكن الأمة الإسلامية من الحفاظ على وجودها، ومن استئناف المسيرة الحضارية التى نرجو لها التقدم والازدهار.

حركة الفكر الإسلامى المعاصر خلال القرن العشرين

أ. د. محمد كمال الدين إمام(*)

السؤال الأول: متى بدأت المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى المعاصر، وما العوامل التى أدت إليها؟

الدكتور كمال إمام: بطبيعة الحال لا يمكن أن نفصل المرحلة الحالية عن جذورها ، وإنما نستطيع أن نقول : إن القرن الحالى يمثل وحدة متكاملة فى كثير من قضاياه ومشكلاته.

على إثر انتهاء القرن التاسع عشر الذى ركز العالم الغربى فيه على أن يصبح العالم العربى والعالم الإسلامى كله جزيرة استعمارية إذا جاز هذا التعبير ، بدأت تداعيات المشكلات الكثيرة التى كانت موجودة فى القرن التاسع عشر.

أهم هذه المشكلات هى محاولة الاستعمار أن يلحق العالم الإسلامى به فى جانبين رئيسيين :

الجانب الأول هو : الجانب الفكرى عموما .

والجانب الثانى هو : الجانب التشريعى بوجه خاص ، فى محاولة من

(*) - ولد فى مصر : ٢٠/ ٤ / ١٩٤٧م

- حصل على الدكتوراه فى القانون المقارن سنة ١٩٨١ - جامعة الإسكندرية
- أستاذ الشريعة الإسلامية والفقه المقارن بكلية الحقوق - جامعة الإسكندرية
- له العديد من المؤلفات الفكرية والقانونية ، منها : النظرة الإسلامية للإعلام ، أصول الفقه الإسلامى ، مقدمة لدراسة الفقه الإسلامى ، نظرية الفقه فى الإسلام ، الإسلام والدولة دراسة فى النظم السياسية ، تنظيم القوى دراسة فى العلاقات الدولية ، منهجية التقنين ، الصياغة التشريعية .

الغرب لأن ينقل أغلب القوانين الغربية سواء القوانين الإنجليزية إلى منطقة شبه القارة الهندية أو القوانين الفرنسية إلى منطقة العالم العربى .

وقد أدى ذلك إلى صراعات مختلفة وبعض هذه الصراعات مصدره سياسى؛ لأن الدولة العثمانية كانت تدافع عن ذاتها على الرغم من أنها كانت فى حالة انحصار .

والمجتمعات العربية بدأت تتجه إلى محاولة التخلص من أمرين : الأول من الدولة العثمانية ، والذى سمى بالاتجاهات القومية ، أو التطورات القومية .

والأمر الثانى محاولة الخروج من مأزق الاستعمار فى ما سمى باتجاهات التحرر من الاستعمار.

كل هذه الخلفية التى بعضها سياسى، وبعضها تشريعى أثرت فى حركة النهضة المعاصرة ، التى إذا بدأنا بها فى النصف الثانى من القرن العشرين سنجد المشكلات ذاتها ، ولكنها منقولة بشكل أكثر ترتيبا وتنظيمًا .

هذه المشكلات تتمثل فى أمرين :

١- محاولة التحرر من الاستعمار العسكرى ، وما يترتب عليه من تحرر سياسى ، واقتصادى .

٢- محاولة التحرر من البنية التشريعية الغربية .

وللأسف الشديد فإن التحرر السياسى والاقتصادى كان مرتبطًا إلى حدّ كبير بمدى نجاح هذه التجارب الثورية فى الخروج من التبعية التشريعية.. وهو الأمر الذى لم يحدث على الإطلاق؛ فظلت المشكلة الرئيسية هو أن الاحتلال العسكرى ينحسر ، ولكن الاحتلال الثقافى والسياسى لا يزال.

الاحتلال الثقافى يتمثل فى ما نشاهده من التركيبة التشريعية ، والتركيبة التربوية والتعليمية، فهى فى العالم العربى مستجلبة أو مستوردة .

الاحتلال يتمثل فى أن التحرر السياسى منقوص فى ظل التبعية الاقتصادية ، التى لا تحرر القرار السياسى فى العالم العربى والإسلامى لدى صناع القرار .

ولا نريد أن ندخل فى تفاصيل كثيرة فى هذه الخريطة المؤلمة ؛ لأن التفاصيل فيها إذا ما نزلنا من إطار الكليات إلى الجزيئات الكثيرة ، فسنجد بعضها يعود إلى الشعوب ، وبعضها يعود إلى

الحكـام، وبعضهـا يعـود إلى القـوى الدولية، ولا يبرأ أحد من أنه يحمل على كاهله إصرًا ووزرًا مما يحدث فى العالم العربى الإسلامى.

ولكن ليست المشكلة هى مشكلة التشخيص وحده، وإنما هى مشكلة تصور إمكانية إيجاد فرز لهذه المشكلات لوضع أولويات .

وبداية المرحلة الحالية نستطيع أن نقول : إنها تبدأ فى الإطار العام مع نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات حيث استطاعت بعض الدول الإسلامية أن تحصل على استقلالها، فالمرحلة الحالية تبدأ مع الاستقلال للدول الإسلامية التى كانت تحت الاستعمار.

السؤال الثانى: ما أهم تيارات الفكر الإسلامى المعاصر خلال القرن العشرين، وما أهم عناصر كل تيار من تلك التيارات؟

الدكتور كمال إمام : هذا السؤال واسع ؛ لأن المساحة التى يتمدد عليها العالم الإسلامى كبيرة ، وهناك نوع من الخصوصية فى كل مجتمع ، هذه الخصوصية لابد أن تكون بارزة .

ولكن نستطيع أن نقول : إنه فى النصف الثانى من القرن العشرين كانت هناك ثلاثة تيارات فاعلة وحقيقية فى العالم الإسلامى:

التيار الأول : تيار يمتد بجذوره إلى حركة الإخوان المسلمين ، وهى حركة شئنا أم أبينا ، قبلناها أو رفضناها ، فهى حركة لا تزال تمثل أكثر الحركات قدرة على تحريك الواقع الاجتماعى الجماهيرى فى العالم العربى والإسلامى.

وعلى المستوى الفكرى لم تكن مجرد حركة خاصة بالتحولات الاجتماعية فى داخل المجتمع ، وإنما كان لها برنامج فكرى ، وبرنامج تربوى ، وتصور سياسى تمثل فيه إنتاج فكرى ، وقدمت الحركة كثيرا من الأعلام فى عملية التنظير ، وعلى رأسهم مؤسس الحركة حسن البنا ، والذى له نظرية سياسية ، وله نظرية فكرية ، وله نظرية تربوية .

وتجسدت هذه النظريات بعد ذلك فى أفكار مختلفة فى الجانب التشريعى عند عبد القادر عودة وغيره ، وفى الجانب الحركى عند سيد قطب ونظائره، وفى الجانب السياسى عند محمد الغزالى ، وعند حسن الباقورى وعند العشماوى وغيرهم ممن حاولوا أن يمدوا حوارًا مع الثورة .

فحركة الإخوان المسلمين هى

منظومة متكاملة فى اتجاهاتها المختلفة .

التيار الثانى : التيار الإصلاحى الذى نبع من محمد عبده ، والذى أثر بشكل ما فى حركة الإخوان المسلمين ، لكنها انفصلت عنه انفصالاً تامًا ؛ لأن حركة محمد عبده كانت حركة فكرية إصلاحية فى مجالات متعددة كالمجال التعليمى والمجال العقائدى والمجال التشريعى، فى محاولة للأستاذ محمد عبده أن يجمع العلماء على تشريع واحد ، وهذا التشريع يكون مأخوذًا من كافة المذاهب الإسلامية المختلفة .

وهى المحاولة التى وجدت أصداءً لها فى مصر وفى بعض أنحاء العالم العربى ، ممثلة فى رشيد رضا ودعوته إلى إيجاد هذه القوانين المستمدة من المذاهب الإسلامية المتنوعة .

ثم حمل هذه الراية على نحو حقيقى الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الذى استطاع أن يشكل لجنة تصدر عددًا من القوانين الإسلامية فى هذا القرن.

التيار الثالث : نستطيع أن نقول إنه التيار المتأثر بالحركة الوهابية ، وهذا التيار تمدد فى العالم الإسلامى تمددا كبيرا ، فله مكانة فى شبه القارة الهندية، وله مكانة فى دول الخليج العربى ، وله مكانة فى الشمال الإفريقى ، وأفريقيا الغربية .

وهذا تيار فاعل ، ومهم ، ومؤثر ، وخاصة أنه فى النصف الثانى من القرن العشرين بدأت المملكة العربية السعودية تظهر كدولة بترولية غنية ، واستطاعت أن تحرك هذا التيار لأن يكون فاعلا فى مناطق كثيرة .

وهذا التيار له تصوره الفكرى ، وله تصوره السياسى ، وله أيضا نتائجه فيما يتعلق بالتشريع .

هذه هى التيارات الثلاثة فيما أتصورها.

هناك تيارات فرعية ، لكن هذه التيارات الفرعية يمكن أن تصب فى هذه التيارات الفكرية الثلاثة.

السؤال الثالث: ما هى القضايا الأساسية التى طرحتها هذه التيارات الفكرية المعاصرة؟

الدكتور كمال إمام: التيارات الفكرية المعاصرة فى حقيقة الأمر طرحت ثلاثة قضايا كبرى :

١- قضايا التحول الاجتماعى ، وكان أبرز هذه القضايا : قضية تحرير المرأة.

٢- قضايا التحول التشريعى ، وأهم قضية فيها : ما سمى بتطبيق الشريعة الإسلامية.

٣-قضايا التحول السياسى ، وأهمها قضية إقامة دولة إسلامية، أو الإسلام دين ودولة.

وكل ما عدا ذلك يعمل تحت هذه القضايا الثلاث الكبرى .

أما قضية تحرير المرأة ما بين قبول ورفض ، فتجد قاسم أمين ومؤلفاته ، ورشيد رضا ، وفريد وجدى ومؤلفاته ، وهذا ليس تيارًا فى مصر وحدها ، وإنما تيار فى العالم العربى ككل ، والعالم الإسلامى ، فنجدها عند طارق الحداد فى تونس، ونجدها مثارة فى الهند، وحتى أقاليم الدولة العثمانية كبلاد البلقان فكتب أداييف فى قضية حقوق المرأة فى الإسلام، وفى تركيا نفسها اهتمت ابنة جودت باشا بالموضوع وكتبت فيه .

فهذه القضية كانت قضية اجتماعية على مستوى العالم الإسلامى كله.

وكذلك قضية تطبيق الشريعة الإسلامية ، هل نأخذ بالقوانين الغربية أو نأخذ بالقوانين الشرعية.

وبدأ ما يسمى بحركة أسلمة القوانين، فالسلطة السياسية تبنت قوانين مأخوذة من الغرب ، وبدأت توجهات لتخريج هذه القوانين على النصوص الشرعية وأسلمتها .

وهذه محاولة بدأها قدرى باشا، ومخلوف المنياوى فى مصر ، وبدأها محمد التونسى فى منطقة المغرب العربى، وخاصة فى مراكش ، وبدأها أيضا الشطى فى الشام .

فلم تكن أيضا عملية خاصة بجزء من العالم العربى، كمصر مثلا التى كانت منفصلة عن الدولة العثمانية فى إطارها التشريعى .

ثم تأتى قضية الخلافة ، وهى أيضا قضية كبيرة جدًا ، وطبعًا أصداء سقوط الخلافة وتداعيتها فى سنة ١٩٢٤م تركت آثارها على المشكلة السياسية ، فمبدأ الإسلام دين ودولة ظهر من يرفضه من جانب تيارات كثيرة فى تركيا وغيرها ، بل ويصبح رفض هذا المبدأ برنامجا سياسيا يتقدم به الانتخابيون، ويتقدم به السياسيون فى دول كثيرة .

وأعتقد أن محور الصراع ما بين القوى السياسية المختلفة التى تسعى إلى الحكم هى أنها لديها خشية وحذر

شـديدين من التيار الذى يرفع شعار الدولة الإسلامية.

السؤال الرابع: ما مفهوم الحركة لديكم؟

الدكتور كمال إمام : إذا أردنا أن نأخذ مفهوما للحركة بالمعنى الخاص لها فالحركة هى : مجموعة بشرية فكرية تسعى إلى تغير وضع ما ، سواء أكان هذا التغيير سياسيا ، أو اجتماعيا ، أو فكريا .

فلا يعد فى مفهوم الحركة تلك التى تريد أن تثبت وضعا قائما، وإنما لا بد أن تتجه بمشروعها إلى عملية تغيير، هذا التغيير ربما يوجهنا إلى الماضى أو يوجهنا إلى المستقبل .

ويجب أن يكون هناك اتفاق بين الأفراد ، فلا بد من الوحدة فى الأفكار الرئيسية ، ولا بأس من التنوع بعد ذلك.

لكن الحركة فى الواقع لا تقبل هذا التنوع ؛ لذلك فحركة الإخوان المسلمين - مثلا- بمجرد أن يحدث التنوع يحدث الخروج ، والانشقاق إلى حركات أخرى . نعم تجد فى داخل الحركة تيارًا سياسيًّا ، وآخر يميل إلى التصالح ، وثالثا يميل إلى التشدد ، وهذه طبيعة كل حركة لا بد أن يوجد فيها ، لأنه إذا كانت الحركة منغلقة على ذاتها تماما فلا بد أن يحدث عليها خروج ، وهذا ما حدث حتى فى الجماعات الدينية المسيحية.

فمثلاً الحركة البروتستانتية تعتبر انشقاقًا كاملاً عن الكنيسة الكاثوليكية .

السؤال الخامس: هل للحركات الإسلامية المعاصرة جذور فكرية انطلقت منها، أم نشأت بصورة حركية صرفة؟ وهل حينئذ ولدت الحركة فكرًا؟

الدكتور كمال إمام : طبعًا هذا السؤال كبير والإجابة عليه بهذه الطريقة المرسلة إجابة غير محكمة، إن لم تكن إجابة مغلوطة فى حقيقة الأمر .

لكن الذى أتصوره أن هذه الحركات الإسلامية بتياراتها المختلفة لم تنطلق من فراغ. وإنما كان هناك واقعا اجتماعيا يستدعيها. وهذا الواقع الاجتماعى الذى يستدعيها له أصول مؤثرة .

فالحركات الإسلامية المعاصرة لا تستطيع أن تنفك من تأثير محمد عبده ، وجمال الدين الأفغانى، ومن تأثير الحركة الوهابية ، ومن تأثير الاحتكاك بين الشرق والغرب ، والذى فرض بعض

القضايا ، وجمد بعض الحركات ، وأطلق بعض الحركات من عقالها.

هذه الجذور بعضها متمثل فى طبيعة الأرض ، وأنها أرض متحركة ، ولم تكن أرضا ساكنة ، وبعضها متعلق بطبيعة الجو والأفق السياسى ، والمحيط الذى لابد أن يتطلب إما محاولة للحاق بما هو حادث ، أو بمحاولة التكرس حتى لا يتم الذوبان حفاظًا على الهوية .

ربما تمتد جذور حركات التجديد التى وجدت فى العالم العربى والإسلامى إلى ما قام به ابن تيمية ، وما قام به العز بن عبد السلام ، وفكرته فى درء المفاسد وجلب المصالح، وقضية السياسة الشرعية عند ابن تيمية ، وعند ابن القيم ، والعودة إلى فكرة المصلحة فى فكر المتقدمين .

كل هذا محاولة لإيجاد أصول نظرية للحركة الفكرية التى تحاول أن تواكب الواقع ، وتجد لها جذورا فى النظام الشرعى الإسلامى ، فهى لا تريد أن تنطلق من فراغ ، بل لا يمكنها أن تنطلق من فراغ .

لكن هناك بعد ذلك حركات نشأت باعتبارها ردود أفعال ، فهناك حركات حينما نشأت كان لها جذور فكرية .

لكن هناك حركات أخرى لم تنشأ عن جذور فكرية ، وإنما نشأت باعتبارها ردود أفعال سواء لما يحدث على المستوى الإسلامى ، أو على المستوى العالمى، وأحيانا لا يكون لها جذور ممتدة، كحركات يقودها حرفيون فهذه لا يمكن أن يكون لها فكر، فبعض الحركات الإسلامية التى سميناها تنظيمات يقودها شخص قليل الخبرة ، قليل الثقافة ، قليل المعرفة بالمصادر ، ولا أستطيع أن أقول إن هذه الحركة لها مصادر فكرية ؛ فقائدها ليس له فكر أصلا ، ولا ثقافة. فمثل هذه التنظيمات أقرب إلى صورة النقابات التى كانت توجد قديما ، والتى كانت تجتمع حول النقيب، وهى تمثل نوعا من التجمع لحل بعض المشكلات اليومية .

فهذه التنظيمات نشأت كردود أفعال لواقع اقتصادى واجتماعى، ولا يمكن أن نقول إنها حركات لها مصادر فكرية ؛ ولذلك أين هى أدبيات هذه الحركات.

فهذه الحركات لم تولد فكر بعد ذلك ، لأنها بطبيعتها لا تستطيع ذلك ، والذين يدرسونها لن يستطيعوا أن يجدوا تنظيرًا حقيقيًّا لما قدمته من أفكار ، وما

أثارته من أطروحات .

ومع هذا نحن نضعها على الخريطة ؛ لأنها تكشف إلى حد ما أن المشروع كان فاشلاً في بعض جوانبه سواء المشروع السياسي الذى قدمه الاستقلاليون القوميون ، أو المشروع الإسلامى الذى قدمته الحركات الإسلامية ؛ لأنها لم تستطع أن تستوعب هذه الجيوب الجزئية ، وتركتها تتفتت إلى شظايا لا تحمل فكرًا، وقد يكون تأثيرها مدمر على المجتمع ككل ، أو على الحركات الأخرى التى قد يظن أن بينها وبينها رباط فى بعض الأحيان .

السؤال السادس: إلى أى مدى تفاعل الفكر والفقه الإسلامى بالحالة الراهنة للعالم ، وما يكتنفها من تغيّرات؟

الدكتور كمال إمام : أرى أن الفكر الإسلامى له دور حقيقى فى المساهمة فى تغير الوضع العالمى ، ويمكن تقسيم ذلك إلى مراحل:

المرحلة الأولى : بدأت فى منتصف القرن التاسع عشر حينما حدث احتكاك تشريعى بين الدولة العثمانية وبين الدول الأوروبية المحيطة بها ، نتيجة للعلاقات التجارية بالعالم الأوربى ، ووجود امتيازات كثيرة جدًا لغير المسلمين .

وكان الانتصار فى الدولة العثمانية فى جزء كبير منه - ولا أقول فى الجزء الأكبر - للاتجاه المنادى بأن نستمد القوانين من الشريعة الإسلامية ، فظهرت مجلة الأحكام العدلية ، والتى أحدثت حركة فكرية حقيقية فى مجال النهوض بالفكر الإسلامى من خلال ضرورة العودة إلى كتب الفقه لفهم هذه المجلة ، التى أصبحت هى القانون المدنى الذى يدرس فى كليات الحقوق فى بيروت ، وفى دمشق ، وفى بغداد ، بالإضافة طبعا إلى الأستانة بالدولة العثمانية ، من ثم ظهرت شروح كثيرة تعتمد على الفقه الإسلامى الحنفى خاصة لتقديم المجلة بشكلها الجديد .

ومن المهم الانتباه إلى أثر القواعد الفقهية المذكورة فى أولها ، والتى أدت إلى نهضة الجانب التنظيرى فى مجال الفقه الإسلامى عن طريق شروح المجلة للقواعد الفقهية .

ومن الطريف أنه قد شارك فى حركة الشروح للمجلة العدلية بعض الجامعات الأجنبية، كالجامعة الأمريكية فى بيروت ، حيث كان يدرس فيها مجلة

الأحكام العدلية ، حتى قام بعض الأساتذة غير المسلمين بالجامعة الأمريكية ببيروت بشرحها .

كما كان للمجلة العدلية صدى فى مصر ، يظهر ذلك فى ما نسميه مشروعات القوانين الشرعية التى أعدها قدرى باشا ، كما أثرت المجلة العدلية فى كتابات أحمد إبراهيم ومحمد سلامة وأحمد أبو الفتح ، وغيرهم .

فالمجلة العدلية أدت إلى هذه النهضة الفقهية التى نشأت فى أواخر القرن الـ ١٩ ، وأوائل القرن العشرين ، وكانت فعلا عملية فاعلة ؛ مما يعطى للفقه الإسلامى حضورًا على الساحة التشريعية ، وعلى الساحة الفكرية ، وعلى الساحة التعليمية.

وهذا انعكس أيضا على المغرب العربى فيما أسميناه بمجلة الأحكام التونسية ، ومجلة الالتزامات والعقود التونسية ، التى شكلت لجنة فى سنة ١٨٩٦م لإعدادها ، وصدرت فى سنة ١٩٠٦م ، وطبقت من سنة ١٩٠٧م ، وكان لذلك أثره على المغرب العربى ككل ، بل وعلى كتابات بعض فقهاء القانون الفرنسى .

المرحلة الثانية : هى مرحلة النظر إلى الفقه الإسلامى نظرة تجديدية، محاولة تجديد الفقه الإسلامى فى مجال القوانين، وهى التى افتتحها الإمام محمد عبده وسار فيها شوطًا كبيرًا رشيد رضا والمراغى ، وسار فيها أيضا بشكل آخر الشيخ محمود شلتوت ، وعلماء الأزهر حينما حاولوا التقريب بين المذاهب ، وأدخال الفقه الشيعى إلى الأزهر فى مجال الدراسات المقارنة ، وأنشأت لجنة للتقريب بين المذاهب ، وهناك محاولة الشيخ محمد محمد المدنى لإنشاء ما نسميه جسور متكاملة بين الفقه الإسلامى .

فهذه حركة كبيرة نشأ عنها فكر اجتهادى متطور ، وأفرزت فى مصر محاولة لم يكتب لها النجاح ، وهى تطعيم كلية الشريعة بأمرين :

الأمر الأول : الدراسات المقارنة بين المذاهب ، مع الاعتراف بالمذاهب الشيعية .

الأمر الثانى : دراسة القوانين الوضعية ، كمقررات دراسية ، لأن من خريجى الكلية من يسلك سلك القضاء ، فلابد أن يدرسوا القوانين المطبقة ، مما أوجد جدلية وحوار بين الفقه الإسلامى والقوانين المطبقة فى مصر.

ولو نجحت هذه التجربة لتغير مسار التدريس الفقهي في مصر، لكن لأسباب كثيرة لا داعي لاستعراضها لم يكتب النجاح لهذه التجربة.

المرحلة الثالثة : هي محاولة دخول غير المتخصصين إلى عالم الشريعة الإسلامية لإيجاد ما نسميه باجتهاد فقهي جديد، وسبب ذلك تقصير كثير من الفقهاء، وفشل المرحلة السابقة في إنتاج الفكر المنشود، وإيجاد الكوادر الفقهية المرجوة.

فمع وجود احتكاك كبير ومع وجود متغيرات كبيرة كان للفقه الإسلامي حضوره.

لكن ظهر في بعض الأحيان ما أطلق عليه الاجتهاد المعكوس، الذي يحاول الخروج عن الشريعة، ويصل بالمصلحة إلى حد تغيير الشرع، ويصل بالعقل إلى أن ينسخ القرآن والسنة، نرى شيئًا من ذلك في ما قاله محمود طه في السودان، وما قاله نصر أبو زيد في مصر، وما قاله غيرهما في منطقة المغرب العربي.

فحركة تجديد الفقه في المرحلة الثالثة مرت بأزمة حقيقية، ومع ذلك فهناك العديد من المظاهر الإيجابية، كتكوين المجامع الفقهية كالمجمع التابع لمنظمة العالم الإسلامي، والمجمع الفقهي في مكة، وتجديد حركة مجمع البحوث الإسلامية في مصر، والمجامع الفقهية في الباكستان، وفي المغرب العربي.

وأعتقد أن هذه المجامع الفقهية إذا ما أتيح لها مخطط جيد، وفقهاء متمكنون، تستطيع أن تحدث نوعًا من الاتساق بين الفقه والواقع بحيث نجد حلولا.

كما أن هناك العديد من المحاولات الفردية، كمحاولات الشيخ القرضاوي، والشيخ الغزالي، والدكتور جمال عطية.

وكل هذه المحاولات محمودة، لكنها شظايا، ولا يستطيع الفرد أن يواجه كل هذه المتغيرات بمفرده، كما أن هذا الفرد في بعض الأحيان يجابه من فقهاء آخرين يقفون الموقف المضاد، ويتترسوا ضده.

وأرى للخروج من هذا أن يأتي الاجتهاد الجديد من مؤسسات للاجتهاد الجماعي، تعطى لآرائها إلزامية التطبيق عن طريق سلطة الدولة، فتلتزم بها كافة مؤسسات الدولة.

السؤال السابع: إلى أي مدى تأثر الفكر الإسلامي المعاصر بالتيارات الفكرية العالمية؟

الدكتور كمال إمام : دخول

التيارات الفكرية الأخرى إلى نسيج الفكر الإسلامى جاء بعضها بحكم تحولات لا دخل للفكر الإسلامى بها. وجاء بعضها نتيجة حضور الفكر الإسلامى على الساحة .

وبعض هذه التأثيرات كان بسبب أن عددا كبيرا من الذين كانوا يناصرون التيارات المختلفة كالتيارات الماركسية ، والتيارات القومية ، وغيرها من التيارات الموجودة على الساحة ، اقتنعوا بفشل هذه التيارات ، ودخلوا فى التيار الإسلامى ، مع الاحتفاظ بتركيبتهم الثقافية المختلفة ، مما أحدث لونا من الحركة فى داخل الفكر الإسلامى أو التيارات الإسلامية .

فمثلا عادل حسين نراه ينتقل من المعسكر القومى بشكل عام إلى المعسكر الإسلامى بشكل عام.

فهؤلاء لهم ثقافتهم ، ولهم تجاربهم ، وأنا أعتبر أن هذه التحولات ، وهذه التأثيرات تمثل عنصر إثراء ، وكان تأثيرًا إيجابيًّا ؛ حيث دخلت بعض العناصر المهمة الفاعلة إلى ساحة الفكر الإسلامى، مستصحبة ما لديها من رصيد سابق ، فكشفت الثغرات على الجانبين ، وفتحت مجالات جديدة للتفكير وللنشاط ، وللحوار إلى آخره.

الجانب الآخر من هذا التأثر أفرزه الواقع، وإفرازه سلبي، فالفكر الإسلامى له حضور على الساحة السياسية ، وفى ظل ضعف التعددية السياسية فى بعض بلدان العالم العربى والإسلامي، حيث نجد محاولة الحضور الإسلامى يقابله سيطرة ضاغطة ممن لهم السلطة والحكم، فوجدت بعض التيارات نفسها على هامش الحياة السياسية رغم كثافة وجودها ، أو رغم ما لها من دور وطنى كبير. فحدث هناك نوع من التقارب بين التيار القومى والتيار الإسلامى بعد حدوث حوار بينهما.

وهذا الحوار الذى فرضه الواقع لم يسفر عن نتائج إيجابية ، ولذلك كان حوارًا سلبيًا ؛ لأنه فى بعض الأحيان لم يكن يتجاوز حوار الطرشان ، وفى أحيان أخرى كان حوار مصالح؛ وبالتالى لم يسفر عن نتيجة، ولا عن اقتناع حقيقى لما قدمه القوميون ، وإنما حدث هذا النوع من التقارب - على المستوى التكتيكى - بين هذه الاتجاهات لمصلحة تقوية وجودها على الساحة السياسية والساحة الفكرية .

وأعتقد أنه فى ظل الأفكار الإسلامية

الصحيحة ليس هناك مجال لأنصاف الحلول، وليس هناك مجال للتنازلات سياسية ، فنحن لا نعمل فى مجال سياسى ، وإنما فى مجال فكرى .

أما تحول أفكارنا إلى مجال سياسى يخضعها فى بعض الأحيان للعوامل الانتخابية ، فننضم لأحد الأحزاب تارة، ولغيره تارة ، ... وهكذا ، فهذا لا يجوز فى رأيى .

ولذلك أعتقد أن دخول التيارات الإسلامية إلى الحياة السياسية الموجودة فى عالمنا العربى والإسلامى، عدا بعض الاستثناءات، كان حضورًا سلبيًا . وعندنا تجربة الجزائر ، وباكستان ، والأردن ، وفلسطين .

والحاصل أن التأثير بين الحركات الإسلامية والحركات المحيطة سواء فى الداخل أو فى الخارج كان إيجابيًا فى بعض أحيانه ، كدخول بعض الرموز الكبيرة التى حركت المياه الأسنة فى الحركات الإسلامية ، وأدخلتها إلى آفاق لم تكن معروفة لها ، أو لم تكن تحب أن تسبح فيها. ومن جهة أخرى فإن الحوار الإسلامى القومى كان له تأثيره ، لكننى أعتقد أن التأثير كان سلبيًا، أو على الأقل لم يصل إلى الحد الأدنى المطلوب.

السؤال الثامن: هل بدأت بعض الأفكار الإسلامية تُطرح على الصعيد العالمى؟ وما أهم مجالات الحوار التى دخلت فيها مع الفكر الآخر؟

الدكتور كمال إمام : لا أدعى علمًا بهذا الموضوع، فأنا لست من القارئين باللغات الأجنبية ، ولست من الذين يسافرون كثيرًا إلى العالم الغربى ، حيث تتاح فرصة الاحتكاك بصورة جيدة ، لكن لدى إحساس - وليس لدى معلومات - بأن الإسلام على الساحة العالمية ليس تيارًا فاعلاً إيجابيًا، لكنه تيار مرفوض عالميًا ، وبالتالى فما يدور من حوار فى الساحة العالمية ليس هو استقطاب الإسلام ؛ وإنما استسلام الإسلام ، ونزعه من أهم مقوماته .

ومن جهة أخرى فمن خلال خبرتى بالكتب الغربية المترجمة إلى العربية والتى تحدثت عن الإسلام والشريعة الإسلامية لم أجد كتابًا واحدًا لمؤلف غير مسلم ينظر إلى الإسلام نظرة إيجابية ، رغم كثرة هذه الكتب التى تصل إلى المئات .

مما يعنى أن هذا يمثل موقف حضارة، وموقف مجتمع ، ونسق فكرى على الرغم من تباين التيارات بين ماركسى ،

ومسيحى ، وملحد ، كل هذه التيارات المختلفة الفاعلة تتفق على شيء واحد أنها لا تقبل الإسلام بالشكل الذى يجعله قوة فاعلة.

السؤال التاسع: نلاحظ تشابهًا شديدًا فى المشكلات والأطروحات المعروضة على الفكر الإسلامى فى بداية القرن مع تلك المعروضة فى نهايته، ما مدى صدق هذه الملاحظة وما أسبابها؟

الدكتور كمال إمام : سبق أن ذكرت أن هناك ثلاثة محاور ما زلنا نعمل من خلالها ، فهذه المشكلات هى مشكلات محورية، وربما كانت مدة مائة سنة فى حياة الشعوب ليست بالمدة الكبيرة ، ولكن هذه الشعوب هل هى قادرة على نهضة أم لا؟.

وأرى أن القرن العشرين أسوأ قرن عاشه العالم العربى والإسلامى ، قد يكون هذا القرن بالنسبة لبعض الحضارات ولبعض الشعوب من القرون الممتازة ، قبل ذلك انتصر صلاح الدين على الصليبيين ، وانتصر بيبرس على التتار، وحولهم من مجموعة بشرية مناهضة للإسلام لمجموعة دخلت الإسلام، ففى نهاية المطاف قبل ما ينتهى القرن الذى حدثت فيه المشكلة نراها قد استوعبت تماما ، وحصلت تحولات شديدة جدًا لمصلحة العالم الإسلامي.

وهذا لم يحدث فى القرن العشرين ، من ثم أرى أنه الأسوأ بالنسبة للأمة العربية والإسلامية ، حيث إنها قد دخلت حجر الضب و لم تخرج منه، ونراها تسعى إلى الألفية الثالثة وهى تعلم أنها خسرت كثيرًا فى الألفية الثانية.

السؤال العاشر : ما أهم التحديات التى تواجه الفكر الإسلامى فى مطلع القرن الحادى والعشرين؟

الدكتور كمال إمام: هناك فى تصورى تحديان رئيسيان :

الأول: كيف يتحول الفكر الإسلامى إلى فقه جديد يتعامل مع العصر.

الثانى: كيف يتحول إلى مناهج تعليمية فاعلة فى هذا العصر.

فأنا لا يعنينى أن يتحول فى القرن الواحد وعشرين إلى نظام سياسى ، ولا يعنيني أن يتحول إلى نظام عالمى ، وإنما يعنيني أن يتحول الإسلام فى هذا القرن إلى بنية تشريعية فاعلة ، وإلى بنية تعليمية عاملة ، وإذا استطاع الإسلام أن يعمل

فى هذين المجالين بقوة - وأنا لا أعتقد أنه سيسمح له، ولابد أن يعتمد على طاقته الذاتية فى فرض نفسه على العالم - فسوف يحدث تغير كبير .

ولننظر إلى ما حدث من التحولات فى أوروبا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر مثلا ، فهذا قرن النهضة ، وهذا قرن التنوير ، لأنهما يمثلان منظومة تعليمية ، ومنظومة تشريعية معينة، أما المنظومة السياسية فتأتى دائما إما منظومة قاهرة لهاتين المنظومتين ، أو منظومة تابعة لهما، فإذا كانت هاتان المنظومتان من القوة بحيث تنتج النخبة السياسية التى تؤمن بأفكارها وتعمل بها، وإلا ستتحول النخبة الحاكمة إلى منظومة قاهرة لهذين المنظومتين .

فإذا لم يحدث هذا التغيير وهو أن نتحول إلى منظومة تعليمية قادرة على أن تنشئ أجيالاً جديدة ، ونخبة جديدة، وأن نتحول إلى منظومة تشريعية تصنع الحياة اليومية فى المجتمع العربى والإسلامى فقل على هذه الدنيا السلام.

رؤى وحوارات

حركة
الفكر الإسلامى المعاصر
خلال القرن العشرين

أ. د. نادية مصطفى(*)

السؤال الأول: متى بدأت المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى المعاصر، وما العوامل التى أدت إليها؟

الدكتورة نادية مصطفى : فى الواقع أنا سأتعامل مع قضية الفكر الإسلامى انطلاقًا من تخصصى كأستاذة علاقات دولية ، فأنا لست مفكرة إسلامية ، ولكن تعاملت مع هذا المجال الهام بمقتضى اهتمامى بالعلاقات الدولية فى الإسلام ، وربما نظرتى إلى كل هذه الأسئلة ، واقترابى منها سيتأثر بذلك .

فكلمة المعاصر تعنى فى العلاقات الدولية : ما بعد الحرب العالمية الثانية، ولكن أريد أن أنظر إلى الفكر الإسلامى المعاصر فى تكامله واندماجه كحلقة من حلقات سابقة، ولا أريد أن أنظر إلى التحقيب أو التقسيم الزمنى إلى مراحل على أنها مراحل منفصلة ، ولكن سأنظر إلى الفكر الإسلامى المعاصر باعتباره حلقة فرعية مرتبطة ، وتمثل استمرارية ما، وإن كانت تحمل بعض جوانب التغيير عن الحلقات السابقة فى هذا

(*) – أستاذة العلاقات الدولية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة .
– لها أبحاث عديدة في مجال : العلاقات العربية الدولية / وضع العالم الثالث في النظام الدولي / تطوير منظور أسلامي لدراسة العلاقات الدولية، وقضايا العلاقات الإسلامية المعاصرة.
– ومن أهم المشروعات التي أشرفت عليها وشاركت فيها :
* مشروع العلاقات الدولية في الإسلام (المعهد العالمي للفكر الإسلامي).
* إصدار حولية أمتي فب العالم .
* مشروع التحديات السياسية التي تواجه العالم في القرن الحالي (رابطة الجامعات الإسلامية) .

الفكر، فالفكر الإسلامى المعاصر هو حلقة فرعية من مرحلة كبير.

وبعبارة أخرى : إذا أردت أن أقسم الفكر الإسلامى فأستطيع أن أقول : إنه يمكن أن نميز فى تاريخ الفكر الإسلامى بين مرحلتين كبيرتين : المرحلة الأولى تتمثل فى القرون السبع الأولى ، وهى مرحلة البناء والتطوير فى الفكر الإسلامى فى جوانبه المختلفة وفى ظل ذاتية وقوة إسلامية حضارية وسياسية واجتماعية انعكست على شكل العلاقة مع الآخر ؛ فكان هناك دائما ذاتية فى الفكر الإسلامى فى هذه القرون السبعة ، دون إنكار أنه تأثر بتيارات أخرى فكرية ، ولكنه كان تأثرًا إيجابيًّا بالاستيعاب والهضم وإفراز الجديد.

المرحلة الثانية : تشمل القرون السبع التالية، وهى تحمل خصائص مختلفة من حيث القوة الذاتية الإسلامية والحضارية، ومن حيث طبيعة وَحْدة الأمة ، فقد ظهرت تعددية سياسية تدريجية ، وهكذا بدأت تدريجيا تظهر فى الأمة علامات مختلفة ، تبين لدارس التاريخ الإسلامى أن عامل التأثير الخارجى أصبح أكثر وضوحًا ، وأضحى وزنه فى تزايد مستمر ، حتى أضحى هو الغالب على كل شيء سواء فى مجال السياسة ، أو فى مجال الفكر، بحيث باتت إشكالية العلاقة بين الداخلى والخارجى مختلفة ، واختلفت تدريجيًّا خلال القرون السبعة حتى وصلنا إلى المرحلة الحديثة ، وهى مرحلة القرنين الأخيرين من نهاية القرن الثامن عشر ، ومرورًا بالقرن التاسع عشر ، فإذا أطل القرن العشرون وجدنا مرحلة اكتمال وبزوغ قمة التأثير الخارجى على الأمة الإسلامية فكرًا ، ونظمًا ، وحركة.

ولهذا فإذا نظرت إلى المرحلة الحالية أو المعاصرة من الفكر الإسلامى ، وفى شقه الذى يهمنى وفق تخصصى ، ففى بعده السياسى الدولى لا أستطيع على الإطلاق أن أنظر إليه مجتزئًا أو منفصلاً عن مرحلة تطور كبيرة سابقة خلال القرنين الماضيين التاسع عشر والعشرين ، حيث تردد فيهما زخم التأثير الخارجى على الداخلى ، وانعكس هذا على القضايا التى تدرس فى الفكر الإسلامى، وطريقة دراسة هذه القضايا ومنهاجيتها، ومن ثم إمكانية تصنيفها.

كل هذا يمكن أن ألخصه فى عدة عبارات: أن الفكر الإسلامى كأنه جسد حرّ ممتد متواصل متكامل ، يشهد

منحنيات ، ومنخفضات ، ومرتفعات ، ترتبط بطبيعة الجسد الإسلامى الحضارى، والسياسى ، والاجتماعى ، والاقتصادى ، قوة أو ضعفًا ، ذاتية أو فى علاقة مع الآخر وهكذا .

ولهذا فإنى أقول : إن المرحلة المعاصرة من الفكر الإسلامى هى المرحلة التى تشهد قمة تحديات الخارجى للداخلى ، والتى هى محصلة تراكمية متتالية لعملية ممتدة منذ قرنين ، وبدأت جذورها قبل هذا بقرنين آخرين.

فمن الممكن اعتبار أن التيار المعاصر يبدأ مع الحرب العالمية الثانية ، وربما أيضا مع الحرب العالمية الأولى لما لها من دلالات بالنسبة للتحديات والمشاكل التى واجهت المسلمين كجزء من العالم، سواء فى نطاق دولهم التى قسموا إليها، أو فيما يتصل بعلاقتها بينها وبين بعض، أو فى علاقتهم بالعالم.

السؤال الثانى: ما أهم تيارات الفكر الإسلامى المعاصر خلال القرن العشرين ؟ وما أهم عناصر كل تيار من تلك التيارات؟

الدكتورة نادية مصطفى : استكمالاً لما قلناه من الواضح أن المعاصر سيمتد إلى القرن العشرين بأكمله وليس فقط إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، فإذا أردت أن أجيب عن هذا السؤال ، فلا بد من تحديد معنى كلمة تيارات ، ومعنى كلمة الفكر الإسلامى، ففى مراحل سابقة من تاريخ أمتنا ، ومن تاريخ فكرها كان علماء الأمة شاملين، بمعنى أن البناء الفكرى لعلماء الأمة حتى ما قبل قرنين كان شاملا ، فترى العالم منهم يكتب فى الفقه ، ويكتب فى الأصول ، ويكتب فى التاريخ ... ، وله موقف ورأى فى كثير من القضايا ، وهذه هى طبيعة الظاهرة الاجتماعية فى الرؤية الإسلامية أنها شاملة ومتكاملة ليس هناك فصلا بين السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، وليس هناك فصلا بين الداخلى والخارجى ، وليس هناك فصلا بين الفكرى والحدثى المتصل بالواقع ، وليس هناك فصلا بين المادى وغير المادى .

ومن ثَمَّ كانت منظومات أفكار العلماء متكاملة ، وهو أمر أخذ يضعف، وينتهى تدريجيًّا ، مع شدة تقسيمات التخصص.

ولذا حين أتكلم عن الفكر الإسلامى المعاصر ، سواء فى امتداده بالقرن العشرين ، أو فيما يتصل بالنصف الثانى

من القرن التاسع عشر ، فهناك رموز من الممكن تتبع أعمالها ، وتتبع إنجازاتها ، ويستقى منها ما هى تيارات الفكر المعاصر وما هى قضاياه؟

وهنا أجدنى أمام خريطة واسعة من الأسماء ، والعلماء ، والمفكرين الذين يدلون بدلوهم دائمًا فيما يتصل بقضايا الأمة ، ويمثلون الفكر الإسلامى المعاصر.

وأمام هذه الخريطة لاحظت عدة ملاحظات :

١ - أن معنى العلم الذى كان موجودًا من قبل فى تاريخ الفكر الإسلامى لم يعد موجودًا خلال القرن العشرين ، خصوصًا خلال النصف الثانى من القرن العشرين ، إذ هناك بعض الأسماء قد ظهرت فى بدايات القرن الأول ، هؤلاء العلماء والمفكرون ينتمون إلى تخصصات مختلفة فسنجد هذا له خلفية قانونية ، وآخر له خلفية أصولية مؤرخة ، وآخر له خلفية اجتماعية سياسية اقتصادية ، وآخر له خلفية فلسفية .

جميع هؤلاء مشاركون فيما نسميه الفكر الإسلامي ، فهناك مثلاً حسن البنا، سيد قطب، المودودي، الندوي، البشري، خاتمي، شريعتى ، الخميني، نور شفيق، محمد الغزالي، الشعراوي، العوا، عمارة، هويدي، أبو المجد، السردار، كريم صديق، أبو سليمان، العلواني ، الشيخ ياسين زعيم حركة حماس، رضوان السيد، مأمون أبو الفضل، حامد ربيع، عبد الهادى التازي، عزت بيجوفيتش، مهدى شمس الدين، القرضاوي، جمال عطية، محمد البهي، حسن الحنفي، المسيرى، الدجاني، الترابي، إقبال أحمد، الفاروقى، عبد الحليم محمود، هؤلاء جميعًا رموز وعلماء، وربما أغفلت كثير غيرهم ، ومعظم هؤلاء من العرب، والدائرة غير العربية أوسع من هذا بكثير .

هؤلاء جميعًا يقدمون ما يمكن أن نسميه الفكر الإسلامى المعاصر، وهذا يقودنى مباشرة إلى سؤالك كيف يمكن من خلال متابعة هؤلاء جميعًا أن نميز بين تيارات ، وبين قضايا موضع اهتمام، وهذا يحتاج لمتابعة منظمة لهذه الأعمال حتى نستطيع أن نميز ما فيها من تيارات، وهناك الدراسات من مثل هذا النوع أجريت حول فكر القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وكثير من الكتابات تحت اسم الإصلاح والتجديد والاجتهاد قامت بعملية التصنيف إلى

تيارات فكرية ، ولكن هذهَ الدراسات ذات معايير مختلفة ، ومن ثم لا بد من تحديد المعيار الذى سأستند إليه فى تحديد التيارات : هل التيار حول قضية معينة ، أم تصنيف كامل لمجموعة من القضايا ؟

هنا أستطيع أن أقول : إن أكثر التصنيفات شيوعًا يمكن تلخيصها فى الآتى : فهناك الإصلاحيون ، والتيار الفكرى الإصلاحى قد يكون فى المجال الدينى ، وقد يكون فى المجال المجتمعى السياسى ، وقد يكون فى المجال المتصل بمكونات الأمة ، أو قد يكون متصل بالأمة وعلاقتها بالآخر.

فماذا أقصد بالتيار : التيار يعنى تقييمًا لموقف من قضايا متنوعة ومتعددة يثور حولها الفكر الإسلامى ؛ ولهذا لا أستطيع أن أقول : إن هناك فصل بين التيارات والقضايا والمجالات ، ولكن هناك مدارس تختلف مسمياتها وتصنيفاتها ، فمثلا التصنيفات الغربية تقسم التيارات الإسلامية إلى فكر إسلامى تقليدى محافظ، وفكر إسلامى تحديثي، وفكر إسلامى راديكالى ، والمعيار هنا فى تصنيف هذه التيارات هو: الموقف من الغرب ، ودرجة التأثر بالغرب ، ومحاكمة الإسلام على ضوء إنجاز الغرب ، فكرًا ، وعملاً ، وواقعًا .

هناك تقسيم آخر يقتصر على الفكر المسلم بصفة عامة ، سواء أكان فكرًا تقليديًّا ، أو فكر تحديثيًّا ، ويجعل هذا التيار مكافئًا للعلمانى ، ثم يصنف التقليدى إلى معتدل أو راديكالي.

أيضا المعايير هنا هي الاحتكام إلى الغرب.

هناك تقسيمات أتت من الداخل صدرت من المسلمين المهتمين بقراءة الفكر الإسلامى المعاصر أو الحديث ، وأنا أتكلم عن القرنين التاسع عشر ، والعشرين ، فسنجد الفكر السلفى ، وفكر الإصلاح الدينى ، وفكر الإصلاح المجتمعى السياسى ، وتأتى هنا بداية التمييز بين ما هو إصلاح دينى ، وتجديد دينى ، وبين ما هو إصلاح مجتمعى وسياسى ، كما لو أن الأمرين مختلفين ، وهذا لا ينبغي أن يكون.

هناك تقسيم آخر وفق معيار الاقتراب أو البعد عن الإسلام ، وهو قائم على فكرة الإصلاح ، على أساس أن الفكر الإسلامى المعاصر هدفه إصلاح حال الأمة من الداخل ، سواء على المستوى الدينى ، أو الاجتماعى ،

أو السياسى ، وإصلاح علاقتها مع الآخرين ، فصفة الإصلاحى التجديدى النهضوى مشتركة ين الفكر الإسلامى الأصيل ، وبين الفكر المنحرف أو الزائف.

فهذا تقسيم يقدمه مفكرون مسلمون، معياره مدى مواءمة ما يدخل فى فكره من تجديد للثوابت الإسلامية التى يجب الحفاظ عليها ، ولا ينبغى أن تهتز فى غمار عملية التجديد .

هذه أنواع من التصنيفات ، وهناك تصنيفات أخرى تراعى المحتوى ، فتقسم إلى مدارس ، وإلى مجالات .

فكأننا عند التصنيف نطرح بعض أسئلة ، فى ضوئها تتم عملية التصنيف ، وأول سؤال ما هو مدى قرب أو بعد هذا النمط من الأفكار من الإسلام ، السؤال الثانى : ما هو المجال الذى تهتم به هذه الأفكار ... ، وهكذا .

فعندما نقول : «الفكر الإسلامى» فهناك فكر إسلامى فيما يتصل بمجال السلوك الدينى للأفراد ، كما نجد فكرًا إسلاميًا مهتمًا بالأمور المتصلة بتنظيم المجتمع ، وآخر مهتم بالأمور المتصلة بتنظيم السلطة ، وآخر مهتم بالأمور المتصلة بالأخذ عن الغرب فكرًا وعملاً ، أو بالعلاقات بين الشعوب الإسلامية ، والعلاقات بين الدول الإسلامية.

فعند عملية التصنيف لا بد من مراعاة كل هذا ، فيجب أن يكون هناك تحديد لمجالات الفكر الإسلامى المعاصر ، والذى يمتد إلى مجالات مختلفة ، كما أن رموز هذا الفكر منهم من يتناول بعضها، أو كلها ، أو بعموميات ، أو بالتركيز على بعض الأجزاء.

إذا اقتربنا مثلاً من مجال الفكر المجتمعى السياسى الداخلى ، فسنجد هناك ما يتصل بالعلاقة بين مكونات الأمة على مستوى الشعب الواحد ، وهناك ما يتصل بالعلاقة بين الشعوب الإسلامية المختلفة ، وهناك ما يتصل بالعلاقة بين الأمة والآخر ، فلدينا ثلاث مستويات تمثل موضع الاهتمام ، وتتنوع الموضوعات تحتها كالكلام عن التجديد فيما يتصل بالداخل، أو عن الوحدة ، أو الجهاد ، أو الاستقلال ، ومن خلال هذه التفريعات تبرز لنا القضايا الثابتة أو شبه الثابتة من خلال القرن الماضى ، واتصالا مع ما قبله .

هناك مجال جَدَّ على ساحة الفكر الإسلامى له أهميته ، وموضعه فى الفكر الإسلامى وهو مجال التحدى

الخارجي ، وقد وصل من أهميته أن قام بتغليف المجالات الثلاثة السابق الإشارة إليها ، ففى القرون السابقة عندما كان الاهتمام بالداخل ، كان الاهتمام بالعلاقة بين مكونات الأمة ، والعلاقة مع الخارجى ولكن من ذاتية قوية من الداخل ، ومن إبداع ذاتى من الداخل نحو الخارج ، ولكن فى العقود الأخيرة هذه المجالات الثلاثة غلفها دائمًا التحدى الخارجى الذى تزايد بالتدريج خلال القرنين الأخيرين ، حتى وصل إلى أقصاه مع ضعف الداخل ، فعندما نتكلم عن المجال الداخلى فإنه لا ينفصل إطلاقا عن الخارجي، نجد ذلك مثلا عند تناول نظم التعليم ، ونظم القوانين ، والنظام السياسى ، وحقوق الإنسان ، وحقوق المرأة، والعدالة الاجتماعية ، فمثل هذه القضايا لم تعد تدار ، ولا يفكر فيها بعيدًا عن تأثير الخارجي واختراقه .

من قبل كان هناك تأثيرًا وتأثرًا بين المسلمين وغيرهم ، ثم أضحى هناك تأثيرا من الخارج على المسلمين ، وانقطاع تأثير المسلمين على الآخرين ، ثم أضحى هناك تدخل فى شئون المسلمين من الخارج ، ثم أضحى هناك تهديد من هذا الخارجى من خلال هذا التدخل ، ثم أضحى هناك اختراق من الخارجى للداخلى لهذه المجالات ، ونحن الآن نعايش مرحلة خطر الاكتساح ، وخطر الذوبان ، فهذا الإطار الكلى المتمثل فى طبيعة التحديات التى نعيشها فى الواقع ينعكس على مجالات الفكر الإسلامى ، ومن ثم تختلف مدارسه من حيث التعامل مع هذه المجالات ، فالتقليدى السلفى مثلا - لو سايرنا التقسيم الغربى - ينظر إلى الأمور فى الداخل كما لو أن ليس هناك خارجا ، أما الإسلامى التحديثى فيأخذ فى اعتباره هذا الخارج، فتختلف المواقف اتجاه الآخر، سواء أكان قبولاً ورغبة فى التقليد مع الحفاظ على الهوية ، أو رفضا عنيفًا لهذا كما جاء فى مرحلة أوائل النصف الثانى من القرن العشرين ، أو محاولة لإعادة اكتشاف علاقات جديدة كما يجرى الآن فى ظل ما يسمى بحوار الحضارات، وحوار الثقافات ، وثقافة السلام ، وثقافة التسامح ... ، فما سبق هو تعبير عن تيارات بالمعنى الذى طرحه السؤال.

فهناك -من وجهة نظرى على الأقل كمتخصصة علاقات دولية - مدارس تتعامل مع مجالات أساسية ، يتبلور

حولها الفكر الإسلامى ، ويتفرع عنها مجموعة من القضايا التى تختلف فى كل مرحلة عن المرحلة الأخرى نظرا لطبيعتها، فإذا كنا سابقًا فى مرحلة مقاومة الاستعمار ، أو فى مرحلة مقاومة الاحتلال العسكرى ، فأضحت الآن مقاومة العولمة. إذا كانت هناك مرحلة سابقة تمثل محاولة تحقيق تنمية مستقلة ، والحفاظ على الموارد البشرية والمادية التى لدى المسلمين بعد الاستقلال ، وإجراء تجارب تنموية ذاتية، أضحى الآن المطروح الاندماج فى النظام الاقتصادى العالمى فهل هذا ممكن، وهل هو مطلوب أم مرذول؟ .

هنا الفكر الإسلامى يجب أن يتعامل مع حقوق ، ومن قبل كان الحديث عن الحقوق السياسية للمسلمين ، والاستقلال عن المستعمر ، الآن أضحى الحديث عن حقوق الإنسان .

من قبل كان الحديث عن تجزئة المسلمين ، بمعنى معين أنه لم يعد هناك خلافة واحدة ، فهناك عدة دول إسلامية كبرى: الدولة العثمانية ، الدولة المغولية ، الدولة المملوكية ، وأضحى الحديث عن التجزئة بمعنى آخر ، حيث التجزئة إلى دول قومية .

فمن الواضح الآن تزايد تأثير صدمة الاحتكاك مع الغرب من منطلق الضعف، على عكس ما كان موجودًا من قبل من منطلق القوة ، وما تفرع عن هذا قضايا تختلف أسمائها من مرحلة إلى أخرى ، لكن هى فى جوهرها تعكس المجالات الثلاثة السابقة .

ولا أستطيع -وفق هذا- أن أتكلم عن تيار فى الفكر الإسلامى على ضوء هذا التقسيم ، وإنما ينبغى أن يكون الكلام عن أحد المجالات الثلاثة .

وبناء عليه فللإجابة عن : ما هى التيارات الأساسية التى أفرزها القرن العشرين ينبغى أن أحدد المجال أولاً ، ثم أرصد اختلاف المدارس والتصنيفات ، فمثلاً فى مجال العلاقة مع الآخر ، وخاصة قضية الأخذ عن الغرب والنقل عنه ، سنجد ما يسمى بالتيار التوفيقى ، ورمزه الذى يمثله هو الشيخ محمد عبده، وهناك بعض الاختلاف عليه ، فيراه بعضهم مصلحًا ومجددًا فى الداخل ، ودعوته متصلة بالتربية ، وبتفسير القرآن، ويراه بعضهم مناديًا بأولوية الإصلاح الداخلى قبل محاربة الاستعمار، فهو فى نظرهم مناوئ للاستعمار ، بينما يعتبره آخرون منبهرا بالغرب ،

ومن هنا تأتى المشكلة : كيف أضع الشيخ محمد عبده فى تيار ، أو فى تصنيف معين، حيث إن هناك عدة تصنيفات تتناوله حسب التقسيمات أو المدارس ومعاييرها ، أو حسب المجالات. فهذا مثال لمجال العلاقة مع الآخر .

إذا تكلمنا فى قضية العلاقة بين المسلمين ، فتأتى قضية وحدة الأمة ، ولا شك أننا سنستدعى فى الحال جمال الدين الأفغانى على أساس جهوده الكبيرة فى سبيل إحياء فكرة وحدة الأمة.

نخلص مما سبق إلى أننى لا أستطيع أن أقول : تيارات الفكر الإسلامي هكذا على وجه العموم ، بل الصواب أن أقول: تيارات الفكر الإسلامى حول قضية الوحدة، تيارات الفكر الإسلامى حول قضية العلاقة مع الآخر، تيارات الفكر الإسلامى حول قضية التجديد الديني، تيارات الفكر الإسلامى حول قضايا الإصلاح الداخلى ، حول علاقة السلطة، علاقة الحاكم بالمحكوم ، فهنا أستطيع أن أميز بين تيارات للفكر الإسلامى وفق المجالات الأساسية ، وفى داخل كل من هذه التيارات أستطيع أن أصنف ما بين اتجاهات السلفية – اتجاهات تحديثية – اتجاهات راديكالية.

وهنا نصل إلى العلاقة بين الفكر والحركة على أساس أن الحركيين هم الأكثر راديكالية وهكذا...

السؤال الثالث: ما هى القضايا الأساسية التى طرحتها التيارات الفكرية المعاصرة؟

الدكتورة نادية مصطفى : إذا استرجعت ما بدأت به بالنسبة لمجال الداخلى ، سنجد العديد من القضايا التى طرحت بالنسبة للداخلى ، ككيفية تنظيم الدول الإسلامية بعد الاستقلال ، وبعد سقوط الخلافة . وكقضية الحفاظ على الثوابت الإسلامية، والحفاظ على الهوية، والحفاظ على العقيدة ، وكيفية تنظيم المجتمع سلوكياته وعاداته وتقاليده فى ظل صدمة الاحتكاك بالغرب .

نستطيع أن نقول : إن هذه القضايا ما زالت مستمرة حتى الآن ، ولكن كما قلت من قبل تأخذ – وبالتدريج – أبعادًا متغيرة مع تغير الواقع ، فنجد مثلاً أن قضية المرأة وحقوقها ووضعها فى المجتمع تكتسب أبعادًا كبيرة جدًا. ونجد أيضا قضايا الأقليات القومية والدينية فى الدول الإسلامية ، ولا أقول الدينية فقط وهو غير المسلم ، ولكن أيضًا غير

العربى المسلم ، وغير التركى المسلم ، وغير الإيرانى أو الفارسى المسلم، فقضايا الأقليات القومية والدينية فى الدول الإسلامية كانت موجودة دائمًا ، ولكن اكتسبت بالتدريج أبعادًا أخرى .

ومثلاً قضية طبيعة التنظيم السياسى قريبا أو بعيدًا عن الديمقراطية ، أو عن الشورى ، فمعظم النظم فى الدول الإسلامية بعيدة عن حقيقة الشورى ، وأيضا عن حقيقة النظم الديمقراطية الغربية ، والآن هذه القضية تتفجر بعمق كبير جدًا فى داخل الدول الإسلامية ، وعلى مستوى العالم نظرًا لأن الغرب يحمل لواء قضية التحول الديمقراطي.

أيضا قضية المجتمع المدنى ، ودور القوى الإسلامية الفكرية والحركية على صعيده إلى جانب القوى الأخرى غير الإسلامية ، هذه قضية مطروحة .

وقضية حقوق الإنسان بين الخصوصية والعالمية ، وكيف تحفظ حقوق الإنسان فى الدول الإسلامية ، وفى نفس الوقت كيف نمنعها أن تكون مادة ومجال للتداخلات الخارجية.

قضية الثقافة الإسلامية الواعية بحقيقة ذاتها ، وبدواعى الانفتاح على الآخر ، وانعكاس هذا على أنماط التفكير والسلوك ، والحاجة إلى مراجعة هذه الأمور فى الداخل الإسلامى .

وهذه القضايا وإن عبرت عنها روح الواقع الراهن فإنه فى الحقيقة كانت موجودة دائمًا طوال القرنين الماضيين ، ولكنها كانت تكتسب أسماء مختلفة ، على حسب طبيعة كل مرحلة ، وأعتقد أنها وصلت إلى مرحلة خطيرة جدًا بالنسبة لقضايا المجال الخارجى ، فقد كان الحديث فى بداية القرن عن الاستعمار ، وعن كيفية الاستقلال ، ثم تلت مرحلة الحديث عن كيف يمكن للمسلمين أن يأخذوا موقفًا بين نموذجين كبيرين فى العالم الشيوعى والرأسمالى ، والآن تطرح قضايا جديدة، ونجد تدخلات خارجية باسم الاعتبارات الإنسانية ، كشكل جديد من أشكال السيطرة .

كما نجد أن قضايا الأقليات المسلمة فى العالم تتفجر الآن بقوة شديدة ، فمثلاً ما موقف الفكر الإسلامي من استقلال تيمور الشرقية عن إندونيسيا ، هل نرفضه بحجة أن هذا تفكيك لدولة إسلامية ، ونطالب مثلاً باستقلال كوسوفو عن الصرب، ثم نتشكك من مطالب الأكراد بالانفصال عن تركيا أو

العراق وهم مسلمون، على أساس أن المبدأ الإسلامى هو أنه لا فارق بين القوميات ، والتاريخ الإسلامى يشهد دولاً إسلامية كبرى ضمت قوميات مختلفة ، لكن فى نفس الوقت لدينا واقع مرير هو الاضطهاد الذى يلقاه الأكراد فى تركيا بصفة خاصة ، بسبب قوميتهم دون اعتبار للدين .

ومن ذلك أيضًا قضية الشيشان هل نوافق على انفصالها ، أو عدم انفصالها .

هذه إشكاليات متصلة بقضايا القوميات المسلمة والقومية فى العالم ، فما هو موقف الأقليات المسلمة فى العالم بين الاندماج والانفصال ؟

ومن جهة أخرى هل نطالب الأقلية المسلمة فى الولايات المتحدة الامريكية بأن يندمجوا فى هذا المجتمع فيصبحوا مواطنين حقيقيين قادرين على التأثير على سياسة هذه الدولة ، وكيف يمكن الجمع بين هذا وبين قضية الحفاظ على هويتهم. فهذه قضية متصلة بالمسلمين والآخر.

من القضايا : قضية الحوار الثقافى الحضارى التى تشيع الآن ، والتى تحاول أن تعطى شكلاً مختلفًا فى العلاقة مع الآخر.

أيضًا هناك قضية المعاصرة ، وقضية التسامح ، وثقافة السلام مع الآخر .

هذه مسميات وأطر لقضايا كانت موجودة من قبل ، ولكن تكتسب واقعًا مختلفًا ؛ ولهذا فقد أشرت إلى أن هناك استمرارية ، وهناك تكامل وتراكم وتواصل ، لا بد أن أعى ذلك حين أحاول أن أدرس الفكر الإسلامى فى مرحلة معينة.

ومن القضايا المهمة أيضًا : قضية وحدة الأمة ، وهى قضية أزلية فى الفكر الإسلامى تم التعامل معها باجتهادات فقهية مختلفة ، هل لا بد من دولة خلافة ، أم يمكن قبول التعددية السياسية، أم نقبل الواقع التجزيئي فى ظل روابط أخرى للأمة كالرابطة العقيدية ، والرابطة الثقافية ، والرابطة التاريخية ...

الآن الأمر يأخذ أبعادًا مختلفة ؛ لأن هناك تهاوى للدولة القومية مرة أخري، واختراق لحدودها حتى فى الدول الغربية ، وبدأ الكلام عن مجتمع مدنى عالمى ، فهل نستطيع أن نتكلم عن مجتمع مدنى إسلامى عالمي؟

هل في استطاعتنا تدعيم الروابط بين التجمعات ، والهياكل ، والتنظيمات

الإسلامية عبر الحدود مما يساعد على إيجاد واقع إسلامي آخر يعيد إلى الذهن فكرة الأمة ، التى لم يكن لها حدود تعوق انتقال الناس أو الأفكار ؟

هذه جميعها قضايا تطرح الآن على الفكر الإسلامى فيما يتصل بالمجال الخارجى ، وفيما يتصل بالداخلى ، وفيما يتصل بالعلاقات بين مكونات الأمة ، فكل رموز الفكر الإسلامى المعاصر تتعرض لذلك كله بطريقة أو بأخرى .

السؤال الرابع: ما مفهوم الحركة لديكم؟

الدكتورة نادية مصطفى : الحركة هى نقل أفكار ومبادئ لحيز التنفيذ .

وتأخذ الحركة أشكالاً مختلفة فهناك مستوى الخدمة الطوعية للمجتمع ، ومستوى النشاط الاقتصادى فى المجتمع، ومستوى النشاط السياسى ، ومستوى العمل النقابى العام ، ومستوى تكوين الأحزاب ، وما يتبعها من نشاط حزبى، بل إن تكوين جماعة سياسية سرية ليس معترف بها وممارسة نشاط سياسي، أو تكوين حركة مسلحة ، كل هذا داخل فى مفهوم الحركة ، بل حين أبادر بإلقاء مجموعة من المحاضرات المنظمة فى موضوع ما للتوعية أو للتثقيف فهذا داخل أيضًا فى مفهوم الحركة .

ولا يشترط فى الحركة أن تأخذ الشكل التنظيمى ، وأن يكون لها قائد أو زعيم .

فأى تصرف يأخذ شكلاً تنفيذيًا لنقل أفكار ومبادئ إلى واقع بغرض تغييره وبغرض إدارته والمشاركة فيه أيًا كانت أدوات هذه الحركة وقنواتها ، واختلاف أطرها فجميعها يقع في إطار مفهوم «حركة» ، ولهذا فقد كان أستاذنا الدكتور حامد ربيع رحمه الله تعالى يقول : الخبرة الإسلامية فى مجال: الفكر، والنظم ، والحركة .

فيميز بين هذه المستويات الثلاثة ، ولكن لا يفصل بينها ، فهى حلقات لا بد لحسن الفهم ولحسن الوعى أن نميز بينها.

وما يعانى منه الواقع الإسلامى والمجتمعات الإسلامية الآن : أن دوائر الفكر الإسلامية التى تحاول أن تصنع مشروعا حضاريًا إسلاميًا معاصرًا هى بعيدة عن التأثير الفاعل في مجال الحركة لاعتبارات عديدة، فهناك الفجوة بين الفكر وبين الحركة ، ولهذا يقال إن بعض الحركات ليس لها فكر.

السؤال الخامس: هل للحركات الإسلامية المعاصرة جذور فكرية انطلقت منها ، أم نشأت بصورة حركية صرفة وهل ولدت الحركة فكرًا ؟

الدكتورة نادية مصطفى : فى الحقيقة لا أعرف ما المقصود بالحركات الإسلامية المعاصرة ، هل المقصود بها الجماعات الإسلامية ؟

الحركات الإسلامية المعاصرة – فى مفهومي– متنوعة ، فهناك حركة على الصعيد الاجتماعى ، وهناك حركة على الصعيد الاقتصادى ، وهناك حركة على الصعيد التربوى ، وهناك حركة على الصعيد السياسي ، فليس هناك حركة فى تصورى دون فكر ، سواء أقومنا هذا الفكر على أنه فكر أصيل ومنضبط، أو على أنه فكر مزيف وسطحى ، أو منحرف .

لكن ما من حركة تبدأ هكذا دون فكرة تنبنى عليها ، ولكن هناك مستوى آخر، فإنه إذا كان لحركة ما أن تثبت فاعليتها وتنمو وتؤثر وتقوى فلابد أن تكون مستندة إلى فكر متماسك قوى يعطى لها ، وتعطى له .

لهذا فإن أحد الانتقادات الكبيرة التى كانت توجه من داخل الإسلاميين لما يسمى الحركة الإسلامية المعاصرة بمعناها السياسى أنها تفتقد إلى رؤية فكرية واضحة ، أو مشروع حضارى إسلامى واضح المعالم تبنى عليه حركتها من أجل تنفيذه.

أما الشق الثانى من السؤال : هل ولدت الحركة فكرًا ؟

فالحركات كلها طورت فكرها ، فما من حركة ولدت من غير فكر ، وما من فكر ينمو ويتطور دون تجارب وخبرات للحركة.

السؤال السادس : إلى أى مدى تفاعل الفكر والفقه الإسلامى بالحالة الراهنة للعالم ، أو ما يكتنفها من تغيرات ؟

الدكتور نادية مصطفى : هذا السؤال ينطلق من التميز بين الفكر والفقه على أساس أن الفقه يقدم اجتهادات لأحكام حول الواقع المتغير. ولكن الفكر قد لا يكون فقهًا هدفه أن يخرج أحكامًا ، لكن لا بد أن يكون منضبطا بقواعد وأطر الإسلام .

وأعتقد أن أحد آفات القرنين الماضيين تتجلى أقصى صورها فى الفجوة الحاصلة بين العلوم الاجتماعية

والعلوم الإسلامية والتى يقع الفقه الإسلامى فى قلبها ، بحيث من هو متفقه فى الواقع وقضاياه ومجالاته وحقيقته الراهنة ربما يكون منقطع الجذور عن الفقه والشريعة ، والعكس صحيح ، وتبقى قلة قليلة من علماء الأمة بالمعنى الحقيقى هم الذين أثروا حياة الأمة الإسلامية خلال القرن العشرين نظرًا لارتباطهم بالواقع وقضاياه ، ومحاولة تغييره فى إطار منضبط شرعى ، وفى ظل اجتهاد معاصر .

وأرى أن الفكر الإسلامى يرصد ويشخص مشاكل الواقع المسلم ويفسره أحيانا ، ولكنه لا يستطيع أن يطرح بدائل فاعلة للتغيير ، فمثلاً نتحدث جميعًا عن وحدة الأمة ، وأنها هى الأساس، ولكن كيف تتبلور هذه الوحدة لصالح الأمة ككل؟ ، هل يتم التركيز أكثر على الجانب الثقافي ، أم العقدى ، أم القانونى؟ ، فالمستشار طارق البشرى مثلاً يقول : إن مفتاح التقريب بين المجتمعات الإسلامية أن يكون لها قوانين مشتركة موحدة.

وللأسف فما يتم طرحه من أفكار فى ظل الأطر النظامية القائمة ليس هناك استعداد للأخذ به، فى ظل الضغوط الدولية ، فهناك سقف خارجى ، وسقف داخلى يحدد إمكانيات التغيير ، فلم تعط فرصة حقيقية لنموذج أو مشروع إسلامى كى يطبق أو حتى يختبر ، وهذا من مظاهر شدة احتكام الأزمة وليس هذا قصورًا من مفكرينا ، بقدر ما هو بسبب احتكام الأزمة ، فمثلاً الحديث عن الربا والاقتصاد الإسلامى ، ومحاولة إيجاد مؤسسات للاقتصاد الإسلامى ومهما قلنا عن ذاتيتها وعن استقلاليتها فهى جزء من النظام الاقتصادى العالمى بكل تفريعاته ، فكيف السبيل إلى الاقتصاد الإسلامى الكامل .

نفس الشىء بالنسبة لتطبيق التشريعات ، أو القوانين المأخوذة من التشريع الإسلامى ، هناك سقف لا نستطيع اختراقه ، بل لا نستطيع أن نقترح أفكارًا لكيفية اختراقه.

السؤال السابع: إلى أى مدى تأثر الفكر الإسلامى المعاصر بالتيارات الفكرية العالمية؟

الدكتورة نادية مصطفى : ليس هناك فكرًا يعيش فى انعزال سواء الفكر الإسلامى ، أو غيره. وتاريخ الفكر

الإسلامى وعصور الازدهار كان قائمًا على التأثير والتأثر.

و لكن كيف يحدث التأثر، لا بد أن أكون فى موضع قوة ووعى وذاتية فأنظر إلى الآخر ، وأختار مما لديه ، وهكذا تكون عملية التأثر عملية صحية، ففارق بين أن أكون فى وضع أقل وأدنى ، فيكون التأثر مجرد نقل وتقليد.

إذا تكلمنا عن فكر المسلمين ، وليس الفكر الإسلامي ، فسنجد أن فكر المسلمين تأثر بالتيارات الفكرية العالمية ، كفكرة القومية ، وفكرة العلمانية ، وفكرة الحداثة .

أما بالنسبة للفكر الإسلامى فسنجده يتخذ موقف الاستجابة وردود الفعل ؛ لأن التيارات الفكرية العالمية والنظريات والعلوم فى الغرب أقوى بحكم أنهم فى مركز القوة العالمية الآن .

السؤال الثامن : هل بدأت بعض الأفكار الإسلامية تطرح على الصعيد العالمى ؟ وما أهم مجالات الحوار التى دخلت فيها مع الفكر الآخر؟

الدكتورة نادية مصطفى : هناك مجالات كثيرة يدور فيها حوار الآن مع الفكر الآخر ، كقضية الديمقراطية ، ومقابلها الحوار عن الشورى ، وشكل التعددية فى الداخل ومشاكلها ، وحقوق الإنسان ، وقضية المرأة ، وقضية الأقليات القومية .

والقضية الأهم : قضية القيم ، فالقيم هى التى تحكم التفكير والحركة فى مجالات كثيرة. وهذا المجال أعتقد أن فيه إسهامًا حقيقيًّا قدمه الفكر الإسلامى. فالراصد لحركة تطور العلوم الاجتماعية والحديثة من الوضعية الإمبريقية ، والعلمانية المادية فى بدايتها فى عصر الاستنارة يلاحظ وجود ابتعاد وانعزال عن جانب القيم ، ولكن مع تطور هذه العلوم الاجتماعية نشهد الآن مرحلة هامة جدًا لإحياء الاهتمام بالقيم ، سواء على المستوى التنظيرى المنهجى أو مستوى الواقع ، فالبعد القيمى فى الدراسات الاجتماعية عاد يظهر من جديد .

والأفكار الإسلامية التى تطرح على الصعيد العالمي ليس بمبادرة إسلامية ، بل هو تطور فى نطاق فكرهم ، مما أفسح لهم الاهتمام بفكر الآخر وإنتاجه ، وأفسح من داخلهم الاهتمام بالنظر فى حضارات الآخرين ، وماذا تُقدم ، وانتقاد فكرة المركزية الأوربية ، والمركزية الغربية ، وهذا يدل على إننا

ما زلنا فى مجال رد الفعل .

فهناك مجال ومساحة هامة جدًا للمساهم فى هذا المجال بطرح الرؤية الإسلامية ، والفكر الإسلامى ، ومعنى الحرية ، ومعنى العدالة ، ومعنى المساواة، ومعنى حقوق الإنسان ، ومعنى الشورى ، ومعنى حماية البيئة .

فإسهام الفكر الإسلامى والمنظور الإسلامى لبعض المفاهيم قائم وجارى ودائر ، وعلى صعيد العلوم الاجتماعية خلال العقود الثلاثة الأخيرة نجد اهتمام علماء الاجتماع بالظاهرة الإسلامية ، والإسلام ، واستمرار المسلمين ، وإحيائهم ، وصحوتهم ، وتحدياتهم مما يعنى أن لهم على الصعيد العالمى استمرارًا ووجودًا ، وفى ظل هذا المناخ يكون هناك دائمًا اهتمام الآخر بالأفكار الإسلامية وبالقيم الإسلامية ، وهنا تأتى ضرورة أن يكون هناك مبادرة بطرح واضح وعميق للفكر الإسلامى حول هذه القضايا، وهذا حاصل بالفعل فى كثير من الملتقيات الرسمية وغير الرسمية ، الأكاديمية وغير الأكاديمية ، فنجد من محاورها : الإسلام والمسلمين - الإسلام وحقوق الإنسان - الإسلام والديمقراطية - الإسلام والتنمية - الإسلام والمرأة - الإسلام والبيئة ... ، ويشارك العديد من المفكرين المسلمين بطرحهم لرؤية الإسلامية حول هذه الموضوعات ، ولكن الأمر يحتاج إلى تركيز أكبر ، وجهود أكبر من جانبنا ، وتوسيع الدائرة لمساحة أكبر من المشاركين فى هذا ، حتى لا تظل قاصرة على بعض الرموز القادرين على الحوار مع الآخر.

السؤال التاسع : نلاحظ تشابهًا شديدًا فى المشكلات ، والأطروحات المعروضة على الفكر الإسلامى فى بداية القرن مع تلك المعروضة فى نهايته ، ما مدى صدق هذه الملاحظة وما أسبابها؟

الدكتورة نادية مصطفى : الإجابة عن هذا السؤال تتضمنها إجابتى عن السؤالين الأوليين ، فمثلاً هناك دائمًا مجالات أساسية يتعامل معها الفكر الإسلامى ، ولكن تختلف طبيعة القضايا فى كل مرحلة عن الأخرى ، لكن هناك تشابهًا شديدًا فى المجالات .

فمن القضايا التى ما زالت قائمة : قضية الإصلاح الداخلى فى المجتمعات الإسلامية، وقضية العلاقة بين مكونات الأمة ، وافتقاد الوحدة، وقضية العلاقة

مع الآخر وكيف تدار.

ورغم تشابه القضايا فإن الوضع يختلف ، فبالنسبة لقضية الإصلاح الداخلى كان الاهتمام فى بداية القرن بكيفية تحديث تنظيماتنا نقلا عن الغرب حتى نتقدم مثله ، وكثير من الإسلاميين كانوا يوافقون على هذا بشرط أن لا يمس الهوية . والآن نتكلم عن أن النقل عن الغرب تنظيمًا وخبرة لم يؤد إلى التحديث المأمول على النمط الغربى ، وأنه يجب أن نبحث عن شكل آخر ، وأيضا العلاقة مع الآخر تحولت إلى اختراق واكتساح ، وليس مجرد تأثير، أو تدخل للخارج .

فالمجالات الأساسية ما زالت قائمة ، ولكن التعبير عنها هو الذى يختلف ؛ ولهذا لا أستطيع أن أوافق على هذه المقولة على إطلاقها.

السؤال العاشر : ما أهم التحديات التى تواجه الفكر الإسلامى فى مطلع القرن الحادى والعشرين؟

الدكتورة نادية مصطفى : أهم التحديات التى تواجه الفكر الإسلامى فى مطلع القرن الحادى والعشرين هى تكييف وتنظير شكل العلاقة مع الآخر؛ لأن هذه كما قلت هى المجال الثالث الذى تفاقم تأثيره على المجالين الآخرين ، وليس هذا إنكارًا لأهمية الداخل، بل الداخل هو الأساس ، فإنه لولا ضعف هذا الداخل ، وبعده عن الاجتهاد والتجديد ، لما تمكن منه الخارج ، ولكن مع تزايد قدرات الآخر الخارجى تزداد تأثيراته على الداخل؛ فأهم التحديات التى تواجه الفكر الإسلامى هى تكييف وتنظير لكيفية إحداث التغيير فى الداخل فى ظل هذه التأثيرات الخارجية الطاحنة، كيف يمكن تحجيم هذا الاكتساح الخارجى الذى يعرقل كل محاولة لتغيير داخلى على أسس إسلامية ، كيف يمكن أن أحفظ الذاتية ، وأنميها دون انطلاق من الخارج ، فليس بمقدورى أن أنغلق ، وليس بمقدورى أن أنعزل فهذا أمر لم يعد قائما بمقتضى التطور فى المجتمع العالمى ، من طرق الاتصال والمعلومات والمواصلات بما تحمله من تأثيرات على الفكر والأفكار والأشخاص .... .

وهناك مستويان من التحديات :

المستوى الأول : ما الذى يجب أن يتفاعل معه المفكرون المسلمون ، فهذه قضية كبرى نتج عنها قضايا فرعية .

المستوى الثانى : كيف ننظم دراسة الفكر الإسلامى المعاصر من خلال

علماء الأمة فى كل التخصصات، فجميع هؤلاء يقدمون فكرًا إسلاميًّا حول المجالات المختلفة وفى القضايا المختلفة ولكن بروح مختلفة فهناك التقليدى ، والسلفى ، والتحديثى ، والمعتدل ، كما أننا فى حاجة لأن تنظم الدوائر البحثية والعلمية والأكاديمية الإسلامية المهتمة بالهم الإسلامى مشروعا علميا ممتدا متكاملاً لرسم خريطة فكر علماء الأمة بتياراتها ، وبقضاياها خلال النصف الثانى من القرن العشرين فقط حتى يحصل تفاعل وتراكم ، على غرار ما يقوم به الغرب تجاه فكرهم ، فلديهم دراسات عن التيارات ودراسات عن المجالات ، فنحن فى حاجة إلى مثل هذا الأمر لتنظيم وعرض إنتاج الفكر ، وشكرًا ... .

رؤى وحوارات

حركة الفكر الإسلامى المعاصر خلال القرن العشرين

أ. د. أحمد صدقى الدجانى(*)

السؤال الأول: منذ متى بدأت المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى المعاصر، وما العوامل التى أدت إليها؟

الدكتور صدقى الدجانى: ما دمنا نتحدث عن الفكر الإسلامى المعاصر فإن مصطلح المعاصر يحدد لنا بداية المرحلة الحالية، ونحن فى المدرسة التاريخية نعنى بهذا المصطلح: الواقع القائم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث إن هذه الحرب تلت صفحة سبقتها، ودخل العالم أحداثا توصف بأنها معاصرة.

ومن هنا فإن الفكر الإسلامى المعاصر هو ذلك الذى يبدأ بعد الحرب العالمية الثانية، ولكن هذا الفكر وثيق الصلة بالمرحلة التى سبقته، والتى نقترح تحديدا له بين نهاية الحرب العالمية الأولى، ونهاية الحرب العالمية الثانية.

ومعلوم أن تقسيم التاريخ إلى مراحل، هو عمل اصطلاحى، ولا يعنى هذا التقسيم أيضًا أن أية مرحلة منقطعة عما سبقتها، بل العكس هو الصحيح، فأى مرحلة هى استمرار للمرحلة السابقة.

(*) - حاصل على دكتوراه الآداب قسم التاريخ من جامعة القاهرة ، ١٩٧٠م . وهو مفكر عربى من فلسطين ، مشارك فى العمل على الصعيدين الرسمى والشعبى .
عضو فى عدد من المجامع كمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والمجمع الملكى بالمغرب .
له خمسون كتابا ، وآخر أعماله : أزمة الحل العنصرى فى فلسطين ، وتفاعلات حضارية وأفكار للنهوض .

وقبل هذه المرحلة التى ذكرنا ، هناك مرحلة أخرى تمتد من أواخر القرن التاسع عشر الميلادى إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، ويمكن أن تعود إلى مرحلة أسبق تبدأ مع بداية القرن التاسع عشر الميلادى إلى الربع الأخير منه، ولكل من هذه المراحل ملابساتها.

من جهة أخرى فلا يمكن فصل هذه المراحل عن مرحلة سبقت عليها وهى قدوم الغزوة الفرنسية إلى بلادنا، فكان للفكر الإسلامى فيها نشاطًا وحيوية، على غير ما يلحن البعض حين يعتبر الثورة الفرنسية هى بداية التحرر الجديد.

أما العوامل التى أدت إلى المرحلة الأخيرة المعاصرة هى تفاعل الإنسان مع الواقع.

وهذا التفاعل يشهد أيضا استلهاما لحركة التاريخ فى الماضى، ويشهد دائما تشوفًا مستقبليًّا؛ ذلك أن الفكر يتحرك عبر بعدى الزمان ماضيًا ومستقبلاً، فى إطاره الحاضر.

ويمكننا أن نلاحظ ضمن هذا الواقع وجود عامل محلى، وآخر إقليمى، وثالث دولى.

ولا بد هنا أن نلاحظ أن العامل الدولى اكتسب أهمية خاصة فى المرحلة المعاصرة؛ لأن عالمنا شهد فيها ثورة الاتصال، التى جعلت للتفاعل الحضارى عبر وسائل الاتصال المختلفة أثرًا قويًّا ، كما أن هذا العامل كان قد برز بقوة منذ أن تحدانا الغزو الاستعمارى الأوروبى، الذى اشتد علينا منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادى، واستمر بلا هوادة خلال القرنين الأخيرين.

وتجدر الإشارة هنا أننا ونحن نتحدث عن القرنين التاسع عشر والعشرين سنتحدث عن ثلاثة قرون أخرى: حيث هذان القرنان الميلاديان يواكبان القرون الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر الهجرية، واستذكار التاريخ الهجرى أمر ضرورى بالنسبة لنا؛ لأنه يجعلنا نستحضر مراحل تاريخنا، وتاريخ حضارتنا عبر أربعة عشر قرنا.

السؤال الثانى: ما أهم تيارات الفكر الإسلامى المعاصر خلال القرن العشرين ؟ وما أهم عناصر كل تيار من تلك التيارات؟

الدكتور صدقى الدجانى: هنا تشتد الحاجة لتحديد المقصود بالفكر الإسلامى، وإذا كنا فى السؤال الأول قد مررنا به سريعا، فإنه لا مفر من الوقوف أمامه هنا.

هل المقصود هذا الفكر الذى برز فى ديار الإسلام بشتى تياراته.

إذا كان ذلك فإنه يمكن أن نتناول مختلف المدارس الفكرية التى ظهرت، سواء ما كان منها نابعًا من منهل منه الإسلام، أم ذلك الذى لم يكن منهلاً.

أما إذا كان المقصود تيارات المدرسة التى التزمت بالإسلام؛ فإن الحديث هنا يختلف.

ولقد أوضحت فى كتاباتى أن مدارس ثلاثة برزت منذ مطلع القرن العشرين فى وطننا على صعيد الفكر، وبخاصة الفكر السياسى:

- كان أولها مشغولاً بالقضية الوطنية، التى نجمت عن قيام الدولة القطرية، فى ظل تجزئة دار الإسلام كلها، والوطن العربى ضمنها.

وهذا التيار على مستوى الصعيد السياسى عنى بموضوع الاستقلال.

- وهناك التيار القومى الذى عنى بالإضافة إلى ذلك بقضية ترشيد الأمة العربية، وعنى بدائرة الحضارة الإسلامية، وبالنهل من منابع الإسلام فى كل القضايا الحياتية، التى تعرض للأمة.

- وهناك التيار الأممى الذى جاءنا من الحضارة الغربية، خاصة المدرسة المادية الماركسية.

هذا على صعيد الأمة ككل، ولكن فيما يخص مدرسة الفكر الإسلامى يمكننا أن نلاحظ توزعا فيها بين ثلاثة تيارات، وهذا التوزع كما شرحت فى كتبى هو ناجم عن تحدى الحضارة الغازية.

فهناك تيار عبر عن نفسه ينتمى إلى الانكماش، ويستخدم البعض أحيانًا لفظة الانكفاء، وهؤلاء كان موقفهم موقف رد فعل، حيث بقوا أسرى الماضى.

وهناك تيار أميل إلى الاندماج تأثر بمنجزات الحضارة الغربية، فأيضا أخذ موقف رد الفعل فى محاولة تقليد الحضارة الغربية.

أما التيار الغالب الأصيل الذى نعتمده هو فقط أو بالدرجة الأولى فهو: تيار الاستجابة الفاعلة، الذى تمثل واقعه، واطلع على حقائق الحضارة الغازية، وعلى حقائق عالمنا كله، واختار الاستجابة الفاعلة من خلال إنعام النظر، وإعمال الفكر.

وهذا التيار هو الذى أثّر التأثير الأقوى فى حياتنا.

ولا بد أن نلاحظ هنا أن التيارات –

التى سبق أن أشرنا إليها فى إطار الأمة: الوطنى، والقومى، والإسلامى، كلها خرجت من تيار واحد كان موجودًا فى الأمة، ولم يعرف هذا التقسيم قبل تجزئتها؛ لذا كان هناك شعورًا بالحاجة لجمع التيارين القومي والإسلامى معًا، كما كان الوضع سابقًا.

وتيار الاستجابة الفاعلة وهو الذى كان أكثر تأثيرًا فى حياتنا، قد قام على تفاعل الفكر مع الواقع القائم.

السؤال الثالث: ما هى القضايا الأساسية التى طرحتها هذه التيارات الفكرية المعاصرة؟

الدكتور صدقى الدجانى: لقد شغلت هذه التيارات الفكرية المعاصرة بكل ما يشغل الأمة، وما كان يشغل الأمة منذ بداية الغزوة الأوروبية هو: شاغل التحرير بعد الاستعمار، وشاغل توحيد طاقات الأمة بعد أن جزأها الاستعمار، وشاغل النهوض والذى يتجلى فى ممارسة الشورى، ويتجلى فى تحقيق العدل، والقضاء على الاستبداد، ويتجلى فى الاجتهاد والتجدد الحضارى، ويتجلى فى محاولة اللحاق بالركب مما يمكن أن يوفر الكفاية التقنية.

كل هذه القضايا كانت محل اجتهاد تيار الاستجابة الفاعلة.

السؤال الرابع: ما هو مفهوم الحركة لديكم؟

الدكتور صدقى الدجانى: الحركة كمصطلح هى: ثمرة جهد فكرى، تلتقى عليه مجموعة من الناس، يحاولون تطبيق هذه الأفكار من خلال برنامج فكرى تنفيذى، ويكون لهذه الحركة شعاراتها ومبادئها، كما يكون لها تنظيماتها التى تنظم علاقات أفرادها بعضهم مع بعض، ويمكن أن تكون الحركة فكرية إذا اقتصرت على طرح الأفكار، وعنيت بهذا الأمر فقط.

ولكنها يمكن أن تكون فكرية سياسية تنظيمية إذا اتجهت لتنظيم الناس فى إطار معين، والمشاركة فى السياسة مشاركة مباشرة.

السؤال الخامس: هل للحركات الإسلامية المعاصرة جذور فكرية انطلقت منها ؟ أم نشأت بصورة حركية صرفة؟ وهل ولدت الحركة فكرًا؟

الدكتور صدقى الدجانى: كما وضح من الأسئلة السابقة أن هذه الحركات لها جذورها الفكرية، ويمكن

أن نتتبع التيارات الثلاثة التى أشرنا إليها.

والواقع أن من سنن التفاعل الحضارى -كما شرح علماء التاريخ الحضارى، وكما أكدنا فى دراساتنا - أن ينجم عن تفاعل الحضارة الغازية عود للتفاعل مع تراث الأمة، ولذا فإن كلا من هذه التيارات تفاعل مع تراث الأمة على طريقته.

وأنا أقف أمام تيار الاستجابة الفاعل؛ لأنه أعمل الفكر فى هذا السبيل، وأخذ منه ما هو إيجابى وفاعل.

وهل ولدت الحركة فكرا؟

نعم؛ لأنه دائما ومن خلال الممارسة يستمر تيار الفكر متدفقًا، فالحركة تبدأ بالفكر، ولكنها من خلال مسارها تولد أفكارا كثيرة.

السؤال السادس: إلى أي مدى تفاعل الفكر والفقه الإسلامى بالحالة الراهنة للعالم، وما يكتنفها من تغيرات؟

الدكتور صدقى الدجانى: قد نجد أحيانا كما نرى موقف المدرسة الانكماشية أن التفاعل على هذا الصعيد الإسلامى محدد، وأقصد بالمدرسة الانكماشية أولئك الذين لم يشاءوا أن يواجهوا تحدى الحضارة الغازية إلا بالفرار منها والعودة إلى الماضى.

فيمكن أن نرى هنا أن التفاعل كان محدودا، أو نلاحظ هذا فى عدد من الكتب التى صدرت من كتب التراث، وفى مقدماتها تلك التى تحاول أن تعود بنا إلى زمن مضى فى نظرتها للأمور، ونسبة ليست قليلة مما ينشر ينتسب إلى هذا.

ولكننا حين ننعم النظر فيما أنجزته مدرسة الاستجابة الفاعلة نجد أن تفاعل الفقه والفكر الإسلامى بالحالة الراهنة للعالم، وما يكتنفها من تغيرات كان تفاعلا قويا، ويمكننا تتبع حصيلته على مدى القرن العشرين، فسنجد أن ثمرته مضاعفة.

وهنا تجدر الإشارة إلى ضرورة العناية بعلم تاريخ الأفكار الذى يتتبع هذه الخطوط؛ فالواقع أن لدينا محاولات جادة على صعيد الفقه للتعامل مع كل قضايا العصر، وما استجد من معاملات.

ونستحضر هنا عددًا من العلماء الفقهاء الذين أسهموا فى حركة التجديد هذه، والواقع أنهم قاموا بأعمال الفكر لينهض الفقه بواجبه، وقد استخدم البعض تجديد الفقه، مما أثار حساسية عند البعض الآخر.

على كل حال فالذى نحتاجه كما أفهمه هو: مدرسة فقهية معاصرة، تحترم ما سبقها، وتستفيد منه، ولكنها لا تبقى أسيرة له، وإنما تنهض بمسئولياتها لمعالجة أوضاعنا الراهنة، وقد تداعى إلى الخاطر عدد من الأسماء التى أسهمت فى هذا بشكل طيب.

كذلك الأمر بالنسبة للفقه الإسلامى الذى أعطى جهدا كبيرا فى فهم العصر، وطرح رؤى نابعة من مرجعيتنا الإسلامية، ومستفيدة من حضارتنا.

والحق أننا نستطيع أن نستقرأ عددًا من الأسماء التى أعطت عطاء متميزًا، والأمر يقتضى كما قلت أن يبذل جهد فى تاريخ الأفكار.

وعلم تاريخ الأفكار كما هو معلوم هو ذلك العلم الذى يتتبع الأفكار التى أثرت فى حياة الناس في خلال فترة من الزمن؛ لنرى كيف برزت ؟ وما هى منابعها ؟ وما تأثير الأدب والفن والفكر والفقه ؟ إلى آخر ذلك فيها.

السؤال السابع: إلى أى مدى تأثر الفكر الإسلامى المعاصر بالتيارات الفكرية العالمية؟

الدكتور صدقى الدجانى: إلى مدى لا بأس به، وإلى حد ليس بالقليل، وهذه طبيعة الفكر الحى، وهو يتأثر وهو يؤثر.

ولقد اطلع هؤلاء الذين أسهموا فى الحركة، على الفكر المعاصر فى مختلف الدوائر الحضارية فتفاعلوا معه، ونلاحظ أن كثيرين منهم مروا بموقف انكماش لم يطل، وموقف انغماس لم يطل، ولكنهم استقروا فى موقف الاستجابة الفاعل، فأفادوا كثيرًا، وتأثروا وأثروا.

السؤال الثامن: هل بدأت بعض الأفكار الإسلامية تطرح على الصعيد العالمى، وما أهم مجالات الحوار التى دخلت فيها مع الفكر الآخر؟

الدكتور صدقى الدجانى: الجواب نعم بدأت بعض الأفكار الإسلامية تطرح على الصعيد العالمى. والمتابع للمؤتمرات الدولية يجد شوقا عند بعض الحضارات الأخرى وبخاصة الحضارة الغربية لمزيد من التعرف على الأفكار الإسلامية المعاصرة، وباعتبارى واحد من الذين أسهموا فى مثل هذه المؤتمرات مع كثيرين من أخوتى، كنت ألاحظ هذا الشوق، وهذه العناية ، خاصة مع تفاقم أزمة الحضارة الحديثة ، التى بدأت تهدد بمخاطر تتعلق بأمننا الأرض والبيئة، وتتعلق بطغيان الإنسان لأخيه الإنسان.

فمثلا موضوع معالجة أزمة القيم،

شغل بـه عدد من المفكرين المسلمين، منهم مالك بن نبى الذى تحدث عن أزمة القيم التى عانت منها الحضارة الغربية فأدت إلى حربين عالميتين طاحنتين، ثم إلى إشعال عشرات الحروب فى بلاد العالم الثالث بعد ذلك، لتبدأ الحرب الباردة بين المعسكرين.

ومن هنا نستطيع القول: إن الفكر الإسلامى على صعيد القيم يلفت النظر إليه، كما أن المسلك الإسلامى على هذا الصعيد فى نطاق الأسرة، ونطاق العناية بالطفل، والمسنين يلفت النظر، بعد أن جدبت الحضارة الغربية.

كذلك الأمر بالنسبة للاقتصاد بعد أن ظهرت مخاطر الربوية والربا، ظهرت المصارف الإسلامية الآن، والمعاملات الإسلامية تلفت أنظارا كثيرة، ويجب تتبع هذه التجربة وبخاصة حين برز بيننا مفكرين اقتصاديين فهموا حركة الاقتصاد الحديث، وبدأوا يتعاملوا من خلال هذا الفهم مع القضايا الاقتصادية.

فالمجالات كلها مطروحة مع الفكر الآخر اقتصادية كانت، أو اجتماعية، أو سياسية، أو ثقافية.

السؤال التاسع: هناك تشابها شديدا فى المشكلات والأطروحات المعروضة على الفكر الإسلامى فى بداية القرن مع تلك المعروضة فى نهايته، ما مدى صدق هذه الملاحظة؟ وما أسبابها؟

الدكتور صدقى الدجانى: هذه ملاحظة صادقة، ونافذة، وأسبابها أن التغير والتطور الحضارى يستغرق وقتا؛ ولذا علينا أن نفكر ونميز بين الاشتغال بالحدث اليومى، وبين الاشتغال بفترة تاريخية مليئة بالأحداث تمثل مرحلة حضارية، فالأمر إذن طبيعى.

ولكن هذا لا يعنى أن التشابه قائم من كل وجه؛ فالقضايا قد تبقى هى هى، ولكن طريقة تناولها تتغير وتتطور. وقد شرحت هذا فى كتابى تجديد العصر، فضربت مثلاً له عن تطور الفكرة القومية خلال قرن من الزمن، كيف كان التعامل معها منذ بداية القرن إلى اليوم، مع أن الموضوع هو هو، ولكن مع الزمن يحدث التطور. ويمكن أن نتتبع هذا مع كل مشكلاتنا وأطروحاتنا، وهناك أسباب لتشابه القضايا، فالتغير الحضارى يأخذ وقتا حتى تعالج هذه القضايا، وينظر فى قضايا أخرى.

أما لماذا يحدث التطور فى معالجتها،

فهو من سنن الحياة؛ لأن الظروف تتطور هى الأخرى، ولأن لدى الإنسان رغبة أكيدة فى التغيير.

ومن هنا يجب التفرقة بين التغيير والتغير، فالتغير يحدث بفعل الظروف المحيطة، والتغيير فيه عامل الفعل الإنسانى.

وكذلك الفرق بين التطور والتطوير، فالتطور يحدث عبر عدة القرون، ولكن التطوير المستمر يكون فيه دائما جهد الفعل الإنسانى.

السؤال العاشر: ما هى أهم التحديات التى تواجه الفكر الإسلامى المعاصر فى مطلع القرن الواحد والعشرين؟

الدكتور صدقى الدجانى: لقد سبق لنا أن حددنا هذه التحديات عند مطلع القرن، وأعدنا النظر فيها عند منتصف القرن، سنجد أن الفكر الإسلامى يجابه تحديا كبيرا، وهو أن يستجيب لمتطلبات النظر فى كل أحوالنا، ويبدع أساليب جديدة تصل بنا إلى بلوغ أهدافنا فى مشروعنا الحضارى الإسلامى الذى يتضمن هدف تحريرنا، والقضاء على بقايا الغزو الاستعمارى، والخروج من الشكل الجديد الذى تحاول هذه الدول أن تضعنا فيه، وهو نوع آخر يختلف عن الاستعمار، وهو عهد العولمة ، هذا هو التحدى الأكبر.

وهذا لا يكون ولا يستجاب له إلا بالفكر الذى يعتمد حرية الكلمة، ويثق بقدرة الإنسان من خلال الانطلاق من المرجعية الإلهية، بإعمال الفكر والنظر، وإمعان النظر فى الأصول المختلفة.

وهذا يعنى ضرورة التجديد والحقيقة أن الفكر الإسلامى بعد أن ينهض على صعيد دائرته، فهو مدعو لأن يستجيب للخطر الذى يهدد عالمنا بفعل استخدام قوى الهيمنة، وهو مدعو أن يلتقى مع كل القوى فى عالمنا.

وهذه المواجهة كما أنها نابعة من خصوصية حضارتنا، فإننا سنجد كثيرين فى دوائر الحضارات الأخرى استشعروا هذا الخطر، ومن هنا فالفكر الإسلامى مدعو إلى الانفتاح، وإلى المبادرة على هذا الصعيد.

قضية التجديد قضية أساسية، ونحن من حضارة استنارت دائمًا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها دينها».

ففى إطار دائرتنا هذه: الفكر مدعو

لأن يواجه منابع الاستبداد، ويتابع الجهد لسيادة الشورى، ولا بأس أن يستفيد من تجارب أخرى عرفت فى الغرب باسم الديمقراطية فى الإجراءات.

ومن الضرورى أن نحترم حرية الفكر، وحرية الكلمة، وفكرنا مدعو لأن يستجيب لقضية التنمية، والكفاية، والنهوض فى مختلف المجالات.

ومدعو إلى أن يحقق انطلاقة ثقافية أصيلة تستفيد مما فى عالمنا، لكن لا تكون أسيرة التغريب، ومعركته ستكون مستمرة مع محاولات قوى الهيمنة.

وباستطاعتنا أن نستفيد من حقائق العصر بما فيه من ثورة اتصال، ونؤصل ونأخذ ما هو صالح من أجل الحفاظ على كرامة الإنسان وحرية الإنسان.

وتذكروا دائمًا أن الله سبحانه وتعالى وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلكم، واستعمرهم فيها.

ومن هنا كان تطلعنا لاستخدام مصطلح العمران؛ ليكون تعبيرًا عن البناء وتوظيف المنجزات الحضارية لما هو مفيد للإنسان؛ لأن بعض هذه المنجزات اليوم توظف ليخرب أمنا الأرض، ويؤذى الإنسان، ويكفى أن نشير هنا إلى أسلحة الدمار الشامل.

والثقة كل الثقة فى الفرد المسلم المؤمن، وفى الحضارة الإسلامية التى يستطيع الإنسان أن ينتمى إليها أيًّا كان قومه، وكانت ملته، فحضارتنا يشارك فيها أقوامًا عدة من غير العرب، وشاركت فيها ملل عدة إلى جانب المسلمين، هؤلاء جميعا قادرون على أن يسهموا إسهامًا كبيرًا فى عالمنا فى القرن القادم، وبقية القرن الخامس عشر الهجرى، والله معنا، ولن يترنا أعمالنا ما دمنا نعمل الصالحات، ونتواصى بالحق، ونتواصى بالصبر.

❖❖❖

بسم الله الرحمن الرحيم

وقف المستشار الدكتور محمد شوقي الفنجرى
لصالح جائزة خدمة الدعوة والفقه الاسلامى
ناظر الوقف : المستشار رئيس هيئة قضايا الدولة
بالدور العاشر بالمبنى الحكومى المجمع بميدان التحرير القاهرة
فاكس ٣٥٤٤٥٩٥

التاريخ : يناير سنة ٢٠٠٠
الموضوع : مسابقة عام ٢٠٠١

السيد الأستاذ/ رئيس تحرير مجلة المسلم المعاصر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

** ***يسعدني*** أن أحيط سيادتكم علما بأن اللجنة المشكلة بموجب حجة وقف المستشار/ د٠ محمد شوقى الفنجرى لصالح جائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامي بجلستها المنعقدة فى أول يناير ٢٠٠٠ ، قد قررت بالنسبة لمسابقة عام ٢٠٠١ مايلى :-

أولا: تخصيص مبلغ ٣٠٠٠٠ جم (ثلاثون ألف جنية) جوائز أصلية لاحسن البحوث فى أحد الموضوعات التالية :

(١) ***التجديد فى الفقه الإسلامي*** ٠

(٢) ***ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك {المشكلة والحل}*** ٠

- وذلك بحد أدنى قدره ٢٠٠٠جم ألفى جنية لكل جائزة أصلية٠

ثانيا: تخصيص مبلغ ٢٠٠٠٠جم عشرون ألف جنية جوائز تشجيعية للبحوث الجيدة غير الفائزة بالجوائز الأصلية فى أحد الموضوعين سالفي الذكر، وذلك بحد أدنى قدره ١٠٠٠ جم ألف جنية ٠

** **ويقدم** البحث بموجب إيصال فى ميعاد غايته ٣١ مارس عام ٢٠٠١ ، إلى مكتب ناظر الوقف الأستاذ المستشار **رئيس هيئة قضايا الدولة** بالدور العاشر بمجمع التحرير بالقاهرة ، وذلك من عدد ٣ ثلاث نسخ بما لايقل عن مائة صفحة ولا يتجاوز مائتين ، مع ملخص له من عدد ٥ خمس نسخ بما لا يقل عن عشرة صفحات ولا يتجاوز عشرين صفحة ٠

** **ويشترط** فى البحث أن يكون معدا للمسابقة ولم يسبق نشره أو تقديمه لأية جهة أخرى ، وأن يكون متميزا ويتضمن إضافات واجتهادات جديدة تنفع الإسلام والمسلمين ، وألا يكون صاحبه قد سبق له الحصول على جائزة أصلية فى المسابقة خلال ثلاث سنوات سابقة لإتاحة الفرصة لغيره ٠ وللجنة شئون الوقف طبع أى بحث فائز متى قدرت ذلك دون أى حق قبلها ٠

** **ويقام** حفل توزيع الجوائز كالمعتاد بالنادي النهري لهيئة قضايا الدولة بشارع أبو الفدا بالزمالك يوم الخميس الأخير من شهر يونيو من كل عام ٠

** **رجاء** التكرم بالتعميم والنشر ، شاكرين لكم تعاونكم مع خالص التحية والتقدير ٠

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ٠

تحريرا فى : يناير سنة ٢٠٠٠م٠
نادية/٠٠

رئيس
هيئة قضايا الدولة
وناظر الوقف
المستشار

(إبراهيم محمد رفعت إبراهيم)

رؤى وحوارات

حركة الفكر الإسلامى المعاصر خلال القرن العشرين

أ. د : سيد دسوقى(*)

السؤال الأول: متى بدأت المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى المعاصر، وما العوامل التى أدت إليها؟

الدكتور سيد دسوقى: بدأت هذه المرحلة بصدمة الاستعمار المتفوق حضاريا مع الحملة الفرنسية وما بعدها، وقد كنا قبلها نشعر أن مشاكلنا الداخلية ملك لنا، ومشاكلنا معهم نحلها بالسيوف الممشوقة، ولما تبين لنا أن السيوف بضاعة قديمة، وأن الغرب جاءنا على متن حضارة لا عهد لنا بها، بدأ إحساسنا بالمعضلة.

وأعتقد أن محمد على أحس بالمشكلة بطريقته فأرسل البعوث بحثاً عن هذه الحضارة.

نحن قبل الحملة الفرنسية كان لنا نمط حياة، يختلف عن نمط الحياة الغربى، فالعلوم البرانية: الكيمياء والفيزياء والهندسة كانت متقدمة عندهم بينما هى متخلفة عندنا، لكننا كنا نظن أن هذه العلوم ما دامت لم تؤد إلى تفوق عسكرى فلا حاجة لنا بها.

(*) - من مواليد المرج - القليوبية - مصر ، فى ٧/ ١١/ ١٩٣٧ .
- حاصل على الدكتوراه فى هندسة الطيران من الولايات المتحدة الأمريكية ، سنة ١٩٦٥م .
- أستاذ متفرغ لهندسة الطيران والفضاء - جامعة القاهرة ، ورئيس شعبة المركبات الفضائية بأكاديمية البحث العلمى ، وعضو المجلس الأعلى للفضاء بالأكاديمية ، ورئيس شعبة الهندسة الميكانيكية بنقابة المهندسين ، ورئيس اللجنة العلمية بالنقابة .
- أهم الأعمال الفكرية : ثغرة فى الطريق المسدود ، مقدمات فى البعث الحضارى ، مقدمات جديدة فى البعث الحضارى ، دراسة قرآنية فى فقه التجدد الحضارى ، تأملات فى التفسير الحضارى للقرآن الكريم .

وأما طعامنا، وشرابنا، وطرائق حياتنا كلها فكانت تتم بطريقتنا، ولم نكن نظن أن الغرب يملك خيرا منها، إلى أن جاءت هذه الحملة الفرنسية، وأظهرت أن الغرب يملك نمطا حياتيا جديدا متفوقا علينا، يمكن أن يدمرنا تدميرا، ويمكن أن يعوقنا عن أى تقدم إسلامى.

ومن هنا بدأ -كما قلنا- الشعور بالمعضلة، أننا نملك شيئا متخلفا عن العالم، وشيئا قد يضر بعقيدتنا، ويضر بديننا؛ لأن هذا الذى يرى نفسه متفوقا يمكن أن يأتينا بما شاء، ويمكن أن يحيطنا بجنوده من كل مكان.

ومن ثم أصبح هذا التهديد وهذا التحدى واقفا أمامنا لا ندرى ماذا نفعل فيه، وماذا نفعل به؟!

وأظن أن محمد على انتبه إلى هذا – كما قلت– وبدأ يرسل الوفود والبعثات لعلها تأتيه بقبس من هذه الحضارة الغربية .

الحقيقة أنّ حَدَثَ الحملة الفرنسية كان حدثًا فارقًا فى تاريخنا؛ صحيح أنه لم يأتنا بحضارة، ولكنه نبهنا إلى وجود شىء لا نملكه، وهو شىء مهم جدًّا وهو وجود حضارة لها تفوق مادى، أدى تفوقها المادى إلى تفوق عسكرى، ومن ثم إلى هيمنة عظيمة.

السؤال الثانى: ما أهم تيارات الفكر الإسلامى المعاصر خلال القرن العشرين ؟ وما أهم عناصر كل تيار من تلك التيارات؟

الدكتور سيد دسوقى: فى الحقيقة أنا سأبدأ من الأصول، وأقول: إن الأفغانى بدأ يستحث الهمم بخطاب إسلامى، وكان هذا دوره.

محمد عبده بدأ يعيد النظر فى المنظومة الثقافية المرتبطة بالإسلام، وينفض عنها ركام السنين من جهالات وظلمات، وتلامذة الأفغانى فى الإحياء السياسى قاموا بجهد كبير، وتلامذة محمد عبده فى الإحياء الثقافى قاموا أيضًا بجهد كبير.

نقل رشيد رضا أستاذه إلى العلماء، ونقل حسن البنا محمد عبده إلى الأمة جميعًا، ولعب الاستشراق دورًا استفزازيًّا علميًّا، ولعب التعليم الحديث بتفاعله مع التيارات الصاعدة دورًا عظيمًا فى عملية الإحياء، وأصبحت الجامعات التى أنشئت لتكون مقرًّا ومستودعًا للعلمانية هى المصدر الرئيسى للشباب الذى يحمل رسالة الإسلام.

وكان لظهور مالك بن نبى فى

الخمسينيات وما بعدها، دور فى بلورة الفكر من منظور اجتماعى متكامل. هذه هى المعالم الأساسية.

ومنذ السبعينيات وحتى الآن بدأت مجموعة من المفكرين المصريين تتجمع وتلتقى ، وكان للشيخ الغزالى (رحمه الله)، والأستاذ عبد الحليم أبو شقة دور مهم فى هذا الاتجاه.

كما أن ظهور المعهد العالمى للفكر الإسلامى لعب دورًا تحفيزيًّا بما وفره من إمكانات لبعض العاملين.

ومع أن الذى أشرنا إليه ظل هو السائد، إلا أن بعض التيارات الجانبية بدأت تقوى بطريقة مريبة، من أقصى الظاهر إلى أقصى الباطن، جماعات تعطل القرآن، وجماعات تقدس الأولياء.

السؤال الثالث: ما هى القضايا الأساسية التى طرحتها التيارات الفكرية المعاصرة؟

الدكتور سيد دسوقى: لو نظرنا إلى الخريطة بوجه عام، نلحظ أنها بدأت بالاستفزاز الغربى للعالم الإسلامى، وظهور الأفغانى العبقرى، ودوره فى إثارة الأمة وتنبيهها إلى مكامن الخطر، وربط ذلك كله بخطاب إسلامى مبين .

وأهم تلاميذ الافغاني فى القرنين التاسع عشر، والعشرين هو الإمام محمد عبده، الذى يقول عنه محمد أسد فى ترجمته لرسالة القرآن: إن هذا الرجل سيظل أثره فى كل التوجهات الإسلامية لقرون تأتى فيما بعد.

وقد كان الشيخ محمد عبده -بالفعل- علامة صادقة فى تاريخ الأمة بتكوينه الثقافى السلفى الصوفى، وبعقليته الفذة العبقرية.

ومن أجل أن تحس بالإمام محمد عبده، وأن تُدرك ما فعل انظر إلى الأزهر فى تلك الفترة، انظر إلى الحركات الصوفية آنئذ، انظر إلى الحركات التى تسميها حركات نصوصية فى هذه الأيام، لترى أن الرجل استطاع أن يخلّص العقل المسلم من جهالات الباطنية الصوفية، ومن ضيق أفق الحركات النصوصية، ومما اعترى القرآن وتفسيره من جهالات فى التاريخ الإسلامى كله، فكثير من الأفكار التى بين أيدينا استمد أصولها من التوراة ومن التلمود، يظهر هذا فى الإسرائيليات التى انتشرت فى تفسير القرآن الكريم، وأصبحت هى السائدة.

فكان للإمام محمد عبده دور عظيم فى تخليص الأفكار الإسلامية من كل

هـذا، ونقل تلميذه رشـيد رضـا هذا التراث والفكر إلى العلماء.

وجاء تلميذه حسن البنا ، أو تلميذ رشيد رضا؛ لأن البنا لم يصاحبه، فهو تابعي بالنسبة إلى رشيد رضا، وحسن البنا تظهر عبقريته فى أنه نقل هذه الأفكار وحمّلها الأمة كاملة.

وفكرة الإسلام دين ودولة حملها ودافع عنها فى رسالة دكتوراه: الدكتور عبد الرزاق السنهورى، ولكن الدكتور السنهورى نفسه نسى الفكرة، وهو وإن كان قد صنع منها كتابه فى الخلافة، وكتب ضد على عبد الرازق، ولكنه عندما عاد إلى مصر وتوفى بها تذكر الناس أن له كتابًا يتحدث عن ذلك، وجاء الدكتور الشاوى ونفض عنه الغبار، وترجمه، وإذا بالرجل فى العشرينيات طرح نفس أفكار حسن البنا، فقد كان السنهورى عالمًا وأستاذًا قانونيًا، ولكنه لم يكن ليحمل الفكرة حتى لتلامذته هو، وقد كان من تلامذته حسن البغدادى وسعيد النجار وغيرهما؛ ولكنّ واحدًا منهم لم يحمل الفكرة عنه.

فهذا يُظهر لك دور حسن البنا العبقرى، وأنه دور ربانى، أتاحه له ربه، وأعطاه كل هذه القدرة العجيبة ليحمل الفكرة إلى الناس.

وإذا كانت الفكرة عند محمد عبده، وفى عقول بعض المفكرين، فإنها خرجت عند حسن البنا لتصبح فكرًا مصريًا، أولاً ثم عربيًا، ثم عالميًا.

ونحن الآن ننظر إلى أفكار حسن البنا على أنها أفكار بسيطة، ولكنها فى وقتها كانت عظيمة جدًا؛ كانت صياغته للاهتمامات الإسلامية، وأولويات العمل الإسلامى صياغة موفقة للغاية، وكذلك نظرته إلى القومية وإلى الوطنية، وعبقريته تتضح فى تحويل ذلك كله إلى أفكار بسيطة للغاية يفهمها العبقرى، ويفهمها البسيط، ويحملها هذا وذاك.

ولذا فأنا أعتقد أنه لو قلنا: إن هناك شخصية محورية فى التغيير الإسلامى فهى شخصية الأستاذ البنا رحمة الله عليه، والدليل على أن هذا العمل كله كان من عند الله أنه مات صغيرًا جدًا، بعد أدائه لهذه المهمة.

وقد شغله رحمه الله أمران: شغلته الفكرة، وشغله تحرر الوطن؛ أى أنه حمل رسالة الأفغانى ورسالة محمد عبده فى الوقت نفسه؛ ومحمد عبده اهتم فى أواخر حياته بالقضية التعليمية والثقافية

وأعطاها حياته، بينما البنا كان ذا شقين شق أفغانى، وشق يمثل محمد عبده، وعاش يتمثل الاثنين، وإن غَلَّبَ أحدهما على الآخر فى بعض الفترات، إلا أنه رضى الله عنه شُغل كثيرًا بالتحرر الوطنى من الاستعمار ومقاومة الاستبداد.

ومن وجهة نظرى كنت أرى أنه لو ترك هذا واهتم بالعملية الثقافية ربما كان ذلك أفضل؛ ولكن لعلّ الله تعالى -وهو علاّم الغيوب- يعلم أنه لو فعل هذا ما التف الناس حوله، بل لعل التفاف الناس من حوله يرجع إلى اهتمامه بقضايا رئيسة تهم الناس جميعًا، ولذا فهو رضى الله عنه حينما جمع الناس جمعهم بالوطنية، وفكرة الاستقلال: الاستقلال الاقتصادى، والثقافى والعسكرى، فكل ذلك أدى إلى شيوع فكرته وانتشارها بين الناس.

أما السنهورى فربما أنه لم يكن مستعدًا لأن يخوض فى مثل ذلك كله؛ فهو أستاذ أكاديمى يجلس فى مكتبه، يكتب النظريات، أما الجماهير وتحويل قطارها وقطار الأمة من قطار متوجهٍ وبسرعة غريبة إلى الغرب، إلى قطار يتوجه إلى القيم الإسلامية والآداب الإسلامية، فلم يكن له إلا البنا.

وكل المجموعات الفكرية الحالية تعتبر من مدرسة حسن البنا - أقصد المجموعات الفكرية فى الحركة الإسلامية من طارق البشرى إلى جمال عطية، ومحمد الغزالى وغيرهم، ولم نأت بجديد إلا تفصيلات.

فحسن البنا رحمه الله قام بعملية التحويل، وهى كانت البداية الفعلية لتوجهنا نحو الخطاب الإسلامى، فيبدأ مثلى بالاهتمام بالقرآن والتحدث عنه، والأستاذ البشرى يتحدث عن التاريخ، والأستاذ محمد عمارة يتناول قضايا أخرى وهكذا...

فكلّ بما حباه الله من علم ومن فكر يؤدى رسالة فى هذا الطريق، فلا علامة مميزة فى الطريق بعد «تحويلة» حسن البنا، إلا علامة مالك بن نبى، وهى كانت مكمِّلة؛ فالأستاذ مالك -باعتبارى قد نشأت بثقافة إخوانية- حينما قرأتُ لأول مرة أحد كتبه، وجدته يضيف أبعادًا أخرى، مثل البعد الاجتماعى؛ فالبنا كان اهتمامه منصبًا على الشخصية الإسلامية، والقضايا الإسلامية العامة، والقضايا النهائية كالاستقلال السياسى والاقتصادى.

أما مالك بن نبى فرأى أن هناك جذورًا اجتماعية لكل هذا، وأن التخلف ما هو إلا ظاهرة اجتماعية لا بد أن نقاتله فى نفوسنا، وكان هو - مالك بن نبى - أول من تحدث مكملاً رسالة حسن البنا حينما تحدث عن الاستعمار والقابلية له، ورأى أن الذى ينبغى أن يُحارب -بداية - إنما هو القابلية لذلك الاستعمار، قبل الحديث عن الاستعمار نفسه.

وضع الأستاذ مالك -أيضًا - المعادلة الشهيرة، وهى أن الإنسان يتفاعل مع الوقت، فكل الأمور تحتاج إلى وقت، كما أنها تحتاج إلى بيئة، والدين فى ذلك كله هو العامل المساعد الذى يُشرف على التفاعل ولا يتأثر به.

وهو يعنى بذلك أن هناك أركانًا ثابتة للإسلام لا تتغير من وقت إلى آخر، فهى ثابتة طول الوقت، وهو صاغ من ذلك معادلة جميلة: (الإنسان + التراث + الزمن) / الدين = الحضارة.

فدور الدين واضح، ولا بد أن يكون لديك تراث، مهما كان حجم ذلك التراث، ولديك زمن، أو عامل الوقت، ومن هنا كان تنبيه الآية الكريمة على الزمن وتفاعلنا معه: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٩].

وقد تناولت هذه الآية بالتعليق ذات مرة وقلت: الحقيقة أن الجوهر أو الفكرة المضمنة فى هذه الآية هى أنها قرية خاوية على عروشها بمعنى أن كل عروشها منهارة: عرش اقتصادى، عرش عقيدة، عرش كذا، كذا، أماته الله مائة عام ثم بعثه، فبعد البعث كانت هناك أمور متغيرة، ومع ذلك تصور المائة عام على أنها أربعة أو خمسة أيام، فهناك جيل يكتشف الخطأ، جيل يشعر بالمصيبة، وجيل يبحث عن الخطأ أين هو وأين مكانه، جيل يصف هذا الخطأ، ويبدأ وصف الدواء له، وجيل يتجرع هذا الدواء، فالأمور هكذا، وهى تحتاج إلى زمن.

ولعل ذلك يرد على السؤال: ماذا حدث بعد مرور مائة عام، فهذه قضية مهمة، أن هناك من الناس من يستعجل الأمور، ولا يدرك أن هناك عملية تفاعل بين الإنسان وبين التراث وبين الزمن، وهى أمور تحتاج إلى وقت، والزمن هنا مخلوق من مخلوقات الله تعالى.

السؤال الرابع: ما مفهوم الحركة لديكم ؟

الدكتور سيد دسوقي: فى الحقيقة الحركة عندى طيف، لكل عنصر فيه رجال، فمثلاً حركة الإخوان أو الحركة الشمولية أدت دورها بنجاح باهر من حيث قيامها بتحفيز الأمة، والعودة بقطارها إلى الاتجاه الإسلامى.

ولكن يؤخذ عليها إصرارها على أن تظل حركة شمولية هكذا، كل الناس فيها، وكل الناس موجودون فيها متراكمون داخلها.

كتبت كثيرًا حول هذا، واقترحت التغيير أن يكون هناك طيف من الحركات، مثلاً: حركة لإحياء الأمة العربية، وهذه فى حد ذاتها مهمة للغاية؛ فأنت إذا أردت أن تقوم بحركة إحياء إسلامى فلا بد أن تصاحبها حركة مع القرآن، أن يفهم الناس القرآن، فلن تحيى الأمة إلا بالقرآن، وأعتقد أن هذه حركة سوف تلقى موافقة من الدول ومن الجهات الأمنية فيها، بل ربما أرسل رجال الدولة أبناءهم فيها.

يمكن أيضًا أن تكون هناك حركة لتصحيح السلوك، حركة لتصحيح العقيدة والعبادات، مثل الحركات السلفية، ولكن من دون ربط الناس بهم، وإنما يعتبرون أنفسهم مدارس، فأنا حينما أدخل إلى مدرسة الأخ الدكتور أسامة عبد العظيم وأتعلم منه بعضًا من العبادات والعقائد يكفى، فليس من الضرورى أن أصل الليل بالنهار عنده، فهذا أسلوب خاطئ.

ومن الممكن أن تكون لدينا عشرة مناهج طالما كانت متقاربة ومتسعة تؤدى للإنسان، وتؤدى به إلى شيء طيب.

حركة - مثلاً - باسم التصحيح السياسى؛ فالسياسة فى مصر نجدها عند الحزب الوطنى، أما عند غيره فلا، ولن تجد سوى الملاحقة والضرب والإهانة؛ فالدولة الآن هى المركزية، وتحتل منزلة العتو والسيطرة، فلا يمكن أن تلوى ذراعيها -رغمًا عنها- لتجبرها أن توافق علي حزب ما كالوسط أو الشباب مثلاً، فهم سيتركونك فترة من الزمن ثم بعد ذلك لن يستجيبوا لك، فالطريق عندهم فى هذا الاتجاه مغلق تمامًا. فلا مجال لممارسة السياسة إلا من قبل الحكومة، والحكومة يتبعها الحزب الوطنى، ومن أراد أن يمارس السياسة

فعليه اللحوق بالحزب الوطنى، وقبول شروط الحزب الوطنى، وحينئذ يصبح موظفًا له مرتب كبقية الموظفين، وهذا ما لا نقبله.

أما فكرة أن تقيم أحزابًا فى مصر فى وقتنا الحالى، فمصر غير مسموح فيها بالأحزاب أما هذه الأحزاب الظاهرية فما هى إلا ديكور جميل، من أجل إرضاء الغرب الكذّاب -أيضًا - الذى يتجمل بأنه لديه أحزابًا حرة.

وقد عشتُ بالغرب سنين عددًا، وحقيقة لا شورى هناك، ولا ديموقراطية، وإنما قوى كبرى، حتى أمريكا نفسها تجد فيها مافيا سياسية واقتصادية وغيرهما.

ولقد كتبت مقالاً ضمنته كتابى الصغير المعنون «دراسة قرآنية.. فقه التجدد الحضارى»، هذا المقال كان عن الإصلاح الشُّورِىّ، وهذا الكتاب من وجهة نظرى مهم جدًا، على الرغم من أن كثيرًا من الناس لم يقرأه، ولكن فى آخر الكتاب تحدثت عن الإصلاح الشُّورِىّ، وفى الحقيقة أن الشُّورَى لا تقبل الشكلِ الفوضوى، وإنما لا بد لها من جذور.

وإنما لا بد للأمة أن تتحول إلى مجموعة من القبائل: قبيلة مهندسين، قبيلة أطباء، قبيلة علوم سياسية، قبيلة محامين، قبيلة المسيحيين، قبيلة المسلمين، قبيلة اليهود، قبيلة الكفرة والعلمانيين... وكل قبيلة لها نقابة، وكل نقابة تبحث وتنظر فيما يحسِّن الخدمة، والتكتلات تمثل فى الحقيقة النقابات، فالأفراد المنتخبون من المهندسين أو الأطباء أو غيرهم إنما هم ممثلون للأمة من ورائهم، هذه الأمة تحمّلهم رغباتها وتحملهم ما تريد.

فلو آمن الناس بما نقول، وأقاموا على ذلك مجموعة إصلاحية تكون مهمتها أن تخاطب الدولة كى تدع الناس يتكتلون دون عصبية، ولو نظرنا إلى التاريخ سنجد أن القبائل كانت تخرج فى العهد الأول كل قبيلة تحت رايتها، كل قبيلة تُخرج رجالها.

إذا حدث ذلك فسأطمئن حينئذ إلى تفعيل الشورى فى حياتنا؛ لأن هذه التكتلات ستخرج منها ممثلين، هؤلاء الممثلون يخرجون فى برلمان واحد، هذا البرلمان يشرّع للأمة، ويراقب الحكومة، والحكومة ترجع إلى برلمانها، وتناقش أفراده المنتخبين، إن كانت هناك ثمة عوائق، وهؤلاء الأفراد يرجعون إلى

نقابـاتهم.. وهكذا.. تتفـاعل الأمـة مع نفسها.

فالجماعـة إذا قـامت ينبغى ألا تدخل فى أعمـدة السياسـة، وإنما تتكلـم عن الإصـلاح السياسـى؛ فهنـاك فـرق بين الإصـلاح السياسـى والمنافسـة السياسية. فحينمـا يتبنـى مجموعـة مـن المفكرين السياسيين فكرة مـا فليدافعوا عنها، وأنا لا ينبغـى أن أدخل معهـم فى منافسـة، ولكـن أدعو إلى الإصـلاح السياسـى، وتظل العملية مستمرة...

وهكذا تتحول الحركـة الإسلامية إلى مجموعـة من الحلقـات الملتصقـة كلها فى اتجاه واحد: بعضهـا فى صورة مدارس، تعلّم الأمة الناس وتُخرِّج، وحينما تكون هناك جماعات نخبوية وإصلاحية تتحدث عـن الإصـلاح السياسـى وتكـون لهـا شـرعية الوجود والتحـدث فى وسـائل الإعـلام، تكـون لهـا حينئـذ كلمـة مسموعة.

تصورى للحركـة الإسلامية الآن هو ما أقولـه لـك: أنها طيـف من الحركات الملتصقـة المتكاملـة يتعـاون بعضهـا مع بعـضٍ من أجـل خـير الأمـة، وكذلك التعامل مع الدولـة، فالدولة ليست غاية، فلا زلنـا - للأسف - نعيش حول معنى أن الدولـة عـدو مبين لنـا، كيف تكون عدوًا مبينـا وهى دولتك، وهؤلاء الأفراد يمثلونـك، وعلى فـرض أنهـم عـدو مبين فمـا واجبنـا حينئـذ تجـاههم؟ هـل هو القتل: ومـاذا بعد القتل!؟ حينئذ ستصبح أنت الـذى خرج عن الأمـة؛ فنحن لدينا دولة حديثة لابد أن نحافظ عليها.

السـؤال الخامس: هل للحركـات الإسـلامية المعـاصرة جذور فكريـة انطلقـت منهـا ؟ أم نشـأت بصورة حركيـة صرفـة؟ وهل ولـدت الحركـة فكرًا؟

الدكتور سـيد دسـوقى: بعض الحركـات نشـأت من فكر، مثـل حركة الإخوان المسـلمين، وكثير مـن خريجيها أكملـوا هـذا الفكـر وطوّروه، وبعضهـا نشـأ بصورة حركيـة صرفـة مثل بعض الحركات السلفية فى مصر، فهى لم تبدأ من الفكر.

وحركـة الإخـوان هـى الحركـة الأساسية التى بدأت من فكر إسـلامى، وللأسف لا أجد لـدىّ فكرٌ منشورًا عن جماعـات الجهـاد، أو الجماعـات الإسـلامية، إلا إذا كـان فكرها مستمدًا -كما يقولون - مـن فكر الأسـتاذ سيد قطب، فيكون فكرها حينئذ معروفًا.

وقد عشت في حركة الإخوان ورأيت الفكر التحريري أيضًا، وفكر الجماعة الإسلامية في باكستان، وهي التي بدأت بفكر الأستاذ المودودي رحمه الله.

فهناك جماعات بدأت بفكر فاضل، مثل فكر الأستاذ المودودي والأستاذ البنا، وهناك جماعات أخرى نشأت بطريقة عشوائية، وبعض الأفكار السريعة غير المتسقة فيما بينها مثل فكر تكفير الدولة وتكفير المجتمع، وأنا لا أعتبر هذا فكرًا؛ وإنما ردُّ فعل على الأحوال الاجتماعية والفساد السياسي، والاستبداد السياسي، فكانت ردّ فعل، وليس فكرًا متأنيًا إصلاحيًّا.

فهؤلاء المصلحون قد استغرقوا في التفكير، ووصلوا إلى بعض القناعات، ودعوا الناس إلى هذه القناعات.

فكر جماعة الجهاد فكر نشأ ونحن في ظروف الاحتلال الإسرائيلي، والحكومة آنئذ قد أدخلت الإخوان السجون، وحدث لهم ما حدث فيها، فكان الناس في تلك الفترة ينظرون إلى ذلك كله، مما أدى بهم إلى فكر تأثر بفعل ظروف الهزيمة من السجون والاستبداد.

وهل ولّدت الحركات فكرًا ؟

نعم عند الإخوان وِلدت فكرًا، فنحن أبناء هذه الحركة، فأنا وجمال عطية، وطه جابر.. كل هؤلاء ممن كان من شباب الإخوان، ونحن حين دخلنا هذه الجماعة كانت هناك سعة؛ فالجماعة مسموح بها رسميا، وتعتبر أيامها حينذاك أيامًا زاهية، فالذين دخلوها وهي في سعة، حملوا هذه السعة في قلوبهم، ولا زالوا يعطون.

ومن رأيي لو أن هناك جهدًا فكريًا تراه الآن فهو من أبناء هذه الحركة، والغزالي - على سبيل المثال - من أبناء هذه الحركة، نشأ فيها وتربى، وهناك كثير من العناصر الناشطة والفاعلة في كثير من الاتجاهات تجدها من أبناء هذه الحركة، وحتى في الإذاعة والتليفزيون هناك عناصر واعدة كانت - أصلاً - من أبناء هذه الحركة.

والذين تخرّجوا من هذه المدرسة أصبحوا الآن ملء السمع والبصر في مجال الفكر الإسلامي، ولو نظرنا لرأينا الكثيرين منهم متأثرين بفكر هذه المدرسة حتى محمد عمارة - مع أنه لم ينشأ فيها - إلا أنه متأثر بفكرها، وهو أصلا متأثر بفكر محمد عبده، فكان الطريق أمامه واضحًا.

والأستاذ طارق البشرى لمسها عن قرب، وكتب عنها كتابًا مجيدًا؛ ولذا فجهده فى المجال التشريعى والفكرى هو امتداد لحركة الإخوان حقيقة.

أما الحركات الأخرى فلا أرى أنها ولدت فكرًا؛ فلا أعرف للسلفية فكرًا؛ بل إننى فوجئت بكتاب لفهد العودة يشتم فيه الشيخ الغزالى، وقد كتبتُ مقالاً عن السنة حاولتُ فيه أن أضبط هذا الأمر.

ولو نظرنا الآن - أيضًا- لرأينا الدكتور القرضاوى -وهو من أيام الأستاذ البنا- قدم الكثير فى الدراسات الفقهية مثل الزكاة وغيرها، وهو امتداد لهذه المدرسة؛ فالتيار الإسلامى خاض فى الطريق الذي رسمه البنا، وبدأ يؤتى أكله وبعض ثماره الفكرية، برغم المتابعة والملاحقة، وتعقب النظام الحالى لمفكرى الحركة الإسلامية.

ومن أجل ذلك نقول: إن التنظيم الحالى يجب أن يتحول إلى مجموعة من الحركات المتّسقة، ويأخذ شكل أو طابع المدارس فى العمل، وبالطبع سيكون هناك مَن يعمل بحرية، ولو أخطأ البعض منها فمن حق الدولة أن تقف ضده حتى لا يضعها فى مأزق مع نفسها أو مع الخارج، لكن نحن لم نقم بعد بالواجب الملقى علينا وخاصة فى مجال الإبداع.

كنت قد كتبت مقالة أذكر فيها مثل هذا الكلام، نشرته فى مجلة مصرية، ففوجئت بالأخ الخطيب -مع أننى لم ألتق به فى حياتى - والأخ سالم نجم أحدهما فى «المجتمع»، والآخر فى «آفاق عربية» يهاجمان هذا الاقتراح، ويدافعان عن شمولية الحركة.

وأنا كنت أقول: إن شمولية الإسلام لا تعنى شمولية الحركة، ولكن الفكر الإسلامى الآن يقتنع بأن شمولية الإسلام تعنى شمولية الحركة.

ونحن من عام ١٩٥٤م إلى الآن رأينا تقلب الحكام على هذه الحركة، فأحدهم يرى مصلحة لدفعنا فيفتح الباب أمامها، ثم يأتى حينما يرى الحركة تخطت خطوطا حمراء وزرقاء فيقف ويوقفنا.

نحن لا نريد أن يسير الأمر هكذا، وإنما أن تكون حركات أصيلة، لا حركات يفتح لها الحاكم الصندوق وقتًا، ثم يغلقه وقتًا آخر، حتى لو ضاق بها أحيانًا لا يستطيع إغلاقها؛ فليس هناك سبب موضوعى لذلك، وإنما الآن

يمكن أن يجد بسهولة أنها تنظيم جماهيرى ضخم فيرتكب كارثة فى حقها.

فينبغى أن نعيد النظر فى كل ذلك حتى يحدث الإنضاج الفكرى والرواء الفكرى؛ لأنهما لا يحدثان فى ظل التنظيم الجماهيرى هذا.

والدليل على ذلك: كم عدد الدعاة عن الإخوان على الساحة الإسلامية الآن؟ عدد قليل جدًا لا يتناسب مع حركة كبيرة مثل حركة الإخوان.

السؤالان السادس والسابع: إلى أى مدى تفاعل الفكر والفقه الإسلامى بالحالة الراهنة للعالم، وما يكتفنها من تغيرات ؟

وإلى أى مدى تأثر الفكر الإسلامى المعاصر بالتيارات الفكرية العالمية؟

الدكتور سيد دسوقى: لا جدال أنه تأثر، وأنا قلت أن كثيرًا منا - ممن تعلموا فى الغرب - هم فى الأصل من تلامذة الأستاذ البنا، وقد تأثر الكثير من هؤلاء الكتاب والمفكرين بعلومهم ودراساتهم؛ أنا شخصيًا تأثرت بمناهج وعلوم الهندسة، وأنا أفكر بطريقة تكاد تكون هندسية، فنحن نحمل المعالم الأساسية ثم نتعلم العلوم الحديثة، وهذه العلوم علّمتنا كيف نفكر، وعلمتنا ألا نقفو ما ليس لنا به علم، أن نقف عند الآيات نتدبرها، فكل حرف من القرآن جاء تشريعًا، السنة المطهرة - أيضا - جاءت لهذه المهمة.

فالأمم الغربية -حقيقة - أخرجتنا من طريقة الحفظ التى كانت تنوء بها الكثير من المدارس الدينية والمؤسسات الإسلامية من قبل، إضافة إلى الكثير من عوامل الاستفزاز التى كانت موجهة ضدنا، من قبل تلامذة الغرب، الذين أثاروا أشياء استفزتنا، جعلتنا نفكر وننظر من أجل الدفاع على الأقل.

فمن وجهة نظرى أن عوامل الاستفزاز هذه مهمة جدًا، فمجلة مثل روزاليوسف - مثلاً - مفيدة للحركة الإسلامية، بقدر ما تكتب من سب وشتائم، إلا أنه لابد أن أقف للتفكير كيف الخروج من هذا المأزق.

التاريخ الإسلامى شاهد على ما نقول، فهو فى فترات كثيرة منه يشوبه الضعف والقصور والعجز، لكن هذا ليس حجة لأن نلغى التاريخ الإسلامى حماية، كما يدعى البعض، وإنما أن نقف عند هذا التاريخ - الذى يلقى هذا الهجوم العلمانى الضارى - نستلهم منه

أحداثه الكبرى، والباقى الذى يصيبه الغبش فلا حاجة لنا به.

فأحداث التاريخ الكبرى لا بد أن نتفق جميعًا عليها.

الاستفزاز الغربى الذى نقل إما مباشرة عن طريق المستشرقين، وإما عن طريق الأوروبيين أو عن طريق تلامذتهم أفاد ولا زال يفيد.

وعلى المستوى الشخصى جعلنى أفكر بعقلانية، فإذا كان القرآن قد تحدى هؤلاء جميعًا، فطبيعى أن يعلن هؤلاء أيضا تحديهم للقرآن؛ وذلك أفادنى كثيرًا فى معرفة القرآن والتاريخ.

والقرآن على وجه الخصوص حينما أقرأه يجب أن أقرأه بعمق؛ لأنه يقول لى إنه يحمل أدوات برهانه فى داخله ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾.

وبالنسبة للتيارات الفكرية العالمية فقد تأثرنا بها عن طريق المدارس، فنحن تأثرنا بموضوع العدالة الاجتماعية، وقضية الشورى، والرأسمالية.

والفكر الإسلامى يتميز بردود الأفعال، ففى زمن طغت فيه الاشتراكية بحثنا فى تراثنا، وجدنا أن هناك توجهًا واضحا وهاما فى ناحية العدالة الاجتماعية، فأثبتناه إلى الدرجة التى اندثرت معه الاشتراكية، وأصبحت فى الأسواق البائدة.

نحن - للأسف - أمة محكومة بما حولها، لا تملك من أمرها شيئًا، وكل حكام العرب والمسلمين هكذا، فالواقع يفرض أن يكون هناك تأثير بما يدور حولنا، ونحن بشر نتأثر ونؤثر، إلا أننا إلى الآن لم نؤثر فى العالم، وإنما الإسلام دخل إلى القوى الكبرى عن طريق الفراغ الروحى عند هؤلاء البشر، أو من الناحية الاجتماعية حينما كانت تحدث التفرقة العنصرية -كما فى أمريكا- فالإسلام دخل إلى هؤلاء إما عن طريق الفراغ الروحى الموجود عند هؤلاء، أمثال جارودى. وإما من الباب الاجتماعى، ولكن باب الدخول فى الدين أفواجًا لم يأت بعد، وهو سيأتى، وليس بالضرورة أن يأتى بمعركة ، فمثلاً جارودى وهوفمان وأسد حينما يسلمون يستطيعون التأثير فى الآخرين، فهوفمان مثلاً تأثر كثيرًا هو وجارودى بمحمد أسد الذى أسلم منذ ١٩٢٦م، واستطاع أن يؤثر فى الأمة.

هناك معوقات بالطبع لهذا التأثير، ربما منها قلة فهم الكثيرين من أبناء هذه

الأمة بمقاصد الإسلام السامية.

فمثلاً حينما انتشرت السلفية فى جزيرة العرب، وسافر هؤلاء إلى أوروبا عبر الطائرات - بعد أن كانوا يعيشون فى الخيام، ويمتطون الإبل - نراهم يتحدثون هناك عن الإسلام فيذكرون حديث الذبابة، وحديث لعق الأصابع، وحملوا إليهم تفاصيل السنة مما حدا بالناس أن يستغربوا هذا؛ لأنهم يعيشون فى فراغ روحى، فهم يحتاجون إلى أن أحدثهم عن الله عن الجنة.. عن النار.. أحدثهم بما يملأ هذا الفراغ الروحى.

ولو كانت هناك حركات صوفية سنية واعية لغيرت الكثير من هذه المفاهيم، ولو أن دولة مثل مصر تمتلك عقلاً لبدأت فى تشكيل كتائب من الحركات الصوفية هذه وترسلها إلى بلاد العالم، فلقد رأينا وسمعنا الكثير من الكتاب والمفكرين بل والسياسيين الأوروبيين يقولون: إنهم فى حاجة إلى معرفة الإسلام، وفى حاجة إلى الإسلام.

كان يمكن للجامعة العربية بدلاً من وقوفها منادية بلوبى سياسى، وآخر عربى ، كان يمكنها أن تبدأ بدعم بعض الحركات الإسلامية ذات الطابع الروحى والصوفى والسنى، وترسل بها إلى هذه البلدان، ومصر سبّاقة فى ذلك المجال.

وأنا حينما ذهبت إلى أمريكا كان هناك مركزًا إسلاميًّا بواشنطن فيه الدكتور محمود عبد الله، إضافة إلى مراكز أخرى ولكنها كانت ضعيفة غير مؤثرة، ولكن حينما ذهبنا مع الإخوان هناك فتحت الدنيا واتصلنا بالسود، وبدأنا العمل الجاد داخل وخارج المساجد.

ومن رأيى أنه لا بد من ملء الفراغ الروحى بداية، قبل أن أخوض معهم فى معالم الفكر الإسلامى، وأسلمة المعرفة، فهذا لن يؤدى إلى ما نأمله ونرجوه.

السؤال الثامن: هل بدأت بعض الأفكار الإسلامية تطرح على الصعيد العالمى، وما أهم مجالات الحوار التى دخلت فيها مع الفكر الآخر؟

الدكتور سيد دسوقى: فى الحقيقة نحن لسنا فى موقع يسمعنا منه الآخرون، من دول العالم المتحكمة فيه شرقًا وغربًا، فصوتنا أخفض من أن يسمعوه، ولن يسمعوه إلا إذا كنت صاحب شأن؛ فصوت الضعيف فى الوادى أضعف من أن يسمعه أحد.

السؤال التاسع: هناك تشابها شديدا فى المشكلات والأطروحات

المعروضة على الفكر الإسلامى فى بداية القرن مع تلك المعروضة فى نهايته. ما مدى صدق هذه الملاحظة؟ وما أسبابها؟

الدكتور سيد دسوقى: أقول: لا، وأنا أعترض على السؤال، فهذه مقولة غير صحيحة فقد تقدمنا كثيرًا عمّا كنا عنه فى أول القرن، حين كنا نشعر بتخلّفنا الشديد مدنيًّا عن هذه الأمم، فى نظمها السياسية، فى نظمها العسكرية، فى نظمها الاجتماعية، هذا ما نحسه ونشعره.

أما الآن فعلى سبيل المثال نحاول أن نقدم لمصر شيئًا، وبواقع مسئوليتى عن شعبة مركبات الفضاء فى أجهزة البحث العلمى نحاول أن نبنى قمرًا صناعيًّا، فهذا معناه أننا بدأنا نأخذ خطوات جادة على الطريق، فتم تكوين كوادر، وتم معرفة ما عند الغرب وبدأنا نتحرك..

أصبح لدينا جيش حديث، بدأت المؤسسات الاجتماعية عندنا تأخذ وضعها ومكانها.. إذن فقد مشينا خطوات فى عملية الإصلاح.

وفى الحقيقة هذا السؤال يمثل مقولة كثير من الإسلاميين يرددونها وهى خاطئة جدًّا؛ فنحن تقدمنا تقدمًا كبيرًا بفضل من الله تعالى، والحركات الإسلامية أتت أُكُلها، والحركات الإصلاحية أيضًا أتت أُكُلها، وإن قال البعض: إنه من المفترض أن نكون أسبق من ذلك بعشر سنوات .

أقول: سبقنا أكثر أو أقل.. هذا سؤال نسبى؛ أما أننا تقدمنا، فنعم تقدمنا، ولدينا جامعات حقيقية، وإلا فما كان لدينا سنة ١٩٠٠م سوى الأزهر بشكله الكئيب والرهيب الذى كان موجودًا عليه.

على مستواى الشخصى عشت فى قرية أظنها كانت من العصر النبوى، أو من أيام عمرو بن العاص، كنا نعيش كما كان يعيش الصحابة فى المدينة المنورة.. أما الآن فقد تغيرت الدنيا، وبحمد الله انتبهنا، وبدأنا نضع أيدينا على الطريق الصحيح.. بدأنا نقوم بعملية الإصلاح، سواء تمت ببطء أو بسرعة، إلا أن هناك إصرارًا عليها.

وهناك من يتحدث فى الصحافة فى إطار الفكر السائد سواء فى إطار الحركة الإسلامية، أو حتى ضدها، أو موازيًا لها، اقرأ صحيفة الأهرام اليوم، تستطيع بعدها أن تقول: إنها تمثل الأمة

بتياراتها المتعددة.

هناك نظام مؤسسى - إلى حدٍ مّا - وإن كان جزء منه مزيفًا، لكن هناك مؤسسات قومية، مؤسسات تعليم، مؤسسات قضاء، مؤسسات مخابرات وجيش، مؤسسات شرطة..

إذن فأصبحنا مثل الغرب، بل نحن أفضل منه فى بعض هذه المؤسسات.

وعلى سبيل المثال هناك نائب وزير سابق للشرطة يكتب مسلسلات إسلامية، وهو أكبر كاتب عن المؤسسات الإسلامية: بهاء الدين إبراهيم، وقد كان مساعدًا أول لوزير الداخلية، وهذا شيء غير مسبوق ولا معهود!!

فنحن بخير والحمد لله، ويجب أن نعترف بهذا، وأن نعلنه من وقت لآخر، وإلا أدى الشعور المعاكس بأن كل شيء أصبح سيئًا، ولا أمل فيه، بأن يُصاب الناس بالإحباط.

فلا بد إذن أن نعترف بالتقدم الذى أصبحنا فيه الآن، ويكفى أن الدولة استجابت لمطالبنا بضرورة أن يكون لدينا قمرًا صناعيًا، بل وأصبحت تدعمنا فى ذلك، وتقدم لنا كل ما يلزم لهذا المشروع العملاق.

فإذا أردت أن تقارن فلتقارن بين أيام لا نملك فيها إلا الفئوس والمحاريث، وبين ما نعيش فيه الآن.

السؤال العاشر: ما هى أهم التحديات التى تواجه الفكر الإسلامى المعاصر فى مطلع القرن الواحد والعشرين؟

الدكتور سيد دسوقى: بداية هذا كلام مهم، أرجو الانتباه له جيدًا..

الدولة الحديثة التى نملكها هى خطوة أكيدة فى صالح الإسلام، وجزء أساسى له، والمطلوب النظر فى هذه المكونات، وربطها بالمقاصد الإسلامية، ومراجعة إن كانت مقاصدها مطابقة لمقاصد الإسلام أم لا.

لننظر - على سبيل المثال - ما مقصد نظام الشرطة لدينا، ما قوانينه؟.. الخ، فإذا كانت مقاصدها ترتبط بمقاصد إسلامية، فعلى أن أعيدها إلى مقاصدها الإسلامية، وأفصلها عن مقاصدها الغربية، حتى إذا ما أردنا بعد ذلك تطويرها طورناها إسلاميًا وذاتيًا.

وسنجد وقتها أن بعض مقاصدها ترتبط مع المقاصد الإسلامية، فحينئذ نعمل كأفراد ومؤسسات وجماعات ودولة على محاولة التغيير هذه، حتى

نصل إلى الكمال، ما استطعنا.

وفى هذا الاتجاه دعا المفكر الكبير طارق البشرى إلى إعادة النظر فى القانون، وربطه بالشريعة، وأنا أدعو إلى مثل هذا فى التنمية، وفى الاقتصاد، والاجتماع، والسياسة.

هذا هو التحدى الحقيقى، لا أن نقلب الدولة، ولك أن تتخيل ما يحدث فى الجزائر وأفغانستان.

فالدولة الحديثة جزء أهداه لنا الله من خلال أجدادنا وأجداد أجدادنا، وانتهى إلى أن أعطانا شيئا إسلاميا، أصبح تحقيقه والمحافظة عليه محققا للمقاصد الشرعية.

وقد نبهنى الأستاذ طارق البشرى حفظه الله حين ألقى محاضرة فى دولة قطر عن الشريعة، وهو من أكبر المتخصصين، وقال فيها: إن أى قانون نحكم به نستطيع رده إلى الشريعة الإسلامية.

وهذا مهم جدًا فى مرحلتنا المعاصرة -إن تمّ - وهو لا يتم إلا بجهد جماعى.

إذن التطوير ينبع -من دون شك- من جذر إسلامى لا من فرع غربى، كما هو الآن.

ففكرة الأستاذ طارق الآن أعتبرها هى دور الحركة الإسلامية فى المرحلة الحالية مفكرين وغيرهم.. وهو التحدى الحقيقى.

وعلى سبيل المثال فلنحاول فى مجال الاقتصاد أن ننظر - من خلال الخبراء والمختصين - إلى مقاصد الإسلام فى هذا المجال مع نظرة شمولية إلى الواقع الذى نوجد فيه، ونحاول بلورته إسلاميا، ونصل من واقعنا إلى هذه المقاصد، فإن وجدنا ٨٠٪ أو ٩٠٪ من واقعنا متسق مع هذه المقاصد، فلا مشكلة حينئذ، ويكون جهدنا منصب فى كيفية توفيق النسبة الباقية.

وهذا للعلم لا يتم إلا بطريقة تدريجية، لا دفعة واحدة، وعندنا مثالا على ذلك حينما غير الإسلام الرق، فلم يغيره فى مرة واحدة، وإنما على مراحل متعددة.

فلا داعى إذن للصياح، أو أن ندخل فى معارك جانبية، وإنما نمشى على مهل ونتصالح مع أمتنا، ومع الذين يحملون همنا فى الدولة حتى يثقوا فينا، نحن نحتاج إلى تطبيع العلاقة بين التيار الإسلامى فى الأمة وبين مؤسسات الدولة، وأعتقد أن هذه مهمة عاجلة، ويجب أن تتم وبسرعة؛ لأنه لن يتم

بدونها أى عمل حقيقى.

إن الواجب حينئذ هو بناء جسور ثقة وثيقة، ودستور عمل.

مصر فى حاجة إلى جهود حركة الإخوان بين الشباب، بل وفى حاجة ماسة؛ لأن الأخوان ذوو فكر وسطى، يمثلون فكر الإسلام كما أراه أنا شخصيًا.

فإقبال الشباب على هذا الفكر عن طريق الدولة لأن الدولة خائفة، ومتوجسة من أهداف حركة الإخوان، فهناك فارق بين أن يتنافس الإخوان فى السياسة، وبين أن يربوا أبناءهم سياسيًّا، فالتربية السياسية شيء، والمنافسة السياسية شيء آخر.

ومن رأيى أن الإخوان هم وسيط شعبى من الرجال ليس موجودًا عند الآخرين، ينبغى عليه بناء جسور من الثقة، ووضع دستور للعمل فيه توافق وتناغم بين دور الدولة ودور الحركة.

وهذا يحتاج من الدولة إلى وجود وتوافر المجموعة المهيأة لأن تتصل بالحركة، وتكون مجموعة عاقلة من المفكرين مثل المستشار البشرى، محمد عمارة، محمد كمال إمام، هذه المجموعة تدرك تمامًا أن غياب الحركة الإسلامية عن السوق الآن سيؤدى إلى كوارث متلاحقة فى مصر، ربما بدأت بالفعل.

لقد تم تغييب الإخوان عن الجامعة، عن الإعلام، وعن غيرها من المؤسسات الفاعلة، بل إن الدورات التدريبية التى تقام للأمن وأجهزة الأمن يأتون فيها بأناس لا صلة لهم بتفكير هذه الأمة وفكرها، وإنما يحفظونهم وحسب أن الإسلام الذى يُنادى به هؤلاء النفر من الإخوان هو ضرر وخطر عليهم جميعًا.

فلذلك أرى أنه لا بد من مبادرة مكتوبة تضع الخطوط العريضة للحل.

رؤى وحوارات

حركة
الفكر الإسلامى المعاصر
خلال القرن العشرين

د. توفيق الشاوى(*)

السؤال الأول: متى بدأت المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى المعاصر، وما العوامل التى أدت إليها؟

الدكتور توفيق الشاوى: المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى المعاصر بدأت على يدّ العلماء المجددين الإصلاحيين فى أواخر عهد الدولة العثمانية، عندما توالت الهجمات الاستعمارية على البلاد الإسلامية، وتبيّن عجز الدولة العثمانية عن صدّ هذه الهجمات. وكان الأساس الذى بدأت منه هو أن المجتمع الإسلامى أصيب بالتخلّف نتيجة انحرافه عن المبادئ الإسلامية التى تفرضها الشريعة.

والعوامل التى أدت إليها -كما قلت- هو ضعف الدولة العثمانية، وتخلّف المجتمع الخاضع لها، أو تخلّف المجتمعات الإسلامية عمومًا، وزيادة الهجمة الاستعمارية على كثير من الأقطار الإسلامية، وأولها الجزائر، وبعدها إندونيسيا والهند، وغيرها من البلاد التى كانت تعتبر جزءا من العالم الإسلامى.

السؤال الثانى: ما أهم تيارات

(*) - ولد بمصر في ١٥ / ١١ / ١٩١٨م .
- حصل على دكتوراه الدولة برسالة حائزة على جائزة التفوق من جامعة باريس (السوربون) عام ١٩٤٩م .
- عمل أستاذًا للقانون المقارن بكلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبد العزيز إلى عام ١٩٨٢م، كما عمل أستاذًا ورئيس قسم القانون الجنائي بكلية الحقوق جامعة القاهرة حتى عام ١٩٧٦م .
- وهو الآن نائب رئيس الاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية .

الفكـر الإسـلامى المعاصر خلال القرن العشـرين، وما أهم عناصر كل تيار من تلك التيارات؟

الدكتـور توفيـق الشـاوى: أهـم تيـارات الفكر الإسـلامى المعاصر خلال القرن العشرين تياران:

الأول: التيـار الإسـلامى الذى يحاول إصـلاح المجتمـع دون أن يتدخـل فـى الشـؤون السياسـية، لكنّ تبيّـن أنـه لا يستطيع أن ينفّذ إصلاحاتـه لعدم وجود الدولـة الإسـلامية، وذلـك بعد انهيـار الدولـة العثمانيـة، ولذلك وُجـدت مـا يسمى بجماعات الإسلام السياسى.

التيـار الثانى: التيـار الذى يرى أنه لا يمكن إصلاح المجتمعـات الإسـلامية إلا بإقامة الدولة الإسلامية التى تلتزم بمبادئ الشريعة وأحكامها.

السـؤال الثـالث: مـا هى القضايا الأساسـية التى طرحتهـا التيـارات الفكرية المعاصرة؟

الدكتـور توفيق الشـاوى: التيـار الإصلاحـى طـرح فكـرة إصـلاح الفرد، وإصـلاح الأسـرة، والإصلاحـات الاجتماعية عمومًا.

أما التيار السياسى فكان هدفه الأول إيجاد نظـام سياسـى يتمشـى مع المبادئ الإسـلامية، وما يسـمونه : دولة إسلامية (إنشـاء الدولة الإسـلامية)؛ لأنه لا يمكن أن يكون هناك إصلاح دون وجود دولة تلتزم به.

السـؤال الرابع: مـا مفهوم الحركـة لديكم؟

الدكتـور توفيق الشـاوى: الحركـة لدينا تتنوع إلى نوعين:

النوع الأول: حركات فكرية محضة، وهى عبارة عن علماء ومفكرين يخطبون ويكتبـون، وكتابـاتهم تُعـرض على الجمهور لكى يتأثر بها.

النـوع الثـانى: حركـة تنظيميـة تقيم تنظيمـات تقـوم بتنفيـذ هـذه الخطـط الإصلاحيـة، سـواء كـانت خططًـا اجتماعية، أو خططًا سياسية.

السـؤال الخـامس: هل للحركـات الإسـلامية المعـاصرة جـذور فكريـة انطلقت منها، أم نشأت بصورة حركية صرفة؟ وهل ولّدت الحركة فكرًا؟

الدكتـور توفيـق الشـاوى: كـل الحركـات الإسـلامية بدأت فكرة، وكل ما هنـالك أن بعضها اقتصر على الدعوة من خلال الكتابة والخطابة.

أما الحركـات السياسية فهى تضيف إلى ذلـك إنشـاء تنظيمـات تتـولى إقامـة

الدولة الإسلامية.

وربما يُعتقد أن الحركة فقط هى الحركة السياسية، ولكن الحركات الفكرية - حقيقة - موجودة قبل الحركات السياسية.

ولقد ولّدت الحركة - من دون شك- فكرًا وعلمًا وفقهًا على يدّ علماء الشريعة، ابتداء من جمال الدين ومحمد عبده وغيرهم.

السؤال السادس: إلى أى مدى تفاعل الفكر والفقه الإسلامى بالحالة الراهنة للعالم وما يكتنفها من تغيّرات؟

الدكتور توفيق الشاوى: لا شك أن الحركات التنظيمية التى كانت لها أهداف سياسية كانت أكثر تأثرًا بالحالة الراهنة فى العالم، والتى تتلخص فى أن الأعداء -أعداء الإسلام- وغير المسلمين عمومًا فى أوروبا وأمريكا تغلّبوا، وأصبحت لهم القوة، وأصبحت لهم أهداف فى السيطرة على أقطار العالم الإسلامى.

وأيضًا المفكرون تأثروا ولكن بصورة أقل بهذا الواقع، وبعضهم تعمّق فيه مثل مالك بن نبى - مثلاً - فرغم أنه يكتب ضمن التيار الفكرى، فإنه تكلّم كثيرًا عن اختلال التوازن بين العالم غير الإسلامى وبين العالم الإسلامى، نتيجة تفوُّق غير المسلمين من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، وما تلا ذلك من احتلالهم لبعض أقطارنا.

وإن كانت أهدافهم فى البداية كانت اقتصادية، ولكنهم أضافوا إليها بعد ذلك أهدافًا معادية للإسلام، وهى: القضاء على الإسلام؛ لأنه فى نظرهم منبع المقاومة للاستعمار، وللقوى الاستعمارية؛ بسبب مبدأ الجهاد، ومبدأ عدم خضوع المسلمين للقوى الأجنبية...: هذان من أهم المبادئ فى الشريعة الإسلامية.

اكتشف الاستعمار أنه لا يمكن أن يستقر فى البلاد التى احتلها إلا إذا قضى أو خلع الإسلام من جذوره، واستغل فى ذلك بعض أعوانه من المتدربين الذين كانوا تلامذتهم، و لم يأخذوا نصيبهم من الثقافة الإسلامية.

السؤال السابع: إلى أى مدى تأثر الفكر الإسلامى المعاصر بالتيارات الفكرية العالمية؟

الدكتور توفيق الشاوى: لعل من أهم التيارات الفكرية المعاصرة فى الفترة الماضية هو التيار الاشتراكى؛ لأن التيار الاشتراكى بدأ معارضًا للإمبريالية

والرأسمالية فى أوروبا وأمريكا، ولكنه سار فى طريق تكوين إمبريالية بحجة أن مقاومة الإمبريالية الغربية تحتاج إلى دولة قوية، وهى الاتحاد السوفيتى.

فالتيار الاشتراكى كان له تأثير كبير، على كثير من المسلمين فحاول بعضهم الانضمام إلى التيار الاشتراكى أو الشيوعى، وبعضهم اكتفى بأن أعطى اهتمامًا أكبر للإصلاحات الاجتماعية ومراعاة حقوق المستضعفين، وخاصة العمال.

السؤال الثامن: هل بدأت بعض الأفكار الإسلامية تُطرح على الصعيد العالمى؟ وما أهم مجالات الحوار التى دخلت فيها مع الفكر الآخر؟

الدكتور توفيق الشاوى: فى الحقيقة الأفكار الإسلامية بدأت تطرح على النظام العالمى بواسطة عدد ممن اعتنقوا الإسلام من أبناء تلك البلاد، والذين اقتنعوا بسمو مبادئ الإسلام وصلاحيته، برغم ما يُوجد فيه المسلمون من ضعف وتخلف.

وهؤلاء يعتقدون أن دولنا وشعوبنا ما زالت تعطى فكرة سيئة عن الإسلام، ولذلك هى تأثرت بالقيادات العالمية أكثر مما أثرت.. ونحن لا زلنا فى هذه الحالة.

وإذا كان لنا أمل فهو تقوية ذلك التيار الذى تكون من غير المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام، وهم الذين يمكن أن ينقلوا بعض الأفكار الإسلامية إلى الدول الأجنبية.

السؤال التاسع: يلاحظ تشابها شديدًا فى المشكلات والأطروحات المعروضة على الفكر الإسلامى فى بداية القرن مع تلك المعروضة فى نهايته.. ما مدى صدق هذه الملاحظة وما أسبابها؟

الدكتور توفيق الشاوى: التشابه ناتج عن أن التيار الإصلاحى لم ينجح فى مهمته بسبب سوء الحالة السياسية، والتيار التنظيمى أو الحركى أو السياسى يلقى مقاومة شديدة ليس فقط من القوى الأجنبية بل من الحكومات المحلية التى هى فى الواقع خاضعة ومستسلمة للتيارات الأجنبية.

فالمقاومة للتيارين التنظيمى والسياسى شديدة جدًّا، وتزداد شدَّة بمرور الأيام، وخاصة بعد توحّد الإمبريالية فى جبهة واحدة، بينما نحن لا نزال مشتتين، أما هم فقد اتحدوا وسيطروا على النظام العالمى وعلى الأمم

المتحـدة، ولهـم منظمـات كحلـف الأطلنطى والوحـدة الأوروبيـة، فى حين أننـا لا نملـك إلى الآن تنظيمًا سياسـيًّا، وقـد بدأنـا ذلك فـى ظل منظمـة المؤتمر الإسـلامى لكنها تسير بخطى بطيئة جدًا؛ حتى لا تتعرض لهجوم أعدائنـا، ولأنهـا هى أيضًـا تمثل الحكومـات، وفيهـا جميع المسـاوئ التـى تُوجد لدى الحكومـات، فلا تمثل الشعوب.

السؤال العاشـر: ما أهم التحديات التى تواجـه الفكر الإسـلامى فى مطلع القرن الحادى والعشرين؟

الدكتـور توفيق الشـاوى: هنـاك العديد من التحديات:

أولاً: تحـدى الضعـف والانحـراف والتخلّـف الفكرى الـذى أصـاب بعض العلمـاء بـالجمود والتخلـف، وعـدم إقدامهم علـى تجديد الفقـه الإسـلامى؛ برغم محاولات كثير من المفكرين.

وأما العقبة السياسية فتأتى من تحزّب القوى الأجنبية التـى أصبحت لها مصالح اقتصاديـة وسياسـية فى إبقـاء شـعوبنا ضعيفة ومستذلة.

❖❖❖

رؤى وحوارات

حركة
الفكر الإسلامى المعاصر
خلال القرن العشرين

المستشار طارق البشرى(*)

السؤال الأول: متى بدأت المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى المعاصر، وما العوامل التى أدت إليها؟

المستشار البشرى: الفكر الإسلامى المعاصر هو الفكر الذى يجتهد بناء على الأسس الإسلامية للاستجابة للتحديات التى تفرضها المرحلة التاريخية المعاصرة.

ولذلك لو قلنا: متى بدأت المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى المعاصر، فنستطيع أن نقول: إنها بدأت مع المرحلة التاريخية المعاصرة؛ إذن فمتى بدأت المرحلة التاريخية المعاصرة؟

يبدو لى أنها بدأت من نهايات القرن الثامن عشر، أو بدايات القرن التاسع عشر، وهى فترة الاحتكاك الشديد بين المجتمعات الإسلامية فى فكرها وأوضاعها التى كانت قائمة فى القرن الثامن عشر وما قبله، وبين الوافد الغربى الأوروبى الذى تمثل فى أمرين:

أولهما: مخاطر شديدة على أمن الجماعة الإسلامية من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومن النواحى الفكرية أيضًا.

ثانيهما: ظهور نماذج للنظم

(*)- من مواليد القاهرة، فى ١١/١/ ١٩٣٣ .

- تخرج فى كلية الحقوق، جامعة القاهرة سنة ١٩٥٣ م، وتقلب فى مختلف المناصب القضائية، حتى درجة مستشار، وقد تولى منصب نائب رئيس مجلس الدولة المصرى .

- له العديد من المؤلفات، والمقالات الهامة التى غطت جوانب فكرية وتاريخية متميزة، من أهمها : الحركة السياسية فى مصر من عام ١٩٤٥: ١٩٥٢ م - المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية - المسألة القانونية بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعى .

مستحدثة، وقادرة على الحركة، تكون أكثر كفاءة، وظهور علوم وصنائع قادرة على إنتاج وإعلان حرب مهدِدة لأمن الجماعة الإسلامية، وقادرة على إصابتهم بأضرار بالغة. وهى - أيضًا - منتجات علومٍ وفنونٍ وصنائع قادرة على الانتاج الأكثر وفرة من الناحية الاقتصادية.

هذان هما العاملان اللذان بدأ بهما شعور الجماعة الإسلامية فى المنطقة الإسلامية كلها بالتحدى: تحد أساسه الشعور بالخطر، وتحد أساسه الرغبة فى استجلاء هذه الوسائل الحديثة التى يمكن بها أن تقوى الجماعة الإسلامية على أصولها، وصار خصمك هو من تريد أن تستخلص منه وسائله فى النشاط الاقتصادى والاجتماعى والعلمى والتنظيمى لكى تستطيع بها أن تُوجد لنفسك المناعة السياسية والاقتصادية والحضارية التى تمكنك من كفِّ خطره عنك، وكانت هذه هى المشكلة.

هنا بدأ الفكر الإسلامى يتحرك، ولا أقصد بالفكر الإسلامى: الإسلام ولا أصوله، وإنما أقصد فكر الجماعة الإسلامية والثقافة الإسلامية التى كانت موجودة فى هذا الوقت؛ والتى بدأت تتحرك لكى تستطيع من خلال المرجعية الإسلامية أن تواجه هذه التحديات باجتهادات جديدة ومستحدثة.

ظهر هذا - فيما يبدو لى - فى البداية المبكرة للعلماء من داخل المرجعية الإسلامية ، والحركة التى مثّلت البداية فى الخروج من مأزق الأفكار التى لابست المؤسسات الصوفية من خزعبلات وخرافات، وكيفية تنقية هذا الجانب، وأيضا كيفية كف التعصب المذهبى، وفتح باب الاجتهاد فى الفكر الإسلامى، ولكى تجتهد فى الفكر الإسلامى عليك أن تسقط قداسة المذاهب، وعليك أن تبدأ فى دراسة الفقه المقارن بين المذاهب المختلفة، وعليك أن تكون ترجيحاتك ودراساتك فى هذا الفقه المقارن مرتبطة بأصول العقيدة الإسلامية، وهى القرآن والسنة، ثم الوصول إلى ما يتلاءم مع أوضاع العصر الذى نعيش فيه.

ينبغى -إذن - إعادة قراءة الأصول من جديد مطبقة فى مفاهيمها وأحكامها على واقعنا المعاصر، وعلى المشاكل التى تمر بها الجماعة الإسلامية.

ومن رموز هذه المرحلة محمد بن عبد الوهاب والشوكانى، وكل من دعا إلى

إسقاط قداسة المذاهب.

والموجة الثانية كانت فى نهاية القرن التاسع عشر بعد تحكم الغرب فينا أكثر مما كان، وأدركنا مدى قوته ومدى مكره، وما يبيته لنا من نوازع السيطرة الكاملة. وهنا بدأت حركة الفكر الإسلامى تنتمى إلى تيارين:

الأول: تيار يريد أن يحافظ على الأصول فى مواجهة الوافد الفكرى الغربى الذى يريد أن يجتث هذه الأصول، ويساعده فى ذلك سيطرة الغرب على نظم الحكم عندنا، وعلى الأوضاع السياسية بعد أن سقطت الحكومات الإسلامية فى القرن التاسع عشر، وسُميت هذه المدرسة (المحافظة)، التى تريد أن تحافظ على الأصول، وتمنع تواجد هذا الوافد الأجنبى فى الناحية الفكرية العقدية.

الثانى: تيار التجديد فى فروع الفقه لكى يستجيب إلى وسائل التنظيم الحديثة فى المجتمعات فى جوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها.

الموجة الثالث - فى تقديرى- جاءت بعد أن تقلّصت المرجعية الإسلامية من أن تكون هى الإطار المرجعى لنظم الحكم فى بلادنا، وهذه يمكن أن نؤرخ لها من نهايات الحرب العالمية الأولى، ومن العشرينيات فى القرن العشرين.

ومن هنا ظهرت الحركة الإسلامية السياسية، قبل ذلك كان الإسلام وسيلة التعبير عند الحركات السياسية، فكانت الحركة الإسلامية - بالمعنى الذى نقصده هنا- حركة فكرية، تعمل بالتجديد أو المحافظة.

أما بعد الحرب العالمية الأولى، وبعد أن صارت نظم الحكم الوضعية طريقة أساسية فى بلادنا كلها، بدأت تظهر الحركة الإسلامية كحركة سياسية تنادى بشمول الإسلام، واسترداد المرجعية الإسلامية لكى تكون هى المرجعية الحاكمة.

السؤال الثانى: ما أهم تيارات الفكر الإسلامى المعاصر خلال القرن العشرين؟ وما أهم عناصر كل تيار من تلك التيارات؟

المستشار البشرى: ربما أكون قد أشرت فى السؤال الأول إلى إجابة هذا السؤال.

السؤال الثالث: ما القضايا الأساسية التى طرحتها هذه التيارات

الفكرية المعاصرة؟

المستشار البشرى: القضية الأساسية التى تعتبر القضية الوعاء لغيرها من القضايا هى موضوع شمول الإسلام، والتركيز على أن الإسلام دين ودنيا، وأنه عبادة وتنظيم للمجتمع.

وموضوع شمول الإسلام يواجه به الفكر الإسلامى الفكر الوافد، والذى يريد أن يحصر الإسلام وفقهه وتاريخه فى إطار العبادة الفردية وحدها، وفى حدود جدران المسجد.

نحن نواجه هذا الزعم بمفهوم شمولية الإسلام، ويتفرع عن هذا الوعاء جملة من القضايا الأساسية من أهمها: القضية الخاصة بنظم الحكم.

فنحن نستحسن أساليب الحكم ونماذج الحكم التى تُبنى على أساس فكرة التمثيل النيابى، وفكرة توزيع سلطة الدولة بين العديد من المؤسسات التى تقوم على التوازن بما يمنع الاستبداد.

وفكرة أن يصدر القرار السياسى، أو قرار السلطة العامة، أو أى قرار يعكس مصالح جماعات وليس أفراد. أن يصدر هذا القرار لا عن فرد واحد متحكم، بل عن جملة من الأفراد، قرارًا جماعيًا يشاركون فيه.

هذه الأصول الفكرية وضعها الفكر الغربى لنماذج التنظيم، ولكنه ربطها بمرجعيته الوضعية العلمانية، ونحن نريد أن نستخلص هذه النماذج التنظيمية من المرجعية الفلسفية الغربية، ونصوغها فى إطار المرجعية الإسلامية.

وكانت هذه قضية من القضايا التى اختلف فيها المختلفون، وأخطأ فيها المخطئون، وتجاوز البعض فى فهمها من كلا الجانبين .

النقطة الثالثة من هذه القضايا: أحكام المعاملات المستحدثة فى المجتمع، وأنماط العقود الجديدة التى تتعامل مع عمليات إنشائية بالغة التعقيد والتركيب، كيف يمكن أن نستخلصها فى إطار حكم الشريعة؟

هذا جانب تكلم فيه بنجاح الكثير من فقهائنا ومجددينا فى العقود الأخيرة.

نقطة أخرى تتعلق بالجماعة السياسية، وكيفية صياغتها، وموقف الفكر السياسى الإسلامى من هذه القضايا، أو من هذه الجماعات ، والتى تتمثل فى جماعات سياسية أساسها قطر وإقليم مثل مصر، أو سورية، أو العراق، أو بنجلاديش ، أو تتمثل فى جماعات سياسية أساسها القومية مثل العرب،

والفرس، والترك، وغير ذلك.

السؤالان الرابع والخامس: ما مفهوم الحركة لديكم؟

وهل للحركات الإسلامية المعاصرة جذور فكرية انطلقت منها، أم نشأت بصورة حركية صرفة؟ وهل ولدت الحركة فكرًا؟

المستشار البشرى: مفهوم الحركة عندى: مطلق التغيّر والتعديل الذى يتخذ شكلاً متتابعًا، يمكن أن يكون التغير أو التعديل مرة واحدة، وهذا ليس حركة، وإنما واقعة أو حدثًا يُرصد فى ذاته، ويفهم وتستخلص منه النتائج، ولكنه ليس حركة.

إنما أن يتخذ التعديل أو التغيير أسلوبا متتابعًا ومتواليا فهذا الذى جعله حركة.

ولفظ الحركة هنا لفظًا محايدًا؛ فنحن يمكن أن نقول تطوير، والتطوير يعنى الإنماء، أن اللاحق أفضل من السابق، فإذا قلنا مثلاً الانحدار فنحن نحكم بالسلب على الحركة، بمعنى أن اللاحق أسوأ من السابق.

إنما لفظ الحركة فى ذاته لفظًا محايدًا؛ فهو يرصد تغييرًا وتعديلاً. وينطبق هذا فى المجال السياسى عندما نتكلم عن حركة معينة، أو فى المجال الفكرى عندما نجد شواهد تغير.

فإذا كان هناك تغييرًا وتعديلاً متتابعًا ومستمرًا ومتواليًا لفترةٍ مَا، نسميه حركة، ونرصد هذه الحركة وأسبابها، ونتائجها.

أما السؤال عن الحركات الإسلامية المعاصرة، وهل لها جذور فكرية؟

فليس هناك حركة تبدأ دون جذور فكرية، حتى الحركة الواقعية الفعلية لا بد أن وراءها فكرًا.

وأى حركة بشرية عامة يشترك فيها أناس كثيرون فلا بد أن يكون وراءها فكر قادها إلى هذا، ورفعها إلى هذا.

والجذور الفكرية للحركة الإسلامية المعاصرة انطلقت فى البداية من أوضاع المجتمع، فقد وجد القائمون عليها أن أوضاع المجتمع ليست على ما يرام، وأن هناك تحديات كبيرة تواجه الجماعة الإسلامية والنظم الإسلامية، وأنه من الخير لهذه الجماعة أن ينبع من داخلها ما يجعلها قادرة على مواجهة هذه الأوضاع المستجدّة؛ لتتلاءم مع ما هو إيجابى من هذه الأوضاع وتغذيه، ولتقف وتواجه وتمتنع وتقاوم ما هو غير إيجابى من هذه الأوضاع وتزيله.

والحركة الإسلامية إذا تتبعناها من

بداية القرن التاسع عشر نجد أن لها اتجاهين أساسيين:

الأول: اتجاه الحكومات التى كانت قائمة فى ذلك الوقت ، وكانت حكومات وطنية، تحاول أن تدافع عن الحوزة الخاصة بالدولة الإسلامية ضد الدول التى كانت قائمة وقتها (المخاطر الخارجية).

وكانت حلولها كلها حلول رجال حكم: تقوية الجيوش ودعمها وتأسيسها، استيراد علوم الصنائع التى تمكّن من دعم القوة العسكرية والاقتصادية وغيرهما.

الثانى: اتجاه الحركة الفكرية الخاصة، وكيفية الاستجابة الفكرية للأوضاع وللتحديات القائمة.

فإيجاد الفكر هنا ضرورة؛ إما كفكر مقاوم لأشياء بغيضة نراها دخلت المجتمع، ونريد أن نقاومها، أو فكر إيجابى يستجيب لهذه الأوضاع، ويحاول أن يستنبط من داخل الفكر الإسلامى وبالمرجعية الإسلامية حلولاً لهذه المشكلات.

الجانب الآخر فى الموضوع هو فكرة الحركة الوطنية، التى ظهرت عندما صرنا غير مستقلين، فلم تكن هناك حركات وطنية عندما كنا مستقلين، لم تكن هناك مشكلة تتعلق بأن أجنبيًا يحوزنا، أو يمتلكنا، أو يحكمنا ويديرنا وفقًا لمصالحه الخاصة.. لم تكن هذه قائمة.

وحينما جاء غزو الغزاة بدأت تتكون عندنا هذه الحركات، وسقطت بالتالى الحكومات الوطنية الموجودة، ولم تعد الدولة حامية لجماعتها من الغزاة، وتَنَادَى الناس فى جماعات ليقاوموا هذا الوافد الأجنبى، ويُزيحوه عن دولتهم.

وهنا ظهرت الحركات الوطنية بصورها المختلفة التى عرفناها.

وفى بداية هذه الحركات كانت توجهاتها إسلامية، وكانت تدور فى إطار الفكرية الإسلامية أساسا، إلى أن جاءت الحرب العالمية الثانية.

فالحزب الوطنى على سبيل المثال كانت فكرته إسلامية، وكل المقاومات التى حدثت - العنيفة منها وغير العنيفة- للاستعمار فى القرن التاسع عشر كانت تدور عن فكرية إسلامية.

ومن أمثلة هؤلاء: عبد القادر الجزائرى - عبد الكريم الخطابى - الثعالبى فى تونس، وعمر المختار - السنوسى فى ليبيا، ومحمد المهدى فى

السودان، وهذا كله كان الإسلام يمثل منطلقه الفكرى.

وحينما سقطت الحكومات فى إطار الوضعية الفلسفية، وانحصرت عنها المرجعية الإسلامية، ظهرت الحركة الإسلامية كحركة سياسية، وحركة فكرية لاستعادة المرجعية الإسلامية لكى تكون سابغة على المجتمع كله، وعلى أوضاع الجماعة كلها.

وهذا الاتجاه استدعى تنشيط الجوانب المختلفة للفكر الإسلامى، والفقه الإسلامى؛ لكى يكون قادرا فى حلوله على مواجهة هذا الوضع، وليثبت صلاحيته، وفاعليته لتقوية الجماعة فى صورتها المعاصرة.

وهل ولدت الحركة فكرا؟

الحقيقة أن الحركة السياسية الإسلامية التى ظهرت قبل العشرينيات ونمت فى الثلاثينيات والأربعينيات، احتضنت جهود المفكرين الإسلاميين، سواء انتموا إليها أم لم ينتموا إليها.

وقد وضعت على صعيد المجتمع كله فكرية إسلامية تنادى بشمول الإسلام، وبوجوب انطلاق الفكر الإسلامى لكى يكون محيطا بأوضاع الجماعة، ولكى يكون قادرا على أن يحفظ مرجعيته فى هذه الجماعة المتجددة.

هذا الأمر استنفر طاقات المفكرين وغيرهم، كلّ فى مجاله يبحث؛ فمنهم من بحث فى الاقتصاد والعلوم السياسية، ومنهم من بحث فى النظم الدستورية وأوضاع الجماعة، ومنهم من بحث فى فقه المعاملات، ومنهم من بحث فى قوانين المرأة والزواج.. وهكذا.

كذلك بدأ الفكر السياسى يستجيب لتساؤلات جديدة، فظهرت جماعات على أساس قومى، أساسها اللغة والوحدات السياسية، ووحدات لجماعات سياسية أساسها اللغة والتاريخية، ومنها ما نشأ على أساس اللغة والإقليم.. وهكذا.

فإذا تم التعامل من خلال الفكر الإسلامى مع هذه الجماعات موافقة أو رفضًا.. فكل هذا أنتج الحوارات الفكرية الدائرة الآن.

السؤالان السادس والسابع: إلى أى مدى تفاعل الفكر والفقه الإسلامى بالحالة الراهنة للعالم، وما يكتنفها من تغيّرات؟

وإلى أى مدى تأثر الفكر الإسلامى المعاصر بالتيارات الفكرية العالمية؟

المستشار البشرى: يُخيل إلى أن

السؤالان من مصدر واحد، أو مشكلة واحدة، وهو التفاعل، أو التأثير والتأثر بين الفكرين.

ومصادر التجديد، والتحديث، والصحوة فى الفكر الإسلامى على مدى القرن العشرين - من وجهة نظرى- أتت من مصدرين:

الأول: مدرسة تمثل رؤى الثقافة الإسلامية التقليدية مثل الأزهر وغيره من مدارس الثقافة الإسلامية، وتقريبًا كان التشكيل الأساسى للعقل ومجموعات المعارف الموجودة كان من المصادر والكتابات الإسلامية التقليدية القديمة.

وهؤلاء بفكرهم هذا وبأصالتهم هذه بدأ النابهون منهم ينظرون إلى أوضاع المجتمعات، وينظرون إلى نماذج التنظيمات الموجودة، ويقرأون فى كتب الآخرين مما يترجم، ومما ينشر، ومما يؤلف من مراجع الأجانب، ويتفاعلون مع ذلك، وينتجون فكرًا جديدًا.

المصدر الآخر هم أبناء المدارس الحديثة الذين نشأوا بفكر وضعى فى الأساس، عُلموا ودُربوا فى مدارسهم على فكر وضعى فى الأساس، وكان التعليم الابتدائى والثانوى والجامعة المصرية يعلم فكرًا وضعيًا فى الأساس.

ورغم حصولهم على هذا العلم وهذه المعرفة، الا انهم موجودون فى المجتمع إسلامى، ولأنهم من بيئة اجتماعية إسلامية -: بدءوا يقوون ثقافتهم الإسلامية، ويغذونها بجهود تطوعية.

نجد ذلك فى شتى المهن من أطباء، ومهندسين، وخريجى كلية العلوم، والاقتصاديين.. وغير هؤلاء ممن تخرجهم الجامعات الحديثة.

ثم بدءوا ينقلون تجاربهم، وما درسوه مما تعلموه من الفكر الغربى والفكر الوضعى فى تخصصاتهم المختلفة، ويوازنون بينه وبين المرجعيات الإسلامية.

هاتان المدرستان هما الأساسيتان، والتفاعل والتأثير يبدأ من كليهما، وبتأثير متبادل.

وسنجد أن خيرة من كتبوا فى المعاملات الإسلامية كانوا من كليات الحقوق الوضعية، بعد أن درسوا الشريعة الإسلامية دراسة منهجية جيدة، وغذوها بالثقافة التى حصلوا عليها فى جامعاتهم.

ويُخيل إلى أن الحركة الإسلامية السياسية التى بدأت فى العشرينيات والثلاثينيات اهتمت أساسا بالشباب،

ودخلت الجامعات المصرية من خلال الطلبة، وهذا كان له تأثير كبير جدًا على المزج بين الثقافتين، وعلى الاستفادة من الأفكار التى تدرّس فى الجامعات الحديثة لصالح المرجعية الإسلامية.

أما إلى أى مدى تأثر الفكر الإسلامى المعاصر بالتيارات الفكرية العالمية؟

فالفكر الإسلامى ناقش هذه التيارات وتفاعل معها، وظهر ذلك فى الكتابات الخاصة عن القومية والإسلام، وذلك تفاعل مع فكرة خاطئة؛ لأن مفهوم القومية واضح تمامًا كمفهوم سياسى، أما بوصفه ممارسة فنحن نمارس وحدة اللغة من قديم، ولكن كمفهوم للوحدة السياسية المتجانسة الممتنع عن الآخرين، فقد أتى إلينا هذا المفهوم من الغرب. فالفكرية الإسلامية تناقش هذا الوضع.

وموضوع مثل الديموقراطية والشورى هناك كتابات كثيرة عن نظم الحكم والديموقراطية والشورى تناولت هذا الموضوع.

حتى موضوعات العدالة الاجتماعية والاشتراكية احتك بها الفكر الإسلامى، وناقشها، ورفض منها الكثير مما رفض، بناء على رفض الأسس التى تحاول أن تزكيها، مستخلصًا لنفسه فكرة العدالة الاجتماعية على أسس اختارها، ويدعو إليها من خلال المرجعية الإسلامية.

فالحوار قائم، وقائم من قديم وأغلب المفكرين الإسلاميين على مدى نصف القرن الأخير -على وجه الخصوص- فى حوار مع هذه التيارات الفكرية العالمية، فى محاولة لتمثل ما ينفعنا منها، واستخلاصه وإخضاعه لمرجعيتنا، والباقى نرفضه ونبعده عن مجالنا الفكرى.

السؤال الثامن: هل بدأت بعض الأفكار الإسلامية تُطرح على الصعيد العالمى، وما أهم مجالات الحوار التى دخلت فيها مع الفكر الأخر؟

المستشار البشرى: من المعروف -بداية- أن المقصود بالصعيد العالمى: الفكر الغربى والأوروبى.

ومن المعروف أيضا فى تاريخ حركات التنوير الغربية أنها تأثرت بالنتاج الفكرى القديم للمسلمين، ومعروف أثر المتكلمين المسلمين فى إنعاش الفكر الفلسفى الغربى فى عصور النهضة، والفكر الغربى يعترف بهذا إلى حد ما.

ولكنــه ربمـا لا يعـترف بـأن قوانين المعــاملات هنـــاك تــأثرت بـــالفكر الإسـلامى، بل لا نجد اعترافا منهم بهذا الأمر.

إنما الدراسـات الحديثـة أوضحت أن الفكـر أو الفقـه الإسـلامى تسـرّب إلى فرنســـا عـبر الأندلس، وكذلـك نجد تشـــابها للأحكـام التى تبنّاهــا قـانون نـابليون (القـانون المدنـى الفرنســى) مع بدايــة القرن التاسـع عشــر، وبين فقـه المذهب المـالكى الـذى كـان منتشـرًا فى الأندلس.

وفـى مصر فـرض علينـــا فـى القرن التاســع عشــر التقيد بـالقوانين الغربيـة، وكان القـانون المدنى القديم الذى صدر فى مصـر منذ سنة ١٨٨٣ م مأخوذًا من القانون المدنى الفرنسى، وقد عُرض على بعض علمـاء الأزهر فوجدوا فيـه تشابها من دون أن يعرفـوا العلاقـــة التاريخيـــة، وقـالوا: إنه قريب من الفقه المالكى، فهم أدركوا هـذا التشـــابه من دون معرفتهم بالحقائق التاريخية.

والفقه الإنجليزى - فيمـا يُقال- تأثر بالفقه الحنفى الوارد إليه من الهند، ولدى ترجمة إنجليزية لكتاب الهداية للمرغينانى، وهو مـن مصـادر الفقــه الحنفى المهمـة، وقد ترجم الكتاب فى القرن الثامن عشر بأمر من الحاكم العـام البْريطـانى بالهند، ومرفوع إليـــه الترجمـــة ممن ترجـم هذا الكتـاب، وطُبع فى نهايــة القرن الثـامن عشر.

ولكـــن الفكـــر الغربـــى لا يريـــد أن يعـترف أبـدًا أنـه تـأثر بفكـر آخر؛ حتى عندما قال: إنه تأثر بالفكر الإسلامى من العصـر الوســـيط؛ إنمــا قالهــا ليعلن أن المسـلمين إنمـا ردوا إليـه بضاعتـه الخاصة بــالفكر الإغريقـى، وهـذا هـو الجـــانب الوحيد الذى اعترفوا به لإيجاد وصلة بينه وبين الفكـر الإغريقى مـن خـلال نقلـة المسلمين.

إنه لا يريد أن يعـترف أبدًا بأن هناك فكرًا آخر أثّـر فيـه، وعلـى سـبيل المثـال القـانون المدنى المصرى لســنة ١٩٤٨ م نجـده تبنى أفكـارًا جديدة لم تكـن متبناة من قبـل، ومصدره فيهـا القـانون المقارن الأوروبى الوضعـى، وهى أصلاً موجودة فى الفكر الإسلامى مثل نظرية الظروف الطارئـــة، وإســـاءة اســـتعمال الحق، وغيرهمـــا من النظريـات التى قيـل إنهـا مسـتحدثة، ولكنهـا موجـودة فى الفقـه الإسلامى، ولكنهم لا يريدون الاعتراف بها.

أمـا عـن أهـم مجـالات الحـوار التى دخلت فيهـا مـع الفكر الآخـر، نجد أن هنـاك الحـوار الـذى يقـوم الآن بـين الأديان، ويخيل إلى أن القـائمين عليه هم المؤسسـات الدينيـة، فالفاتيكـان يوليـه أهمية كبيرة، والأزهر دخل فيه.

ولكـن حصيلة مثـل هذه الحوارات دائمًا تفيد الطـرف الأقـوى لكى يتفهـم جيدًا أوضاع الطرف الآخر ونقاط ضعفه.

ولو وضعنا هذا الحوار فى صورة أنه حوار بين المطلقـات؛ فلن يؤدى أبدًا إلى التقارب المطلوب؛ لأنه لا يوجد إمكانية تقارب فى حوار يجرى حول المطلقات.

فالمطلق متكامل بنفسه، وإذا سقطت منـه جزئيـة فسيسـقط جميعـه، ولا يبقى منـه شـيء، والفكر الدينى مطلق، يعتمد على الإيمـان بالمطلقات، سواء كان فكرًا إسـلاميًّا، أو مسـيحيًا، أو أى فكر بهذا الشكل.

فـالحوار الأساسـى المقبـول فى مثل هـذه الأمور أن يكـون فى القيـم المترتبـة على الجانب الإيمانى.

والفكـر الغربـى بـدأ يضـع قواعـد أساسية وركائز أساسية له فى بلادنا مع نهايـة القرن التاسـع عشـر، وبداية القرن العشـرين، وتحديـدًا بدأ ذلـك مبكرًا فى بلاد الشـام بإنشـاء الجامعـة الأمريكيـة، وكـانت جامعـة تبشـيرية (يسـوعية)، ونشـأت الجامعـة الأمريكيـة فى مصر بجهود المبشرين.

بدأ الفكر الغربى بعد ذلك عن طريق المدارس التى نشأت، وكان أغلبها تظهر عليـه المسـوح الدينيـة أرثوذكسـية وبروتسـتانتية، وهى المدارس التى علمت الناشـئة من طبقـة النخب الحاكمـة، وكانت تركز عليهم.

ثم بدأ إنشـاء الجامعة المصريـة بإنشاء كليـة الآداب، وقـد كـان لحركـة الاستشراق دور قوى فـى إنشائها، وفى دعـم الفلسـفات الغربيـة، برغـم أنـه كان بهـا أسـاتذة عظـام مثل الشـيخ مصطفى عبـد الرازق؛ إلا أن تأثير الهيمنـة الفكرية الغربيـة بقـى علـى النمط الفلسـفى والفكـرى فـى كليـة الآداب إلى عهـد قريب.

الناحيـة الفكريـة السياسـية، والفكر السياسـى، أو الليـبرالى الغربى بـدأ من فكـرة الديمقراطيـة، ثم الفكر الاشـتراكى والماركسـى بـدأ بـين الشـباب منذ الأربعينـات مؤكدًا علـى النظريـة الماديـة الفلسـفية التـى تنكـر الوجـود الإلهى، وتؤمـن أصـلا بحداثـة الـروح وأصالـة

المادة.. كل ذلك كان له الأثر الكبير فى التأثير على أفكارنا ومعاهدنا، واتجاهاتنا السياسية.

النقطة التى تدعو للتفاؤل الآن -حقيقة- أنه عندما وفدت الأفكار الغربية حدث شيء من الانبهار فى الثلاثينيات، والأربعينيات، والخمسينيات، وحتى الستينيات.

أما منذ السبعينيات، وبعد فشل تجربتين لنا فى الإصلاح السياسى والاجتماعى على أسس فكرية غربية، وهى المرحلة الليبرالية والمرحلة الاشتراكية.. فبدأ الجمهور المصرى يفقد الانبهار بالحضارة الغربية، وأنها هى الطريق الوحيدة الذى تمكّن من بناء مدينة فاضلة على الأرض، وبدأت -من ثم- العودة إلى الأسس الإسلامية لإقامة نظم وأسس للتنظيم الاجتماعى والسياسى والفكرى، مع الاستفادة بما أنتجه الغرب، وإنما بقدر وعلى حسب قيمته، وبشرط ألا يكون فى الأسس المرجعية مطلقًا، فيؤخذ منه ما يؤخذ، ويُهضم داخل الفكرية الإسلامية.

السؤال التاسع: نلاحظ تشابهًا شديدًا فى المشكلات والأطروحات المعروضة على الفكر الإسلامى فى بداية القرن مع تلك المعروضة فى نهايته، ما مدى صدق هذه الملاحظة وما أسبابها؟

المستشار البشرى: الملاحظة فى مجملها وفى خطوطها العامة صحيحة، ويبدو لى أن صحتها ترجع إلى أننا نعيش فى مرحلة تاريخية واحدة شملت بداية القرن ونهايته، و لم تنته بعد، وإن كانت المرحلة التاريخية بدأت من قبل القرن، ولا زالت مستمرة وسندخل بها القرن الحادى والعشرين.

ومتى كانت المرحلة واحدة فمشاكلها الأساسية واحدة، وأوضاعها الأساسية واحدة.

ونحن نجتهد فى طرح الحلول التى تساعد فى حل هذه المشكلات، وغير منها، ونبذل جهودنا حتى نستطيع أن نحلها – إن شاء الله – فإن حللناها فقد انتقلنا من مرحلة إلى مرحلة أخرى.

ونحن لم ننتقل بعد إلى مرحلة أخرى، وإنما نعيش الآن فى مواجهة ما يمكن أن نسميه عصر الاستعمار ومقاومته.

وهذا ما نعيشه من بدايات القرن ١٩، أو نهايات القرن ١٨، ولا زلنا فيه.

وهو مع هذا اتخذ أشكالاً عديدة

منها الحكم المباشر، ومنها السيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية.

وآل الوضع الآن إلى أنه لا توجد السيطرة العسكرية القديمة، وإن كان يوجد التهديد بها.

ولا توجد السيطرة السياسية المباشرة، وإن كانت تجرى عن طريق التحكم من البعد، والتهديد بالمقاطعة الاقتصادية وبفرض الحصار الاقتصادى.. إلى غير ذلك.

لا يوجد تدخل فى الشؤون الداخلية بشكل واضح، ولكن توجد مؤامرات يمكن أن تؤثر على الأوضاع الداخلية بشكل أو بآخر.

ويوجد كذلك ما يفرض عليك أن توجه اقتصادك بطريقة لا يكون ممتنعًا عن هيمنتهم وعن مؤسستهم الحاكمة.

وما حدث فى شرق آسيا مثال على هذا، فاستبقاء القدرة على التهديد العسكرى قائمة، واستبقاء القدرة على التهديد الاقتصادى قائمة، والتأثير فى القرار السياسى عن طريق هذين الأمرين قائم.

نحن الذين نعيش فى هذه الفترة وفى هذه المرحلة، ومشكلتها التى تكلمت عنها فى البداية لا يزال منها ما نسعى لحله، وهو كيفية مقاومة هذا الأمر، كيفية مقاومة المخاطر المحدقة بك دائمًا من قوة أقوى منك فى العالم.

وفى الوقت نفسه كيفية أن تأخذ من علومهم، ومن صنائعهم ما تستطيع به أن تقوى وتسترد سيطرتك الكاملة على نفسك، وتسترد أمنك القومى كاملاً.

ودائما مثل هذه المشكلات تثير جوانب فكرية؛ لأن المشكلة وإن تنوعت أشكالها فهى فى جوهرها لا تزال قائمة.

أما الاختلاف فيكمن فى ناحيتين: إحداهما تدعو للتشاؤم والأخرى تدعو للتفاؤل.

الجانب الذى يدعو للتشاؤم أن المتابع لحوارات بداية القرن العشرين كان يرى أنهم يتحاورون فى ماذا نأخذ من الغرب، والمدافع عن الغرب يقول سنأخذ كى نتمكن.

ولكن كلا المحاورين يعرف أنه يقف على أرض إسلامية، ويتكلمون فيما نأخذ من الغرب، وهل نأخذ أو لا نأخذ ؟ وبأى قدر نأخذ؟

أصبحنا اليوم نتكلم – ونحن فى نهاية القرن – عن ماذا نستدعى من أحكام الإسلام، صارت أرضنا أرضًا خليطًا، وليست أرضا خالصة كما

كانت من قبل.

وصلنا إلى أننا نريد أن نستدعى الإسلام والشريعة الإسلامية بعد أن كنا نقف على أرضها؛ هذه المشكلة لا بد أن نعيها، ولا بد أن نقرأ كتابات السابقين وفى أذهاننا هذا الأمر.

وليس كل المدافعين عن الأخذ عن الغرب كانوا يوافقون على الصورة التى حدثت الآن من جراء ذلك، وما كان يمر بأذهانهم أنها ستكون هكذا.

النقطة التى تدعو للتفاؤل: أننا خرجنا من فترة الانبهار بالغرب، كانت بداية الانبهار فى أوائل القرن العشرين، وصرنا فى ذروة الانبهار فى الثلاثينيات والأربعينيات..

أتصور الآن أننا تجاوزنا فترة الانبهار بالغرب، بل وأصبحنا ننظر إليه نظرة انتقادية لنظمه ولفكره، وأصبحنا أكثر قدرة على الاختيار.

هناك مثلاً موضوع الربا، وكانت هذه مسألة قائمة فى بداية القرن، ولا تزال قائمة حتى الآن، وهذا تطبيق من تطبيقات ما قلته من قبل، وهو هيمنة نموذج النشاط المؤسس لبيوت المال والمؤسسات الاقتصادية الغربية.

ولا تزال الهيمنة كما كانت من قبل، ولا يزال الفقه الإسلامى مانعا لهذه النماذج، و لم يتقبل الآن أيا منها.

المشكلة هنا ليست فى أن يقبل الفكر الإسلامى أن يحلل ما حرم ا لله، ولو أن الفكر الإسلامى تراجع عن موقفه لكانت هنا المشكلة، إنما ظل الفكر الإسلامى مدافعًا عن نفسه فى رفضه للربا، وحاول على مدى عشرين أو ثلاثين سنة ماضية أن ينشئ مؤسسات اقتصادية إسلامية.

وهذا هو الجديد الذى لم يكن قائما من قبل، وإنما كان المفكرون القدامى يفكرون فى التحريم، وفى التحريم فقط.

أما مفكرو الاقتصاد الإسلامى الحديث فقد فكروا فى إنشاء مؤسسات غير ربوية تقوم بوظيفة البنوك، ومع ذلك حوربت، ولا ننكر أنه كان بها سلبيات، ولكن بدلا من إصلاح هذه السلبيات ودعمها والتعاون على إصلاحها تعاونًا قوميًا -: شنقناها بسلبياتها، وأرخينا العنان لهذه السلبيات حتى استفحلت وشنقناها بسلبياتها.

موضوع المرأة - حقيقة - أرى أن مشكلتها لم تكن فى أحكام الشريعة الإسلامية، وإنما فى أن هناك وضعًا

اجتماعيًّا متدنيًّا لها، وأن المطلب الخاص بتحريرها كان مما يسعه وضع المرأة فى التصور الإسلامى ووضعها فى الشريعة الإسلامية.

وقضيــة المرأة مع الوقت وضعت وضعًا مغلوطًا؛ لأن قضية المرأة هي: التعليم والعمل.

هذان هما قضية المرأة فى الأساس الآن، والتعليم يؤدى إلى تنويرها، وإلى استقلال شخصيتها، وإلى دعمها للأسرة.

والعمل يؤدى إلى قدر من الاستقلال الاقتصادى لها، ويمنعها أو يعصمها من العبودية للرجل، ويحقق لها المساواة فى التعامل المرجو فى الإسلام.

إنما قضية التعليم والعمل ليس قرين الاختلاط والسفور، فالمسألة تحولت من قضية تعليم وعمل إلى قضية اختلاط، وحرية فى التعامل مع الرجل بشكل لا تبيحه الشريعة.

وتحولت القضية من قضية حجاب وسفور، إلى قضية اختلاط فى أقصى صوره، وهى قضية مغلوطة، لا تكون من بين المشاكل الحقيقية التى تقف أمام الفكر الإسلامى.

والمرأة تعلّمت وخرجت إلى الحياة العملية وعملت، وكل ذلك مزكى من الفقه الإسلامى.

ربما المرأة اليوم أصبحت تشعر بمشكلة العمل والجمع بين العمل وبين رعاية الأسرة، وهذه مشكلة اجتماعية بالفعل. والإسلام بوصفه شريعة ليس طرفًا فى هذه المشكلة، فهو يوصيها بأبنائها، وعليها أن تهتم بأمرها، ولا مشكلة فقهية أو فكرية فى ذلك.

السؤال العاشر: ما أهم التحديات التى تواجه الفكر الإسلامى فى مطلع القرن الحادى والعشرين؟

المستشار البشرى: بشكل عام أتصور أن التحديات التى تواجه الفكر الإسلامى فى مطلع القرن الحادى والعشرين تتعلق بكيفية صياغة مطالبه، وكيفية صياغة المجتمع، أو تصور المجتمع مصاغًا وفقًا لمرجعيته.

ما نطالب به شبه واضح، إذن فكيف نطبقه ؟ هذه هى النقطة.

والكيف يتوقف عليه كل العمل فى النهاية، ويتوقف عليه النجاح وعدم النجاح.

فالموضوع هو الشريعة الإسلامية، والمطالبة بالشريعة الإسلامية، وهذا أمر يجب النظر فى كيفية تطبيقه بما لا يؤدى

إلى استبعاد كافة أنواع المعاملات القائمة فى المجتمع الآن لإيجاد قوانين وأحكام لم نضعها أمام الناس بعد فى صورتها العينية الملموسة التى يتحاكمون إليها، ويتعاملون بها فى بيعهم، وفى شرائهم، وفى مقاولاتهم، وفى علاقات عملهم، وفى تنظيم مؤسساتهم.

نحن نريد أن نقرن مطلب الشريعة الإسلامية بما تسعه أحكام الشريعة الإسلامية من أوضاع المعاملات القائمة الآن، باعتبار هذه المعاملات من وجهة نظر الفقه الإسلامى هى عرف شائع.

والعرف يرجح فيما تسعه الشريعة الإسلامية من اجتهادات، ووجوه ترجيح، وتجرى سيادة حكم الشريعة فى الكثير من هذه الأحكام عن طريق الإسناد القانونى؛ لأن ما تسعه الشريعة الإسلامية من أحكام مطبقة فعلاً، ويتراضى عليها الناس الآن، وتتقبلها الشريعة ونصوصها، ويجرى إسنادها فى التعامل القانونى والفقهى بالمرجعية الإسلامية الآن من خلال نشاط القضاة، والمحامين، والشرّاح، وأساتذة الجامعة وغيرهم.. هذا جانب.

الجانب الآخر هو كيفية بناء نظمنا المؤسسية من خلال فقه الشريعة الإسلامية، وهذه نقطة تحتاج منا إلى جهد.

النقطة الثالث : أحكام الفقه الإسلامى وأحكام الشريعة الإسلامية يلزم لضمان تطبيقها على الواقع أن يبقى الواقع مصاغًا بطريقة تتقبل هذه الأحكام، فعلينا أن نصوغ علاقاتنا الاجتماعية، وأن يسهم المفكرون الإسلاميون فى كيفية صياغة العلاقات الاجتماعية بما يضمن استبقاء الأوضاع الاجتماعية المناسبة لتطبيق أحكام الشريعة.

فمثلاً نظم الميراث الشرعية عندنا تجعل للعصبات سهمًا فى الميراث بشكل أو بآخر، ونجد أن هذا النظام إنما يوافقه نوع من تنظيمات الأسرة الممتدة، وليست الأسرة النووية، فالأسرة النووية تنظر إلى ابن العم وابن الخال والعم وغيرهم من الأقارب على أنهم من الأقارب الأباعد، ولا يدرك من خلال الأسرة النووية حكمة أن يرث هنا هذا القريب البعيد مع بنات المتوفى.

فى إطار علاقات الأسرة الممتدة التى يجب أن نستبقيها، وندعمها على المستوى الاقتصادى والاجتماعى، وعلى مستوى نظم الإسكان، فتبدو الأسرة

الممتدة وحدة اجتماعية قوية متماسكة؛ ليست فى إطار الزوج والزوجة والأبناء القصر فقط، وإنما فى إطار العلاقات الممتدة لهذه الأسرة على مدى الدرجة الرابعة والخامسة والسادسة.

الجانب الآخر يتعلق باستخلاص نظام للتنمية الاقتصادية والاجتماعية مستخلص من الفكرية الإسلامية، ومن حياة المسلمين عامة.

وهناك جهود كثيرة للمفكرين الإسلاميين فى الجانب الاقتصادى تنحصر فى موضوع أن الربا حرام، وأن الزكاة مفروضة.

لكن بين الربا الحرام والزكاة المفروضة مساحة واسعة جدًا يتعين أن يدلى فيها المفكرون الإسلاميون بفكرهم، من خلال أصول الفكر الإسلامى ومبادئه فى هذا المجال، ويقدموا للبشرية عمومًا أنواعًا من بناء المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية الكفء والناجحة على تطوير مجتمعاتها.

من المسائل أيضًا التى تمثل تحديا مسألة مهمة خاصة بالقانون الدولى والعلاقات بين الدول، وهى هل سنصنف الدول فى العالم بناء على ما إذا كانت هذه الدول من أهل الكتاب، أو من غير أهل الكتاب، أم على أساس موقفهم المعادى والموالى للشعوب الإسلامية؟

أيهما أولى بالموالاة: الغرب وأوروبا وأمريكا، أم شرق آسيا مثلاً؟!

من التحديات الأخرى المهمة: موضوع المواطنة، وهل هى من وجهة نظر الفكر الإسلامى تشمل غير المسلمين ممن يوالون المسلمين، وينشئون معهم جماعات سياسية قاومت الاستعمار، ودافعت عن سيادة الأوطان؟

وعلى الجانب الآخر هناك أقليات إسلامية فى بلاد الأغلبية فيها غير مسلمين والعكس صحيح.

فكيفية التعامل مع هذه القضية تكون فى وضع مبادئ عامة لأوضاع الأقليات وحقوقهم فى إطار المواطنة طبقًا لتطبيقات السياسية السائدة فى العالم الآن.

رؤى وحوارات

حركة
الفكر الإسلامى المعاصر
خلال القرن العشرين

أ. د. محمد سليم العوا(*)

السؤال الأول: متى بدأت المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى المعاصر، وما العوامل التى أدت إليها؟

الدكتور محمد سليم العوا: أعتقد أن المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى المعاصر بدأت مع سقوط الخلافة الإسلامية؛ لأن حركة الفكر الإسلامى إلى أن سقطت الخلافة كانت تسير من خلال الحركة الفقهية، ومن خلال سيطرة العلماء ورجال الدين على الموقف العقلى للمسلمين بوجه عام.

مع سقوط الخلافة بدا أن هناك تحديًا جديدًا يواجه الأمة الإسلامية، لم تستطع المؤسسة الدينية وخاصة المؤسسة الفقهية أن تواجهه، ودلَّ على هذا التحدى سقوط الخلافة، وانهيار المؤسسة الرسمية السياسية والفقهية معًا.

ومن هنا نلاحظ أن جذور التيار الفكرى الحالى، أو الحركة الفكرية الحالية بدأت مباشرة بالتوجه نحو محاولة استعادة الخلافة، مثل ما قام به رشيد رضا فى مصر، وما قام به إخواننا فى الهند، وما قام به آخرون فى إندونيسيا وماليزيا وبيئات أخرى من العالم الإسلامى، حركات صغيرة جدًا، ومؤتمرات قلّ عدد المشاركين فيها أو

(*) - حاصل على الدكتوراه في القانون الجنائي الإسلامي من جامعة لندن .
- عمل أستاذا بجامعات نيجيريا والمملكة العربية السعودية والزقازيق .
- عمل مستشارًا لمكتب التربية لدول الخليج العربي ، ويمارس حاليًا مهنة المحاماة، وله مؤلفات عديدة في النظام السياسي الإسلامي والنظام الجنائي الإسلامي، وفي تجديد الفقه .

كثر.. إنما هدفها كان فى النهاية هو محاولة إحياء الخلافة أو استعادة الخلافة؛ لأن هذا يعتبر بمثابة الجامع الذى يحيط الفكر الإسلامى بسياج مقبول من الناحية الدينية والفكرية.

حركات استعادة الخلافة آلت كلها إلى المصير المعروف، ولم يعُد أمام المسلمين إلا أن يفكروا فى مصيرهم بطريقة غير ناشئة عن المؤسسة الدينية.

ومن هنا نشأت التيارات الفكرية الإسلامية المعاصرة، وقد كانت كلها نتيجةً أو ردَّ فعل، فنتيجة بمعنى أنها تَدَاعِى، وإما رد فعل فبمعنى أنها مقاومة لفكرتين: فكرة الجماعة الإسلامية فى باكستان (الهند ثم باكستان) وفكرة الإخوان المسلمين فى مصر.

والفكر الإسلامى الحديث هو إما نتيجة أو رد فعل لهاتين الحركتين.

أما عن العوامل التى أثّرت فيها فلا يمكن إحصاؤها فى حديث من هذا النوع، وتحتاج إلى بحث دقيق من الناحية التاريخية، لكن نستطيع أن نقول: إن العامل الأساسى الذى أدى إليها هو محاولة المخلصين من المسلمين إحياء الفكرة الإسلامية الشاملة (فكرة الإسلام العام، فكرة الإسلام الشامل الذى يتناول كل جوانب الحياة)، والذى وصفه حسن البنا بأنه: دين، ودولة، وطريقة صوفية، وجماعة سياسية، وشركة اقتصادية، ونادى رياضى.

وهذا الوصف يريد أن يقول: إن الإسلام له حكم فى جميع جوانب الحياة، وينبغى على المسلمين أن يعملوا بهذا الحكم، وأن يلتزموا به، وأن يشيعوه بين الناس إلى آخر ما يقوله الدعاة فى هذا المجال.

وهذا هو العامل الأساس فى نشأة التيار، أو المرحلة الفكرية الإسلامية المعاصرة.

فالعامل الرئيسي الذى أدى إلى المرحلة الحالية فى الفكر الإسلامى هو محاولة الإحياء، ومحاولة الإحياء أخذت صورًا متعددة، أهمهُا صورتان: الجماعة الإسلامية فى باكستان، والإخوان المسلمون فى مصر.

لكن الواقع أن الحركة الفكرية لم تقف عند هذين المصدرين أو هاتين الصورتين، إنما تطوّرت بالضربات التى وُجِّهت إلى الإخوان المسلمين فى مصر، وبالتقوقع الذى أصاب الجماعة الإسلامية فى الستينيات فى باكستان.

فتطورت الحركة الفكرية بالذات

على أيدى المهاجرين المسلمين الذين خرجوا من مصر ومن باكستان إلى العالم الغربى، وإلى العالم العربى أيضًا.

وكان من أهم المظاهر التى أكدت هذا التطور أمران:

الأول: هو ظهور مجلة المسلم المعاصر.

الثانى: هو التجمعات الإسلامية فى الغرب.

فمجلة «المسلم المعاصر» عبرت عن الموقع الفكرى المتقدم جدًا فى مساحة من الحرية غير متاحة لأى تجمع مغلق، وفى مساحة من السماح بالتعبير عن الفكرة، والفكرة المضادة، وهذه طريقة كانت غير معهودة إلى أن ظهرت هذه المجلة فى الموقع الفكرى الإسلامى، الذى كان بدوره ينقسم انقسامًا حادًّا، فإذا كنت صوفيًّا فلا تقبل أى كلمة سلفية، وإذا كنت سلفيًّا فأنت لا تقبل أى كلمة مذهبية، وإذا كنت مذهبيًّا فأنت مغلق على مذهبك.. الخ هذه الصور معروفة لدى الباحثين فى مجال الفكر الإسلامى العام.

ظهور مجلة «المسلم المعاصر» استغرق الإعداد لها ٢٠ عامًا ، وقد كان ذلك دليلاً على المعاناة والقسوة التى تمر بها الحالة الفكرية. عندما ظهرت ١٩٧٤م ظهرت لتلقى حجرًا فى اليم الساكن، وهذا الحجر الذى ألقى فى اليم حرّك مياهًا كثيرة آسنة، وأظهر تطورات لا حصر لها، يمكن الإشارة إليها فى لقاء آخر، إنما هذه كانت هى الصورة الأولى من التغيّر الذى طرأ على الحالة الفكرية بعد ما أصاب مشروعى الإخوان والحركة الإسلامية من توقف.

وأما التجمعات الإسلامية فى الغرب، والتى ظهرت فى صورة مراكز إسلامية لا تُعد فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وهذه التجمعات الإسلامية فى الغرب تميزت بأمرين:

الأول: أنها نشأت على أيدى أناس من أبناء الحركة الإسلامية المصرية، أو التى وُجدت فى شبه القارة الهندية؛ لأن هؤلاء خرجوا بهمومهم الإسلامية إلى الخارج فوجدوا المسلمين مشرّدين، ولا جامع يربطهم فبدءوا فى إنشاء المراكز الإسلامية الصغيرة، والمساجد المحدودة فى الأحياء والمدن، تطوّرت فيما بعد فأصبحت مراكز حركة فكرية نشطة جدًا. فالآن اجتماع الطلاب المسلمين فى أمريكا يحضره أربعة آلاف عضو فى أقل اجتماعاته، وقد حضره ثلاثون ألفا

فـي اجتماعه الأخير المنعقد في شيكاغو، والاجتماعـات في بريطانيـا تعقـد على مدى عدة أيـام وأسـابيع؛ لأنـه لا يوجد مكـان واحد يسـتوعبهم مرة واحدة في السنة كما كـان يحدث في السبعينيات، وأواخر الستينات.

والمسلمون في الغرب واجهوا همومًا غـير هموم المسـلمين في الشـرق، وواجهـوا مشـكلات مختلفـة عـن مشـكلات المسـلمين في الشـرق، واضطـروا أن يُبدعـوا حلـولاً تناسـب الموقـف الـذى يعيشـون فيـه، ووجدوا مناصرة فكرية وفقهية من عناصر متنورة ومتقدمة في العـالم الإسلامى مثل الشيخ الغزالى - رحمـه الله- والشـيخ يوسـف القرضـاوى، والشـيخ على الطنطـاوى رحمـه الله، وكثير مـن العلماء الآخرين، ووجدوا أيضًـا منـاصرة أهم من الحاجـة الواقعيـة التى تواجـه المسـلمين، فلابد أن يتعـاملوا معها بموقـف فكرى مختلف عن الموقف الفكرى القديم.

هـذان الأمـران همـا التطـوران الأساسيان فـى الحالة الفكريـة الإسلامية المعاصرة.

السـؤال الثانى: مـا أهم التيـارات الفكريـة الإسـلامية المعـاصرة خلال القرن العشـرين، وما أهـم عناصر كل تيار من تلك التيارات؟

الدكتـور محمد سـليم العوا: إذا أحببت أن تصنف تصنيفًا عموميًّا تقول: كان هنـاك تيـارًا نهضويًّا إصلاحيًّـا قاده الإمـام محمد عبـده، ومـن بعده رشـيد رضـا، وقد اسـتثمرت جماعـة الإخوان جزءاً كبيرًا من عطائـه في بنـاء تصورها عن الإسلام.

وقد حـاول هـذا التيـار من ١٩٢٨م وحتـى ١٩٤٨م أن يقدم حـلاً إسـلاميًا للمشـاكل المعـاصرة، وأخفـق نتيجـة لأسباب كثيرة جدًا.

نشأ بعده مباشرة تيار يرى أن التغيير لابد أن يكـون بالقوة والعنف، وبدأ هذا التيـار ببعـض خلايـا النظـام الخـاص للإخـوان المسـلمين، ثـم انتهـت هذه الخلايـا في السـجون والمعتقلات؛ لتنشـأ مـن خـلال المعانـاة اليوميـة لشـباب المسـلمين تيـارات العنف الحديثـة التى بـدأت من نهايـة السـتينيات بتظـاهرات الطلاب، التى لا يذكرهـا أحد الآن أبدًا ضمن أسـباب نشـأة العنف، ولكنهـا بدأت من هناك، من مظاهرات ١٩٦٨م ضـد الهزيمـة التـى لحقـت بـالعرب والمسـلمين فى ١٩٦٧م، ثم تطورت إلى

تيارات إسلامية داخل الجامعات، خرجت من بطنها وعباءتها تيارات العنف الإسلامى، أو العنف المتسمّى باسم الإسلام، وهو تيار من أخطر التيارات الفكرية الموجودة؛ يرتبط به ويتصل به بصلة قوية جدًا: التيار المغالى فى التكفير؛ لأن تيار العنف هذا لا يُكفِّر، وإنما يمارس التغيير بالقوة، لكن هناك تيار آخر يرى أن هذا المجتمع كافر، وينبغى أن يُقتَّل، لا لأننا نريد أن نغيّره من سيئ إلى حسن، وإنما نريد أن نغيره من كافر إلى مسلم، فهذا تيار آخر يسمى تيار التكفير، وقد انحسر انحسارًا شديدًا فى السنين العشرين الأخيرة؛ لكن له بقايا موجودة فى بؤر معينة معروفة.

ثم تقوّى تيار العنف بما حدث من انقضاض على التجربة الإسلامية فى الجزائر؛ لأنه أصبحت هناك طوائف عديدة من الناس تؤمن بأنه لا أمل إلا فى مقاومة هؤلاء الحكام الظلمة بالقوة.

وانعكس هذا على مواقع أخرى فى العالم العربى، لولا شدة القمع الحكومى لكانت هذه المواقع متسعة فى المدى المكانى، ومتسعة الأثر المادى.

أقول: من حسن الحظ ، وأنا أقصد العبارة أن مقاومة التجمع العنيف هذا أو الحركات العنيفة هذه كانت من النجاح بحيث قضت عليها تقريبًا، لا نستطيع أن نقول قضت عليها نهائيًّا، لأن هذا يتطلب زمنًا طويلاً من أجل تبيّنه، إنما على الأقل إلى الآن ظلت ما يقرب من ثلاث سنوات تحت السيطرة.

التيار الثالث أو الرابع ، إذا اعتبرنا تيار التكفير تيارًا ثالثًا ، هو تيار: «عصرنة الإسلام»، أو «أنسنة الإسلام» كما سماه الدكتور محمد عمارة، وهذا يمثله مجموعة من الكتاب فى مصر وتركيا وتونس، وفى أماكن أخرى كالهند وبنجلاديش (تسليمة نسرين) وغيرها، الذين يحاولون أن يصنعوا للإسلام صورة من هواهم، وأن يقيسوا بمقاييس الفساد الحاضر حال المسلمين فى العصر الأول، وأن يترجموا إلى مشاعر وأهواء الشباب الآن ترجمة خاطئة تنفّرهم منها، أو تزهّدهم فيها، أو تجعلهم يظنون أن لا فارق بين الإسلام وبين أى توجه آخر، أو أى مشروع فكرى آخر.

هذا المشروع غالى كثير من الناس فى خطورته، وظنوا أنه مؤثر على قطاعات كبيرة من الشباب.. والحقيقة

أنه رغم كونه تيارا عالى الصوت؛ لكن تأثيره على شباب الإسلام محدود جدًا وضئيل، وهُوية هذه الكتابات وأصحابها معروفة ومرفوضة إسلاميًا، لا أحد يقبلها من التيار الإسلامى.

هذه هى التيارات الأساسية - من وجهة نظرى - القائمة الآن، وأعتقد أن هذا التوصيف يدل على عناصر كل تيار من هذه التيارات، لكن المشكلة تكمن فى غياب الحوار المعلن بين هذه التيارات، فليست المشكلة فى وجود مثل هذه التيارات، إنما المشكلة فى انعدام ساحات الحوار نتيجة الكبت والقهر وضياع الديمقراطية التى يعانى منها العالم الإسلامى كله.

السؤال الثالث: ما هى القضايا الأساسية التى طرحتها هذه التيارات الفكرية المعاصرة؟

الدكتور محمد سليم العوا: أهم قضية - وليست قضايا - هى قضية التغيير.. كيف نتغير؟

أولاً: هل نحن نحتاج إلى تغيير من حالنا الواقعى الآن إلى حال أقرب إلى الإسلام أو أبعد منه؟ نتغرب أم نُسلم؟

الجانب الآخر من هذه القضية هو كيف يكون التغيير؟ هل يكون التغيير بالوسائل الديمقراطية؟ هل يكون التغيير بالوسائل العنيفة؟ هلْ يكون التغيير بالثورة والانقلاب كما حدث فى إيران؟ وهو نموذج غير قابل للتكرار؛ فتركيبة المجتمع الإيرانى الإسلامية والسكانية تركيبة مختلفة عن أى مجتمع آخر، وبالتالى محاولة تنفيذ التجربة الإيرانية فى مكان آخر سيقضى عليها بالفشل، ولا يمكن أن ينجح..

هذه ثلاث صور مطروحة للتغيير: التغيير بالطرق السلمية والديمقراطية، وهو طويل النفس جدًا، ومكلف من ناحية الأعصاب والإحباطات المتوالية، والقهر والعنف المستخدم فى مواجهة أصحابه، على الرغم من أنهم لا يُمارسون العنف والقهر ضد أحد.

وتيار التغيير بالقوة، وهو محاصر الآن محاصرة شديدة فى كل مكان.

وتيار التغيير بالثورة الشاملة وهو التيار الإيرانى، وكما قلنا إنها تجربة غير قابلة للتكرار والتنفيذ فى مكان آخر.

بقى التغيير من أعلى.. التغيير الحكومى، الذى يطرح تحديًا على أصحاب التيارات الفكرية الإسلامية ينبغى أن يواجهوه، والحكومات تغيّر لمصالحها، ولما تراه من مصالح شعوبها

إذا أحسنّا بها الظن؛ لكنها لا تبحث عن مقال تستقى منه التغيير، إنما ترى أو تشاهد نظامًا جيدًا تطبقه سواء فى تنظيم المال أو الاقتصاد أو التعليم أو الزراعة، من دون نظر إلى المرجعية.

التيارات الإسلامية كلها تبحث الآن عن مرجعية نهائية إسلامية تستند إليها فى إحداثها التغيير، وهذا هو الفارق بيننا وبين التغييرات الفوقية التى تأتى من الحكومة.

السؤال الرابع: ما مفهوم الحركة لديكم؟

الدكتور محمد سليم العوا: مفهوم الحركة ليس خاص بفرد معين، وإنما لدى الناس جميعًا هو التنظيم الذى يسعى إلى تغيير الواقع، أو إلى تغيير الناس؛ تغيير الواقع السياسى والاقتصادى بإحداث واقع مناسب لقيم الحركة ومبادئها، أو تغيير الناس من عدم انتماء إلى انتماء، من عدم شعور بالمسئولية إلى شعور بالمسئولية، من عدم أداء الواجب الاجتماعى إلى أداء ذلك الواجب، من عدم أداء الشعائر إلى أدائها.. هذه هو المفهوم الحركى.

فالحركة هى عمل فى اتجاه التغيير تقوم به جماعة منظمة.

قد تكون هذه الجماعة المنظمة عبارة عن تنظيم محكم، وقد تكون مجموعة أفراد ملتقين على آراء واحدة، وهؤلاء يكون لهم أثر فى التغيير كالجماعات المنظمة سواء بسواء، بل بعض هؤلاء يؤثر أكثر؛ لأن الناس تشعر أنه لا يعمل لحساب الغير وإنما لحسابه الشخصى، وإرادته الحرة.

السؤال الخامس: هل للحركة الإسلامية جذور فكرية انطلقت فيها، أم نشأت بصورة حركية صرفة؟ وهل ولدت الحركة فكرًا؟

الدكتور محمد سليم العوا: للحركات الإسلامية جذور فكرية، فكلها انطلق من جذر فكرى واحد، وهو جذر إحياء الإسلام.

ولا توجد حركة منها أتت بصورة حركية صرفة؛ لأن الصورة الحركية الصرفة لا توجد، فكيف يكون هناك حركة من دون جذر فكرى؟ فالجذر الفكرى لجميع الحركات المعاصرة هو الإسلام، لكن الفهم الذى تتبناه كل حركة عن الإسلام مختلف عن الأخرى، فالحركة السلفية تتبنى فهمًا مخالفًا لحركة الإخوان المسلمين، وحركة التجديد الفقهى تتبنى فهمًا مخالفًا للحركتين،

حركة الإسلام المعاصر التى تعبر عنها المسلم المعاصر ترى أن الإسلام يتسع لكل الآراء، ويشمل كل الحلول فهو عباءة لكل من يقول لا إله إلا الله، ويتجه إلى قبلة واحدة، وأن اختلافات الرأى لا تفسد الود الإسلامى بل تنميه وتقويه، فهذه حركة تنظر إلى الإسلام نظرة مختلفة عن الآخرين.

إنما الجذر الفكرى واحد وهو الإسلام المتمثل فى القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم فى الممارسات الفقهية إلى الوقت الذى نحن فيه الآن.

السؤال السادس: إلى أى مدى تفاعل الفكر والفقه الإسلامى بالحالة الراهنة للعالم وما يكتنفها من تغيرات؟

الدكتور محمد سليم العوا: تفاعل الفكر والفقه - للأسف - كان تفاعلا قليلا، وكنا نتمنى أن يكون هذا التفاعل أقوى، وأن يكون تأثير الفقه على الفكر أظهر، وإنما الحاصل أن تأثير الفقه على الفكر أقل، لأن كثيرا من المشتغلين بما نسميه الآن فكرا ليس لهم علاقة مباشرة بالفقه، وإذا كانت لهم علاقة مباشرة فبالنظرة الواحدة إليه أو بالمذهب الذى تعلموا عليه أو الشيخ الذى تتلمذوا عنده، وبالتالى نظرتهم الفقهية تظل ضيقة ومحصورة.

لو أن التفكير الفقهى كان منفتحًا والتعليم من الفقه الإسلامى كان بلا قيد مذهبى، بمعنى أن قارئ مذهب ما يستطيع أن يقرأ مذهبا آخر، وأن يتبنى بعض مواقفه فى تطوير النظر الفقهى بحيث ينشئ مدرسة اجتهادية، هذا هو الذى يؤثر على الفكر تأثيرا سليما، وهذا لم يحدث الآن، وإن كانت قامت دعوات عديدة إليه، وإنما له ممارسة من بعض الأفراد، ولا يزال تفاعلا ضعيفا، لا بد أن يزداد حتى تترشد الدعوة الإسلامية بالضوابط الفقهية؛ لأن الفقه هو الضابط الذى ينظم حياة الناس فإذا لم تستطع أن تضبط الحركة الفكرية بالحقائق الفقهية سيكون هناك -بلا شك- خلل بين الفكر والفقه.

السؤال السابع: إلى أى مدى تأثر الفكر الإسلامى المعاصر بالتيارات الفكرية العالمية؟

الدكتور محمد سليم العوا: الفكر الإسلامى - فى الحقيقة - ضعيف التأثر بالتيارات الفكرية العالمية؛ لأن المسلمين لديهم قاعدة أن الإسلام يغنيهم عما سواهم، وأنه يكفيهم الرجوع إلى مرجعيتهم ليقدموا إلى أممهم أو شعوبهم

زادًا مناسبًا، فتأثير التيارات العالمية المعاصرة قليل، سواء من التيار الفكرى الرأسمالى أو التيار الفكرى اليسارى الذى ساد فى الاتحاد السوفييتى والدول التابعة له.

أما التيار الفكرى العولمى المنتشر الآن، والدعاوى الخاصة بنهاية التاريخ، ونهاية العالم والصدام بين الحضارات، كل هذه الأشياء لم تؤثر تأثيرًا عميقًا، أو مباشرًا فى الفكر الإسلامى لأن الفكر الإسلامى يستقى من منابعه هو، ويقدم حلوله هو، وينظر إلى هذه التيارات على أنها حلول مجتمعات أخرى لمشاكل أخرى، وإذا صدرت إلينا فتصدر لترسيخ الهيمنة الغربية علينا؛ ولذلك هو يرفضها، ولا يتأثر بها.

التأثر يمكن أن يكون سلبيًا من باب الرفض، وليس من باب التأثر الإيجابى.

السؤال الثامن: هل بدأت بعض الأفكار الإسلامية تطرح على الصعيد العالمى؟ وما أهم مجالات الحوار التى دخلت فيها مع الفكر الآخر؟

الدكتور محمد سليم العوا: نعم.. هناك أفكار إسلامية كثيرة تطرح على الصعيد العالمى، وأضرب لذلك مثالاً بالاجتماع الذى حدث لأول مرة فى التاريخ بين رئيس وزراء بريطانيا، وبين الجمعيات الإسلامية الرسمية المسجلة فى بريطانيا، وهو لقاء كانت له آثار إيجابية على موقف المسلمين فى بريطانيا ووضعهم فيها، وهو اللقاء الذى حضره مسئولون من الحكومة، ومسئولون من حزب المحافظين.

هذا اللقاء كان أولاً- من حيث التاريخ سابقة؛ إذ أنه لم يحدث قبل ذلك، ثانيًا - كان لقاءً حرًّا لطرح آراء ومشكلات الواقع الأوروبى المعاصر من منظور الفكر الإسلامى على رئيس دولة من كبريات الدولة الأوروبية، ووعد بأنواع من التعاون، وبدأت بالفعل أنواع من العلاقات تنمو بين التجمع الإسلامى البريطانى. وبين السلطة والحكومة البريطانية.

الأمر نفسه يحدث فى «بليماكو» فى السويد؛ إذ أخذت الحكومات هناك قرارًا بالتعاون مع التجمعات الإسلامية باعتبارها تجمعات معترف بها دينيًّا، ولها حقوق الأقليات الدينية.

وهذا تطور خطير جدًّا؛ لأن كل ما كان يعانيه المسلمون يتمثل فى عدم الاعتراف بهم، أو بوجودهم فليس لهم حق إجازات فى الأعياد، وليس لهم حق

وقت الصلاة ليوم الجمعة، وليس لهم الحق فى رؤية هلال رمضان، الخ.

هذا كله بدأ ينمو بالاعتراف بالدين الإسلامى بوصفه دينًا قائمًا، وأعتقد أن فرنسا فى طريقها إلى إصدار قرار من هذا النوع؛ لأن التحرك الحكومى الفرنسى نحو الإسلاميين قريب من هذا جدًّا.

فالأفكار الإسلامية طرحت على الفكر العالمي المعاصر من طريقين: طريق التفاعل الثقافى من خلال المنظمات الدولية، وطريق الوجود الإسلامى الفعلى فى الغرب الذى جعل قضايا الإسلام موجودة ولا بد من التعامل معها.

السؤال التاسع: نلاحظ تشابها شديدا فى المشكلات والأطروحات المعروضة على الفكر الإسلامى فى بداية القرن مع تلك المعروضة فى نهايته، ما مدى صدق هذه الملاحظة وما أسبابها؟

الدكتور محمد سليم العوا: هذه ملاحظة صادقة جدًّا، وسببها أننا نعيش حالة من الجمود، فالعالم من حولنا تقدم وتطور ونما، وتغير تكنولوجيًّا وتغير ثقافيا، ونحن لا زلنا فى حالة جمود، والاستعمار رحل واستبدل به حكومات ديكتاتورية طاغية، القوى المسيطرة الأجنبية استبدل بها قوى مسيطرة محلية، الحرية العلمية والأكاديمية ضئيلة جدا، ومحدودة للغاية، وإذا حاول الطالب أن يخرج عن منهج أستاذه فلا يمكن أن يتحرك، وإذا الكلية حاولت أن تخرج على منهج الجامعة فعاقبتها وخيمة، وإذا الجامعة حاولت أن تخرج عن منهج الحكومة والدولة فهى غير مطيعة.

فنحن فى حالة من القهر العام، هذا القهر العام الذى ينال النساء والرجال والأطفال والشباب والمؤسسات والأفراد يؤدى إلى حالة من الجمود، ونحن الآن كما كنا فى أول القرن، ونناقش المشكلات نفسها التى كنا نناقشها فى أول القرن: التبعية والهيمنة ودور الرأسمالية الغربية، وسيطرة رأس المال الأجنبى علينا، وازدياد ثروات الرأسماليين المحليين زيادة جنونية، وكذلك ازدياد فقر الفقراء بدرجة جنونية، هذا كله نعانى منه، وليس له مخرج أو حل إلا بأن تسود الحرية، وأن تمارس الديمقراطية كما سادت الحرية فى بلاد أخرى ومورست الديمقراطية، ونتكلم عن الحرية والديمقراطية باعتبارهما آليتان

وســـيلتان ، لا باعتبارهمــا فكرتــان فلسفيتان.. فهذا أمر آخر.

السؤال العاشـر: ما أهم التحديات التى تواجـه الفكر الإسـلامى فى مطلع القرن الحادى والعشرين؟

الدكتور محمـد سـليم العـوا: أهم تحدى يواجـه الفكر الإسـلامى فى مطلع القـرن الحادى والعشـرين كيـف نتعامل مع فكرتى الديمقراطيـة والحريـة، وكيف نحولهمـا مـن فكرتـين مرفوضتـين واقـع معاش، والحقيقـة أنهمـا مرفوضتان لدى الغالبيـة الساحقة من الإسـلاميين؛ لأنهم يـرون أنهمـا متعارضتـان مـع الإسـلام، فكيـف يقـوم الفكر الإســلامى بعرض هــاتين الفكرتـين عرضـا يـؤدى بجمهور المســلمين إلى قبولهمـا والدفـا ع عنهمـا، وجمهـور المسـلمين هـو أشـد الجماهـير معاناة لغياب الديمقراطية والحرية.

فـإذا لم نسـتطع أن نسـوّق لجمهور المســلمين هـاتين الفكرتين، وأن نقنعهم بأن يطالبوا الحكام بهما، وأن يسعوا من خـلال الطـرق الســليمة المتاحــة إلى تحقيقهما فسنظل نحن كما نحن...

هذا هو التحدى الأكبر – من وجهة نظـرى – وهو عنـدى أكـبر مـن تحدى تطبيق الشـريعة الإسـلامية، وأكثر عندى من تحـدى تطوير الفقـه أو تجديد الفقـه، وأكـبر عندى مـن تحدى تجديـد منـاهج الدراســــة، التحـدى المتعلـق بـالوضع السياســى الـذى تنعدم فيــه الديمقراطيـة والحرية أكبر تحد ينبغـى أن نواجهه، وله الأولوية على التحديات المتعلقة بالشريعة نفسـها وبالفقـه ذاته وبـالتعليم الإسلامى كله.

۞۞۞